

- هل استفاد المسلمون من الهجرة النبوية؟
- قصة جديدة بقلم نجيب محفوظ
- أسرار لقائي مع عبد الناصر سنة ١٩٦٨

مطلوب من المشارقة إعادة اكتشاف المغرب.. ثقافياً

شمس العرب هل تشرق من الغرب؟!

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

قمت مؤخراً بزيارة عمل ثقافي إلى تونس ، أتبعتها بزيارة عمل مماثلة إلى المغرب . وكنت قد زرت تونس قبل ذلك مراراً . أما المغرب فهذه زيارتي الأولى لربوعه .

وقد لمست في البلدين ، على قصر الزيارتين ، أن ملامح الحركة الثقافية بهما ليست بمثل ذلك الذبول أو التوتر أو التشنج أو الاحباط البادي على وجه الثقافة المشرقية الراهنة .. أو على بعض مظاهرها ..

ففي البلدين مهرجانات مسرحية وفنية تتوالى ولقاءات وندوات ثقافية وفكرية وحضارية تعقد وكتب مهمة وشائقة تؤلف وتنشر .. والناس يتحدثون في الفكر والأدب ، خاصة الأجيال الشابة التي تعاني بإخلاص ، وتتطلع وتفكر ، بل وتؤلف وتبدع ، دون انغماس مبالغ فيه في الحياة الاستهلاكية المسطحة كما في بعض مجتمعات المشرق العربى .

مؤشرات دالة

ولقد لاحظت أن المغرب العربى الكبير أخذ يعيد التعرف إلى روائع وثوابت تراثه العربى الاسلامي ، مع مواصلة ومواكبة الاطلاع على الفكر الحديث ، وخاصة في فروع العلوم الاجتماعية والفلسفية ذات الوظيفة النقدية والمنهجية اللازمة لاعادة صياغة الرؤية المنشودة نحو الذات والعالم . وبدأت تبرز في ساحة الثقافة العربية بالمغرب الكبير أسماء فكرية ذات وزن وذات نكهة فكرية متميزة تذكرنا بذلك الألق القديم الأصيل الذي رفد ثقافتنا العربية على يد ابن خلدون وابن رشد وابن حزم وابن طفيل .

وشد ما جذبني وأسعدني ذلك الاقبال المتحفز على الكتب في مكتبات الرباط بالذات ، حيث الكتب العربية المغربية الجديدة في الفكر الاجتماعي والتاريخي والفلسفي تجتذب الآلاف من الشباب بصورة لم نعد نعهدها للأسف في كثير من عواصم المشرق . وقد أحضرت معي حصيلة لا بأس بها من تلك الكتب المغربية التي آمل أن تتاح لي فرصة قراءتها أولاً ، ثم عرضها ونقدها في مناسبات مقبلة ، على صفحات « الدوحة » التي أسعدني تواجدها الملحوظ في المكتبات التونسية والمغربية ومتابعة الأخوة الأشقاء هناك لما نكتبه على صفحاتها ، حتى أن للبعض منهم في مدينة مراكش الواقعة في قلب المملكة المغربية ، أقبل علي مرحباً ترحيباً ينم عن معرفة حميمة ، وطلب مني إجراء مقابلة فكرية من منطلق كتاباتي في مجلة « الدوحة » ـ وهو حوار كنت أتطلع إليه بسعادة لولا ضيق الوقت وضغط مواعيد السفر الطويل .

إلا أن هذه اللفتة الحية في مدينة مراكش الرائعة هناك قرب جبال الأطلس الجميلة ، أعادت إلى ذاكرتي جميع رسائل الأخوة القراء في المغرب الكبير كله والتي تصلني تباعاً إلى البحرين تفاعلاً مع كتاباتي في « الدوحة » وتعليقاً عليها ، وتواصلاً معها ومع المجلة التي تمثل صلة الوصل معهم ، في ذلك الركن المغربى العربى العزيز . ولعل في مثل هذا التواصل الفكري والشعوري الذي أمكن تعهده بالرعاية والسقي بين الخليج العربى في أقصى المشرق وبين أشقائنا هناك في أقصى المغرب ما يؤكد ويثبت جدوى العمل الثقافي العربي الذي تبذله دول الخليج العربية ، كدولة قطر باصدارها لمجلة « الدوحة » ودولة الكويت باصدارها لمجلة « العربى » ، في سبيل أن تتواصل الكلمة العربية بين مشرق ومغرب في إطار الوطن الكبير .

وإذا كانت إقامتي القصيرة في كل من الجمهورية التونسية والمملكة المغربية ، تسمح لي بإبداء رأي أو انطباع قصير في وضع « الكلمة العربية » في مغربنا الكبير ، فإن ما سمعته من الاذاعتين التونسية والمغربية يدل على أن للعربية الفصحى مكانة تدعو للاطمئنان ، وأن المذيعين والمتحدثين يجيدونها بشكل يدعو إلى أن يغبطهم عليه بعض اخوتهم المشارقة !..

وهذا لعمري ما يبدد بعض التخوف السائد لدينا في الأوساط المشرقية من استمرار تغلب الفرنسية على العربية في أقطار المغرب . وإن كان هذا الأثر الافرنجي ما يزال ملحوظاً في البرامج التليفزيونية التي يصعب انتاجها محلياً .

مصر كانت هناك

وعلى ذكر برامج الاذاعة والتليفزيون ، فإن الزائر العربى المشرقي للمغرب الكبير ، لابد وأن يلاحظ باغتباط استمرار انتشار الأغنية العربية المصرية ذات المستوى الرفيع ـ من مدرسة أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ـ في سائر إذاعات الأقطار



معاناة واحدة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب : حوار بين د. جابر الأنصاري والأستاذ عبد الكريم غلاب المفكر والسياسي المغربي المعروف في إطار لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية .

المغربية ، وشدة تذوق الأشقاء هناك لهذا النوع الرفيع والمتحضر من الأغنية العربية المشرقية بالاضافة إلى ولعهم الخاص باللحن الأندلسي الأصيل الذي مازالوا حماة له وورثة أمناء في النغمة والكلمة .

وفي هدأة الليل بجبال الأطلس الشماء عندما تسمع أم كلثوم تشدو في الأثير في أكثر من إذاعة ، يعاودك اليقين بأن مصر العربية العظيمة ، بفنها .. بتراثها .. بأصالتها .. بكلمتها العربية ذات النكهة المحببة مشرقاً ومغرباً .. وذات المعاني والايحاءات المفهومة مشرقاً ومغرباً ما تزال في القلب العربي ، على امتداد المسافة بين المغرب والبحرين ، وبين تونس وقطر ، من الخليج إلى المحيط ، وستبقى ذلك « النغم الساري بين المحيطين من مراكش للبحرين » كما تقول أغنيتها المجيدة في عهدها المجيد ..

* * *

وإذا كانت اسرائيل قد تصورت أنها بغارتها على تونس ستضعف ارتباط أهل تونس والمغرب الكبير بالقضية العربية ، فإنها كانت على خطأ ، بل إنها بعملها الذي تصورته ذكياً في حينه ، قد عمقت ارتباط تونس ومحيطها المغربي الواسع بالقضية العربي وفي صميمها قضية فلسطين ، وأيقظت الكثيرين من الأشقاء هناك ونبهتهم إلى خطورتها وطبيعتها العدوانية المنافية لأوهام السلام الذي تتشدق به .. وهذا يعني أن العمل الاسرائيلي على المدى البعيد سينقلب على فاعليه وسيؤدي إلى عكس ما كان منتظراً منه .. هذا هو الاستنتاج الذي يخرج به المرء من استماعه إلى المثقفين المتابعين لنبض التطورات والتخمرات في تونس ومحيطها المغربي .

وقد شهدت في تونس ــ ضمن مهرجان قرطاج المسرحي ــ مسرحية كويتية ذات طابع انتقادي سياسي عربي ساخر .. ولم تكن المفاجأة في جرأة المسرحية في التشخيص والنقد ، فهذا مألوف في التجربة الكويتية ــ مسرحياً وسياسياً ــ لكن المفاجأة كانت في استقبال الجمهور التونسي لتلك المسرحية الكويتية وفهمه لدقائق لغتها وتلميحاتها وإيماءاتها ، خاصة السياسية والقومية منها ذات الطابع المعادي لاسرائيل ومن هم وراءها . وذلك تفاعل يؤكد أنه لا يمكن تقطيع الوشائج والصلات العربية ، ولا يمكن منع العرب من التفاعل كجسم واحد وشعور واحد وحقيقة إنسانية واحدة ، حتى لو بنوا ما يشبه سور الصين بين قطر عربي وآخر . وإذا انسدت سبل التواصل السياسي أو الرسمي بينهم فسيتواصلون وسيتفاعلون أدبياً ومسرحياً وفنياً إلى ساعة تحين وحدتهم المحتومة .

وأنت إذا ألححت في السؤال على الأشقاء هناك حول تأثيرات محاولات اسرائيل وأصدقائها الكبار على مدى تمسك أقطار المغرب بالقضية العربية ، سمعت منهم الجواب التالي : إذا كانت فرنسا بقوتها وهيمنتها الاستعمارية المباشرة على أقطار المغرب العربي التى امتدت قرناً وأكثر من قرن ، قد فشلت في فصل المغرب عن عروبته واسلامه رغم ما جربته من أساليب قمعية ضد اللغة العربية والثقافة الاسلامية في جذورهما وأصولهما ، وليس فقط ضد الاستقلال السياسي للمغرب ، فهل يعقل أن تتمكن اسرائيل بطبيعتها ومحدوديتها من التأثير على المغرب العربي فى انتمائه المصيري بغارة واحدة أو حتى بعشر غارات ؟ إذا كانت فرنسا بتأثيرها الثقافي العميق ، بالاضافة لتأثيرها السياسي والاقتصادى والتقني ، قد واجهت في النهاية ثورة المليون شهيد في قلب المغرب العربي ، في الجزائر الواقعة بين تونس والمغرب ، فهل يعقل أن تنجح اسرائيل حيث أخفقت فرنسا ومن ورائها حلف الأطلسي ؟

ذلك جواب سمعته من أكثر من مثقف بين تونس والمغرب ، وأعتقد أنه ــ بشهادة التاريخ ــ ينهي كل تساؤل حول هذا الأمر .

* * *

يبقى أخيراً ما يواجهه الزائر المشرقي من اشكالية شائقة وطريفة بشأن شعور إخواننا المغاربة حول « عقدة التفوق » في الثقافة المشرقية تجاه الثقافة المغربية منذ أيام الأندلس إلى يومنا هذا ..

سمعت أن هذه القضية أثيرت في لقاءات « أصيلة » الثقافية بالملكة المغربية ..

وقرأت في كتاب الأستاذ محمد مزالي رئيس الحكومة التونسية (في دروب الفكر) الذي أحضرته معي من تونس ، مقالة تمس جوانب من هذا المعنى أيضاً ..

وأنا أعتقد أن لهذه القضية ــ الاشكالية ــ جوانب ووجوهاً أخرى قد تضيف أبعاداً جديدة للطرح الذي يبديه إخواننا أهل المغرب بهذا الصدد .. وأن المسألة ليست بالضبط مسألة عقدة تفوق ثقافي بين مشرق ومغرب ، كما تبدو في الطروحات المغربية ..

وسأتناول هذه القضية في العدد القادم من « الدوحة » بإذن الله .. حيث يلتقي على صفحاتها المغرب بالمشرق .. فإلى لقاء عربي آخر .. من الخليج إلى المحيط ..

هامش

(١) في يناير ١٩٨٦ تكون مجلة « الدوحة » قد أطفأت عشر شموع من عمرها المديد . فقد صدرت في يناير ١٩٧٦ بمبادرة قطرية رائدة من أجل التواصل الثقافي العربي على المستوى الحضاري . فتحية بهذه المناسبة لدولة قطر . وتحية لوزارة الاعلام القطرية ووزيرها النابه على هذه المبادرات المتميزة ، وتحية لأسرة تحرير الدوحة التي تعتز بالانتماء إليها معنوياً وعلى رأسها أديبنا الكبير رجاء النقاش .

هذا ما نردّ به على المجادلين والمناورين من خصوم الإسلام

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوي

يقول بعض الناس : إذا كنتم تنادون بالحل الإسلامي ، والعودة إلى شريعة الإسلام ، ومنهج الإسلام . فأين هي برامجكم التفصيلية ، ومناهجكم الشاملة ، وأنظمتكم الدقيقة لكل شأن من شئون الحياة ،ولكل ناحية من نواحي المجتمع ؟ . وما حلولكم للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ؟ . كيف تعالجون مشكلات البنوك وما يجري في عروقها من الربا ؟ وكيف تصنعون بشركات التأمين ؟ وما موقفكم من قضية المرأة والاختلاط والتبرج والأزياء ؟ وهل أعددتم قوانين جديدة تحل محل القديمة ؟أم تريدون أن تقودونا إلى متاهات لا يعرف فيها دليل ، ولا يهتدى فيها إلى سبيل؟ أو تخوضوا بنا بحاراً من التجارب ، لا ندري أين شواطئها ، ولا كيف عواقبها ؟ .

والذين يتساءلون هذا التساؤل أحد رجلين :

إما رجل غافل حسن النية ، خيل إليه ، أو ألقي في روعه أن الذي ذكر من الحلول والتفصيلات شيء متعذر أو متعسر ، فيظنه عقبة كئودا في سبيل الحل الإسلامي حقاً .

وإما رجل مدخول مضلل يعرف الحقيقة ، ولكنه يريد أن يشغل دعاة الاسلام بما ليس بمشغلة ، ويصعب عليهم الطريق بما ليس بصعب .

وجوابنا عن هذا الصنف وذاك يتمثل في بيان حقيقتين هامتين :

الحل الإسلامي واضح المعالم

الحقيقة الأولى : أن الاتجاه إلى الحل الإسلامي ليس اتجاهاً إلى مفازة ولا متاهة ، بل إلى حل واضح المعالم ، بين الحدود ، أصوله العامة معروفة ، وقواعده الكلية مدروسة ، وخطوطه العريضة بارزة ، وقد حكمت به أمة الإسلام الكبرى ثلاثة عشر قرنا ، فلم يضق بواقعة جديدة ، ولم يعجز عن تقديم العلاج لأي مشكلة ، وإذا جمد بعض علمائه في بعض العصور ، وأغلقوا باب الاجتهاد على أنفسهم ، فالذنب ذنبهم ، ومن ضيق على نفسه ضيق الله عليه (١) .

إنه حل له مصادره الثابتة من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة ، وله مصادره المتجددة من القياس والاستصلاح والاستحسان وغيرها من أوجه النظر والاجتهاد .

إن الأصول والخطوط الإسلامية العريضة التي يهدي إليها القرآن والسنة ، وبجوارها الثروة الفكرية والتشريعية التي خلفها لنا أئمة الإسلام وفقهاؤه على مدى الأعصار منذ عهد الصحابة ــ أفقه الناس للإسلام ــ فمن بعدهم ستكون هي المصابيح الهادية في طريقنا إلى العودة المنتظرة إلى الإسلام ، واستئناف حياة اسلامية صحيحة توجهها عقيدة الإسلام ، وتحكمها شريعته وتسودها مثله وأخلاقه وتضبطها آدابه وتقاليده .

وقد ذكرنا في كتابنا : « الحل الإسلامي فريضة وضرورة » ــ ما لابد من معرفته عن « معالم الحل الإسلامي » المنشود في شتى جوانب الحياة ، الفكرية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها .

المكتبة الاسلامية غنية بالبحوث

وقد حفلت المكتبة الإسلامية الحديثة ــ وخاصة في السنين الأخيرة ــ بمجموعة قيمة من الكتب والدراسات العلمية الناضجة في شتى جوانب الحقل الإسلامي سدت فراغاً ملموساً في هذه الناحية ، ولا زالت العقول الإسلامية تبحث وتنتج ، وستظل تبحث وتنتج ، وسيزداد بحثها وانتاجها طولاً وعرضاً ، وعمقاً ، يوم تتبنى ذلك دولة مسلمة حقا ،تخطط وتوجه ، وتجند وتشجع .

وإذا أخذنا مجالاً كالمجال الاقتصادي الإسلامي مثلاً ، نجد أن ثمة عشرات من الرسائل العلمية الأكاديمية ــ من رسائل الماجستير والدكتوراه ــ قدمت للجامعات والكليات والأقسام المعنية بالدراسات الإسلامية ، عالجت موضوعات شتى تدور حول الاقتصاد الاسلامي بفروعه المختلفة .

وهناك مئات من الكتب والبحوث المتنوعة ، منها البسيط والوسيط والوجيز ، كتبت بأكثر من لغة حول الاقتصاد الإسلامي .

وفي المؤتمر الإسلامي العالمي الأول للاقتصاد الاسلامي ، الذي انعقد بمكة المكرمة منذ نحو عشر سنوات ، قدم ــ أحد المشاركين فيه ــ الأستاذ الدكتور محمد نجاة الله الصديقي ــ دراسة ببلوجرافية ، أحصى فيها ما وصل إليه علمه مما كتب عن الاقتصاد الإسلامي باللغات العربية والأوروبية والانجليزية ، فبلغ مجموعها بضع مئات .

وبعد ذلك ظهرت كتب ودراسات أخرى كثيرة ، أشارت إليها مجلة (المسلم المعاصر) في أكثر من عدد من أعدادها .

وقامت مؤسسات مالية إسلامية : مصارف وشركات استثمار ، وشركات تأمين أو تكافل اسلامية ، حتى بلغ عدد البنوك الاسلامية أكثر من خمسين .

وقد أحيت هذه المصارف الإسلامية كثيراً من فقه المعاملات ، الذي كان مهجوراً أو مطموراً في بطون الكتب ، وبدأت تظهر فتاوى ودراسات ، وتعقد ندوات خاصة ومؤتمرات عامة ، حول المصارف الإسلامية ، كما صدرت فتاوى لهيئات الرقابة الشرعية فيها مثل : فتاوى (بيت التمويل الكويتي) وفتاوى (بنك فيصل الاسلامي السوداني) (وبنك فيصل الاسلامي المصري) ومقررات وتوصيات ندوات (بنوك البركة) السنوية . وكذلك صدر عن بعضها مجلات تعنى بهذا الجانب مثل مجلة (الاقتصاد الاسلامي) عن بنك دبي ، ومجلة (النور) عن (بيت التمويل الكويتي) ، كما أنشئ المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، وصدرت عنه بحوث قيمة .

وأنشئ مركز آخر ، تابع لكلية التجارة بجامعة الأزهر .

وأنشئت جمعية الاقتصاد الاسلامي في القاهرة .

وكم عقدت ندوات وحلقات متخصصة في أكثر من بلد إسلامي عن الاقتصاد الإسلامي أو عن جانب منه مثل (التنمية) أو (الزكاة) أو (الموارد) أو (البنوك) في القاهرة وجدة والكويت ودبي وأبوظبي وقطر وباكستان وتركيا والخرطوم وغيرها ...

ومما له علاقة بهذا الجانب الدراسات التي تناولت موضوع التأمين مثل ما كتبه الأساتذة : مصطفى الزرقا ، وعلي الخفيف ، وحسين حامد حسان ، وعبدالرحمن عيسى ، والبهي الخولي ، وعيسى عبده وعبدالله بن زيد المحمود ، وداود حمدان ، ومحمد الدسوقي ، إلى غير ذلك من البحوث التي صدرت بعضها في كتب ونشر في المجلات .

وبعضها ألقي في مؤتمرات علمية كمجمع البحوث بالأزهر ، وأسبوع الفقه الإسلامي الذي عقده المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بدمشق في عهد الوحدة بين مصر وسوريا ، وصدرت بحوثه في مجلد كبير . وكان موضوع التأمين يشغل نصف هذه البحوث إن لم يكن أكثر .

بقي اختيار رأي من هذه الآراء ، وذلك موكول إلى (جماعة المجتهدين) أو إلى الدولة المسلمة ممثلة في مجلس تشريعها أو شوراها .

وفي العالم الإسلامي الآن كفايات متنوعة تستطيع أن تصنع الحلول الجزئية ، والصور التفصيلية لكل مشكلة من مشكلات الحياة المعاصرة في ضوء الإسلام . ومن اليسير أن يتجمع أصحاب هذه الكفايات ، ويبدأوا العمل فوراً عند ما يجندهم حاكم مسلم ، وتستنفرهم دولة مسلمة .

المهم أن يصح منا العزم ، وتصدق النية في العودة إلى الإسلام وتطبيق الشريعة فسرعان ما يتضح الطريق .

ويمكن أن تقوم الآن مجامع الفقه الإسلامي في جدة ومكة ، أو البحوث الاسلامية بالأزهر ، بدور علمي في بيان ملامح المجتمع المنشود في ضوء اجتهاد معاصر قويم ، تحدثت عن معالمه وضوابطه في مقالات سابقة .

الحركات الكبرى لا تعنى بالتفصيلات

والحقيقة الثانية : أن الحركات الكبرى التي غيرت وجه الحياة ، وحولت مجرى التاريخ ، لم تقدم للناس إلا فلسفة أو هداية كلية ، ومفاهيم عامة ، تندرج تحتها أحكام وتعاليم جزئية كثيرة .

فالأديان حين ظهرت لم تدع إلا إلى مبادئ عامة ، تجدد بها وجه الحياة ، وتقوم بها عوج المجتمع ، كالتوحيد ، والإيمان بالجزاء ، والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق . ولم تقدم للناس مجموعات قانونية ، أو مجلدات في تطوير الآداب والفنون والإصلاح الاجتماعي .

كان مجرد نداء الرسل في أقوامهم المشركين : « أن اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت » (٢) يشير إلى وجه المجتمع الجديد ، ويرسم تقاطيعه وقسماته . فإذا كان في المجتمع رذيلة معينة ندد الرسول بها ، وحذر منها وأنذر ، كقول لوط : « أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ؟ بل أنتم قوم عادون » (٣) وقول شعيب : « ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير » (٤) .

كان رسول الإسلام يبعث إلى ملوك الأرض وأباطرة الدول الكبرى بهذه الآية الكريمة « قل **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله » (٥) فيفهمون — بهذه الآية وحدها — أي حياة ينشد ، وأي مجتمع يريد . ثم لما قام المجتمع الإسلامي في المدينة ، جاء التشريع المفصل لكل نواحي الحياة .**

وليست الأديان وحدها هي التي اقتصرت على المفاهيم الكلية ، والمبادئ العامة . فكل الحركات (الايديولوجية) الكبرى كانت كذلك .

فالثورة الفرنسية الليبرالية ، إنما جمعت الناس حول مبادئ ثلاثة : الحرية ، والإخاء ، والمساواة . وفهم أنصارها وخصومها ماذا تعني هذه الكلمات ، وعرفوا من خلال هذا الشعار القسمات العامة لوجه المجتمع الجديد .

ولهذا أقول : إن مطالبة الدعاة إلى نظام الإسلام وحدهم بالحلول الجزئية ، والمناهج التفصيلية لكل شيء ، ضرب من التعسف والتزمت ، لا يقبله منطق ، ولا يرضاه منصف ، ولم تقدمه أية ايديولوجية جديدة . فضلاً عن إيديولوجية قديمة أصيلة مرتبطة بعقيدة المجتمع ومشاعره وتراثه .

ولنأخذ « الماركسية » مثلاً ، هل كانت أعدت لكل أمر عدته . ووضعت لكل جانب من الحياة برنامجه المفصل ؟

كلا ، بل كانت ترفض ذلك ، وكان كل همها موجهاً إلى الجانب السلبي ، أي الجانب الذي يجب أن تزيله وتهدمه في الحياة القديمة . أما ماذا يجب أن تبنيه ، فلم يضع ماركس ، ولا لينين ، أي تفصيلات للمجتمع الذي ينشدانه .

وقد علقت على ذلك الكاتبة الماركسية « روزا لوكسمبرج » فقالت : « إننا نعرف ماذا يجب أن نزيل أولاً ، كي نحرر الطريق ، ونعدها لاقتصاد اشتراكي . ولكن عندما نتطلع إلى الخطوات الجزئية ، والعملية الضرورية ، لإشادة المبادئ الاشتراكية في الاقتصاد والقانون ، وجميع العلاقات الاجتماعية لا نجد مفتاحاً لذلك في أي من الكتب الاشتراكية . ليس في الأمر نقص ، بل ميزة تجعل الاشتراكية العلمية متفوقة على الاشتراكية المثالية . في إمكان المجتمع الاشتراكي أن يكون — بل يجب أن يكون — نتاجاً تاريخياً ينشأ عن تجارب الاشتراكية الخاصة ، ويظهر أثناء تحقيقها . فتطور التاريخ تطوراً حياً ينطوي دائماً على إنتاج الحل المناسب لكل حاجة اجتماعية حقيقية » .

ثم تنتهي « لوكسمبرج » إلى القول : « بأنه من الممكن تخطيط الوجه السلبي ، وجه الهدم ، وإعلانه بقرار ، ولكن ليس بالمستطاع تحقيق البناء — أي الناحية الإيجابية — عن طريق القرارات ! » (٦) .

ومن هنا يقرر « فدلوب ميلا » : أن « ماركس » كان « بخيلاً » جداً في تحديد المجتمع الجديد ، وفي امتناعه عن إعطاء أية صورة واضحة عنه (٧) .

أما « سوريل » فيقول : إننا لن نتهم بالترديد مهما كررنا القول بأن الماركسية تنقض أية فكرة عن المجتمع المقبل ، كما تصوره الاشتراكيون المثاليون ، لأن رفض أي تحديد له يشكل أحد العناصر الرئيسية الأولى في الماركسية » (٧) .

كتب « ماركس » عام ١٨٦٩ م إلى صديقه « بيسلي » — الذي نشر مقالاً عن مستقبل الطبقة العاملة — رسالة يقول فيها : « إنه كان يعتبره — قبل هذا المقال — الثوري الانجليزي الوحيد ، ولكنه أخذ يعتبره رجعياً بعدئذ ، لأن أي اشتراكي يرسم خطة للمستقبل يكون رجعياً ! » (٧) .

كل ما أكدت عليه الماركسية هو تربية

هذا ما نردّ به على المجادلين والمناورين من خصوم الإسلام

« البروليتاريا » تربية ثورية ، حتى إذا تولت هي زمام السلطة ، وتحققت دكتاتوريتها ، برز المجتمع الشيوعي آنذاك ، دون أي توجيه أو تنظيم أو مشروع ، لأن مشاريع من هذا النوع هي من صفات المثاليين !

اعتبر « ماركس » ـ كما يلاحظ سوريل وغيره ـ أن البروليتاريا لا تحتاج إلى دروس من مخترعي الحلول للمشاكل الاجتماعية ، بل تسلم الانتاج حيث تتركه الرأسمالية . فليست هناك أية حاجة لبرامج عن المستقبل ، لأنها تبتدئ تدريجياً في المعامل .(٨)

وهـذا الاتجـاه النظري لمؤسس (الاشتراكيةالعلمية) يؤكده الواقع التاريخي لتطور الاشتراكية .

يقول مؤلفو « علم الاقتصاد الحديث » (٩) : « لقد ركز كل من « ماركس » ، و « لينين » ، اهتمامهما في العقائد الاقتصادية والاجتماعية . ولذلك عند ما تسلم « البولشفيك » زمام السلطة عام ١٩١٧م لم يكن أمامهم أي مخطط جاهز للنظام الاقتصادي الذي ستنشئه ديكتاتورية العمال . وقد حاولوا لفترة قصيرة تطبيق نظرية ماركس في « القيمة المنبثقة من العمل » ولكنهم تخلوا عن هذه المحاولة . وأظهر « البولشفيك » براعة سياسية أمنت لهم البقاء في الحكم ، وأخذوا يطبقون التجارب على مر « السنين حتى أنشأوا النظام الحالي » .

والعجب بعد هذا كله أن نجد من يجادل دعاة الفكرة الاسلامية حول صور تفصيلية للمستقبل الذي ينشدون ، ويورطونهم في أسئلة متلاحقة عن الحلول الجزئية ، والبرامج المفصلة لكل صغيرة وكبيرة من شئون المجتمع ، ومناحي الاقتصاد والقانون والتعليم والآداب والفنون .. و .. و ..

وكثيراً ما سمعنا منهم هذه الأسئلة : ما موقفكم من البنوك : التجارية والصناعية والزراعية والعقارية والاستثمارية .. الخ ومارأيكم في مشكلات الاسكان والماء والكهرباء والصحة والمجاري .. والاستيراد والتصدير ، وأزياء النساء و (التواليت) و (المانوكير) وأزمة المواصلات ، وخطف الطائرات . و.. و.. الخ ؟؟ ! !

إن بحسبنا أن نقول : إننا نحارب الإلحاد والإباحية ، والخلاعة والتهتك ، ونرفض الربا والاحتكار ، والخمر والميسر ، والإثم والبغي بغير الحق ، وسائر المنكرات التي حرمها الإسلام ، ولم تعد خافية على أي مسلم .

بحسبنا أن نعلن : أننا نريد مجتمعاً وصفه الله بقوله : « والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله » (١٠) وبقوله « وأمرهم شورى بينهم » (١١) .

بحسبنا أن نبين ملامح المجتمع المسلم المنشود ، ومعالم نظامه للحياة ، من الشورى في الحكم ، والعدل في توزيع الثروة ، والمساواة في تطبيق قانون الشرع ، والإخاء بين أفراد المجتمع وفئاته ، وحرية الاجتماع والقول والنقد في غير فحش ولا عدوان على حق الآخرين ، وسيادة القيم الايمانية ، والمثل الأخلاقية على كل قيمة في المجتمع ، وإعلاء رابطة الأخوة الاسلامية على ما سواها ، والعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى بدءاً بالوحدة العربية ، فالعرب هم عصبة الاسلام ، واللغة العربية هي لسان عبادته ووعاء ثقافته ، وجعل الايمان بالله وبالآخرة وبرسالة الإسلام الشاملة أساس التربية والتعليم ، ومحور التثقيف والاعلام ، وتطهير الثقافة من السموم الفكرية الغازية ، ومن رواسب عصور التخلف وإحياء التقاليد الاسلامية الأصيلة ، ومحاربة العادات والتقاليد الضارة الدخيلة ، من الميوعة والخلاعة والتحلل ، وتربية الشباب على معاني الجد والاستقامة ، والفتيات على معاني العفاف والحياء ، والشعب كله على معاني الحق والخيروالطهر والقوة والدعوة إليها والجهاد في سبيلها .

وبجوار هذا كله الاستفادة كل الاستفادة بـ« العلم الحديث » ووضع خطة للتفوق فيه ، والتبريز في كل ميادينه ، واستخدام أقصى « التكنولوجيا » المعاصرة ، لتطوير مجتمعنا ، واستغلال طاقاته الضخمة كلها المادية والبشرية ، وبناء اقتصاده وقواته المسلحة على أحدث الأسس العلمية العصرية .. إلى غير ذلك من الملامح والمعالم العامة .

وبحسبنا أن نعمل على تربية الجيل المسلم الجديد الذي يقود الاتجاه الجديد ، ويبني المجتمع الجديد على تقوى من الله ورضوان ، مستهدياً بهدي الإسلام .

أقول : هذا حسبنا ، وهو كاف للرد على المجادلين والمناورين من خصوم الاتجاه الإسلامي ، وبخاصة الماركسيون واليساريون منهم .

ومع هذا لم نكتف بالملامح والخطوط العريضة ، بل قدم الإسلاميون ـ كما ذكرت ـ كثيراً من الحلول والصور التي لا تخلو من تفصيل ، قطعاً للألسنة المارية ، وزيادة في البيان والايضاح ، وإقامة للحجة على المرتابين والمتوجسين من قدرة الفكر الإسلامي على مواجهة الحياة الحديثة ، والعلم المتطور ، والمجتمع المتغير ، بحلول وعلاجات تواكب تقدمه ، وتوائم تطوره ، وتهديه سبله ، وبعد هذا البيان لا عذر لمتخوف ولا مرتاب .

حقائق يجب أن تعلم

وأحب أن أنبه هنا على بعض أشياء قد تغيب عن بعض الناس :

أولها : أن كثيراً من المشكلات التي نعانيها اليوم ، ونشكو منها ،ونختلف في وصف علاج إسلامي لها ، قد لا تبرز أصلاً في ظل المجتمع الإسلامي الصحيح ، لأن بروزها الآن ثمرة لأوضاع غير إسلامية ، ونتيجة لمجتمع غير ملتزم بمنهج الإسلام ، ونظام الإسلام . فاذا تغيرت صفة المجتمع ، وتغيرت أوضاعه بظهور المجتمع المسلم المتوازن المتكامل ، بمقوماته وخصائصه وأوضاعه ، تلاشت تلك المشكلات أو انكمشت ، ولم تعد تكون مشكلة حقيقية .

مثال ذلك : أن غياب نظام التكافل الإسلامي بما فيه فريضة الزكاة ، وتخلي الدولة عن مسئوليتها تجاه رعاياها ، تلك المسئولية التي تتمثل في قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنا أولى بكل مسلم من نفسه ، من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً ـ أولادا صغاراً لا مال لهم ـ فإلي وعلي » (١٢) والتي جعلت عمر ابن الخطاب يفرض لكل مولود في الإسلام نصيباً في بيت المال .

أقول : إن غياب هذا النظام الإسلامي مع تعقد الحياة الحديثة ، وغلبة الأنانية على الناس ، وتفكك الروابط الأسرية ، جعل الناس يخافون على أنفسهم وعلى أولادهم من بعدهم ، مما جعلهم يرحبون بنظام التأمين الغربي على الحياة وغيرها .

وفي اعتقادي أنه لو طبق نظام التكافل الإسلامي ، وجمعت الزكاة كما يريد الإسلام ، وصرفت كما يريد الإسلام في المصارف الشرعية ، ومنها الفقراء والمساكين والغارمون . وقد وضحتها بتفصيل في كتابي « فقه الزكاة » لاستغنى الناس عن اللجوء إلى التأمين الغربي ، بكفالة الإسلام ، وتأمين الإسلام .

ثانياً : إن من الناس من يتصور أن كل ما في مجتمعنا الحالي مخالف للإسلام ، وأن كل الأنظمة والقوانين والمؤسسات ستهدم وتبنى من جديد . وهذا ليس بتصور سليم . فأكثر الأنظمة والقوانين والمؤسسات القائمة ستبقى ، ولكن بعد أن تنقى من العناصر الغربية المناوئة للإسلام ، وتطعم بالعناصر

الإسلامية الخالصة ، وبهذا تكتسب الشرعية ، وتستحق البقاء باسم الإسلام .

لنأخذ مؤسسة (كالسينما) مثلاً ، فهل يهدم النظام الإسلامي دور (السينما) ؟ أو يبقيها مثلا لغير المسلمين ، ويحرمها على المسلمين ؟ .

كلا . إن نظام الإسلام لا يمنع قيام دور للسينما ، لكن مع بعض القيود ، مثل :

١ ـ أن يكون عددها معقولاً وملائماً لمجتمع جاد ، لا مجتمع عابث .

٢ ـ ألا تكون أداة لإثارة الشهوات الدنيا ، وتحطيم القيم العليا ، وإفساد أخلاق الشبان والشابات ، وإفساد العقول بالأفكار الدخيلة المخالفة لعقائد الأمة ومفاهيمها ، ولهذا كان لابد من انتقاء (الأفلام) التي تعرضها ، وتوجيه المؤلفين والمخرجين والمنتجين إلى النافع منها ، سواء كانت توجيهية أم ترفيهية . أما (الأفلام) المخربة والغثة فلا موضع لها في مجتمع صاحب رسالة .

٣ ـ ألا تصادم مواقيت الصلوات ، فلا يجوز أن يبدأ عرض فيلم قبيل المغرب لينتهي بعد العشاء . حتى لا يكون المجتمع ممن أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات .

٤ ـ ألا تتخذ أعشاشاً للغرام ، وأوكاراً للمنفلتين والمنفلتات من قيود الفضيلة .

٥ ـ ألا تتخذ وسيلة لابتزاز أموال الشعب ، نتيجة لاحتكار طائفة من الناس لها ، وبيع تذاكرها بأغلى الأثمان ، دون رقيب ولا حسيب .

هذا مثل واحد أذكره هنا ، وهو كاف للتدليل على ما أريد .

ثالثاً : إن قيام نظام إسلامي في مجتمع لا يعني تغيير كل ما يراد تغييره فيه ما بين عشية وضحاها ، فمن الناس من يتصور أنه ـ بمجرد انتصار الاتجاه الاسلامي ، والعودة إلى تطبيق شريعة الله ـ لا يطلع صباح اليوم التالي ، إلا وقد صدرت الأوامر بإغلاق المصارف (البنوك) ، وتسريح موظفيها ، وفرض الحراسة على ممتلكاتها ، .. الخ ، وتبعاً لهذا التصور يتوقعون زلزلة الاقتصاد ، وتعطيل المصالح ، واختفاء رؤوس الأموال ، وغير ذلك من النتائج والآثار .

وهذا التصور إنما جاء نتيجة القصور في فهم المنهج الإسلامي في علاج الواقع الفاسد ، وتغيير المنكر القائم ، وبناء المجتمع الصالح .

فهناك مبادئ ثلاثة لابد أن توضع في الاعتبار عند الاتجاه إلى تطبيق النظام الإسلامي ، وإقامة المجتمع المسلم المنشود :

أ ـ هناك مبدأ « الضرورات » التي اعترف بها الشرع ، وجعل لها أحكامها ، وتقرر ذلك في قواعد فقهية عامة هي : « الضرورات تبيح المحظورات .. الضرورة تقدر بقدرها .. الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة » . ولهذا المبدأ أدلته الكثيرة من الشرع في باب الأطعمة وغيره . وهو مبدأ مسلم به .(*)

ب ـ مبدأ السكوت على المنكر إذا ترتب على تغييره منكر أكبر منه ، دفعاً لأعظم المفسدتين ، وارتكاباً لأخف الضررين . وبناء على هذا المبدأ يقرر الفقهاء طاعة الإمام الفاسق إذا لم يمكن خلعه إلا بفتنة وفساد أكبر من فسقه . ومما يستدل به لهذا المبدأ حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعائشة : « لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة ، وبنيتها على قواعد إبراهيم » (١٣) ومن ذلك إبقاؤه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المنافقين ، وترك التعرض لهم ، مع علمه بنفاق بعضهم على التعيين ، وتعليله ذلك بقوله : « أخشى أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

وفي القرآن الكريم يذكر الله ـ تعالى ـ في قصة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ : أن سيدنا هارون سكت على عبادة قومه للعجل الذي صنعه لهم السامري ، وفتنهم به ، حتى يعود أخوه موسى ، ويفصل في الأمر ، وكان سكوته حفاظاً على وحدة القوم في هذه المرحلة حتى يجيء زعيمهم . وفي هذا يذكر القرآن هذا الحوار بين موسى وأخيه هارون « قال : ياهارون ، ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ، ألا تتبعن ، أفعصيت أمري ؟ . قال : يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول : فرقت بين بني اسرائيل ، ولم ترقب قولي » (١٤) .

● من ضيّق على نفسه ضيّق الله عليه

● الحل الإسلامي واضح المعالم وليس متاهة غامضة

ولم يعترض موسى على احتجاج أخيه بهذا العذر ، مما يدل على إقراره وموافقته . وليس شيء أعظم من السكوت على عبادة عجل ذهبي من دون الله ، ولكنه سكوت موقوت ، لاعتبار مقبول .

جـ ـ مراعاة سنة التدرج : المبدأ الثالث هو مبدأ « التدرج » الحكيم الذي نهجه الإسلام عند إنشاء مجتمعه الأول ، فقد تدرج بهم في فرض الفرائض كالصلاة والصيام والجهاد ، كما تدرج بهم في تحريم المحرمات كالخمر ونحوها .

وعند تجدد ظروف مماثلة لظروف قيام المجتمع الأول أو قريبة منها ، نستطيع الأخذ بهذه السنة الإلهية : سنة « التدرج » إلى أن يأتي الأوان المناسب للحسم والقطع . وهو تدرج في (التنفيذ) ، وليس تدرجاً في (التشريع) فان التشريع قد تم واكتمل بكمال الدين ، وإتمام النعمة ، وانقطاع الوحي .

ومن الشواهد التي تذكر هنا ما رواه المؤرخون عن الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ، الذي عده كثير من أئمة الإسلام خامس الراشدين ، أن ابنه عبدالملك قال له يوماً : مالك لا تنفذ الأمور ؟! فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق !

يريد الشاب التقي المتحمس من أبيه ـ وقد ولاه الله إمارة المؤمنين ـ أن يقضي على المظالم وآثار الفساد دفعة واحدة ، دون تريث ولا أناة . وليكن بعد ذلك ما يكون . فماذا كان جواب الأب الصالح ، والخليفة الراشد ، والفقيه المجتهد ؟

قال عمر : « لا تعجل يا بني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة » (١٥) .

وهذا هو اليسر ، وتلك هي الواقعية في منهج الإسلام العظيم .

يوسف القرضاوي

هوامش :

(١) انظر : حقيقة « الوضوح » ـ من كتابنا : الخصائص العامة للاسلام . ط مكتبة وهبة ثانية .
(٢) سورة النحل : ٣٦
(٣) سورة الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦
(٤) هود : ٨٤
(٥) سورة آل عمران : ٦٤
(٦) عن كتاب : « الايديولوجية الانقلابية » تأليف د . نديم البيطار ص ٣٩٤
(٧) المصدر نفسه ص ٣٩٥
(٨) المصدر نفسه ص ٣٩٦
(٩) كتاب : علم الاقتصاد الحديث .ص ٤٤٥
(١٠) سورة التوبة : ٧١
(١١) سورة الشورى : ٣٨
(١٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة
(*) مجمع عليه . والضرورات الشرعية ليست كلها فردية ، كما قد يتوهم . فللمجتمع ضروراته ، كما للفرد ضروراته . فهناك ضرورات اقتصادية ، وسياسية ، وعسكرية ، واجتماعية ، لها أحكامها الاستثنائية ، التي توجبها الشريعة ، مراعاة لمصالح البشر ، التي هي أساس التشريع الإسلامي كله .
(١٣) رواه البخاري
(١٤) سورة طه : ٩٢ ـ ٩٤ .
(١٥) انظر : الموافقات للشاطبي جـ٢ ص ٩٤ .



بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

كانت مضيفتنا ، السيدة السويسرية الكريمة ، قد تجولت بنا في قلب مدينة لوزان ، فزرنا كاتدرائيتها التي بنيت في القرن الميلادي الثالث عشر ، وألقينا نظرة معجلة على أبنية جامعة لوزان القديمة . وفي طريقنا بالسيارة إلى جنيف أشارت بيدها إلى غابة كثيفة من الأشجار على أيمن الطريق ، تقوم فيها أبنية ضخمة متعددة ليس فيها أثر من الطراز القوطي الذي طبع لوزان بطابع العصر الوسيط . أشارت بيدها وقالت : هذه جامعة لوزان الجديدة ... لم تعد مباني القرون الوسطى كافية لاحتضان التقدم العلمي في كل مجال ، فأنشئت هذه الجامعة الحديثة لتحتضن علوم العصر الحاضر ، وسويسرا لا تقصر في ميادين البحث والتطبيق لهذه العلوم عن أكبر الدول وأغناها .

قلت أنا : ولكنني أراها أبنية متباعدة . ليس فيها تمركز الأبنية الجامعية العريقة في القدم .

قالت : هذا صحيح . بنيت العمارات في الفسحات بين مجموعات الشجر احتراماً للأشجار المغروسة في المكان قبل أن يتقرر إنشاء هذه الأبنية . الحرص على الشجر واجب وطني لا يمكن أن يتهاون فيه إنسان . وإذا قضت الضرورة الملحة بقطع شجرة واحدة فان ذلك لا يتم إلا بعد أن يقوم استفتاء عام في المقاطعة عليه .

قلت مستفهما : استفتاء عام ؟!

أجابت : نعم ، يشترك فيه سكان المقاطعة ، أو على الأقل سكان الناحية المعنية بالأمر ، فيقررون إذا كان الأفضل قطع الشجرة للضرورة الملحة ، أو الإبقاء عليها . وغالباً ما تكون نتيجة الاستفتاء في صالح بقاء تلك الشجرة الوحيدة في مغرسها ...

فطنت إلى أن استفهامي المستغرب كان في غير محله . فأنا أعرف منذ زمن طويل أن هذه هي طريقة السويسريين في تقرير الأمور المتعلقة بالمصلحة العامة ، صغيرها وكبيرها . ففي إحدى زياراتي القديمة لمدينة زوريخ حضرت استفتاء من هذا القبيل دار حول مشكلة تتعلق بساحة في المدينة يتوسطها تمثال لعظيم من رجالات المقاطعة القدماء . كان قد جرى توسيع هذه الساحة من أحد جوانبها فلم يعد موقع التمثال يحتل الوسط الهندسي لها . ومن هنا نشأت المشكلة ... هل ينقل التمثال من موقعه الحالي وينصب في الوسط الهندسي للساحة مراعاة للتناسق العمراني ، أم يترك في مكانه مراعاة لوضعه التاريخي وما تعوده الناس من رؤيته حيث هو ؟

وحلت المشكلة بأن دعي سكان زوريخ إلى استفتاء يقررون ما يرونه في شأنها . وكان الرأي القائل بإبقاء التمثال في موقعه القديم هو الرأي الغالب ، وبه أخذ من كان بيده التنفيذ .

* * *

وبالطبع فإن الاستفتاء في سويسرة لا يطبق دوماً على نقل تمثال من مكانه أو على قطع شجرة لغابة معينة . إلا أن المواطن السويسري يشترك باستفتاء على أمور مثل هذين بجد واهتمام كجده واهتمامه بالاستفتاء الذي طرحته سلطات الجمهورية الكونفدرالية في ذات يوم حول ما إذا كان الواجب أن تتزود سويسرا بالسلاح النووي أو أن تقتصر في قوتها الدفاعية على الأسلحة التقليدية . ويكاد يكون أول ما يقوم به ذلك المواطن في أيام الآحاد ، قبل توجهه إلى الناحية التي ينوي قضاء عطلة الأسبوع فيها ، هو أن يمر على مركز الاقتراع ليلقي الورقة التي تحمل رأيه في الاستفتاء المطروح في ذلك الأسبوع .

وأذكر اليوم كذلك أن أمراً آخر ، غير الاستفتاء على نقل التمثال ، أثار في نفسي استغراباً كما ساق الابتسامة إلى شفتي ، في زيارتي القديمة تلك لزوريخ . ذلك أني قرأت آنذاك في إحدى صحفها إعلاناً عن دعوة للترشيح لمنصب عضو في مجلس بلدية إحدى قرى المقاطعة . كان الإعلان يعدد الشروط التي يجب أن تتوفر في المرشح ، من عمر ودرجة تعليم وسواهما من المؤهلات ، ويضيف بعد ذلك هذه الجملة ، «ويفضل من يحسن العزف على الكلارينيت نظراً لافتقار فرقة القرية الموسيقية لعازف على هذه الآلة » !

بديهي أن ترتسم الابتسامة على شفتي لقراءة هذا الشرط التفضيلي . فما عودتنا الانتخابات في بلادنا ، ولا في بلاد العالم الأخرى ، على شروط من هذا اللون . ولكن السويسريين لهم نظرتهم الخاصة إلى الحياة وشؤونها . إنها نظرة شعب يبدو للمتطلع إليه من بعد مجبولاً على الاختلاف ، وذلك لتعدد لغات أبنائه وتباين مذاهبهم الدينية

● يُفَضَّل في عضوية مجلس المدينة من يُحْسِن العزف على آلة موسيقية

وانتماءاتهم التاريخية والجغرافية . ولكنه الشعب الذي نبذ مفهوم الاختلاف من سلوكه منذ زمن طويل . فقد مرت القرون عليه وهو يعيش في سلام وحياد ، متجنباً الانزلاق إلى محارق التهلكة وإلى الحروب التي انزلقت إليها البلدان المحيطة به ، وبلاد العالم الأخرى . في ركضها وراء الأمجاد الزائفة والأطماع الجشعة أو بدافع الايديولوجيات الضيقة . ومن المعروف أن سويسرا ، على بعد عهدها بالحروب واحترام دول العالم لحيادها ، لا تنام على وعود السلامة والاطمئنان إلى المواثيق الدولية . بل إنها تتجهز للحرب وتتسلح لها تجهز وتسلح من يرى تلك الحرب منه قاب قوسين أو أدنى .

وإذا أضفنا إلى سلام سويسرا وبعدها عن الاضطرابات من خارجية وداخلية . إذا أضفنا إلى ذاك جمال طبيعتها الفاتن وبحبوحة العيش التي يرتع فيها سكانها ، والنظافة والأمانة والوداعة التي يتصف الناس بها فيها ، بدت لعين الزائر الغريب ، كما بدت لي في زيارتي الأخيرة لها ، كأنها جنة الله في أرضه ...

فهل سويسرا كذلك حقيقة ؟

* * *

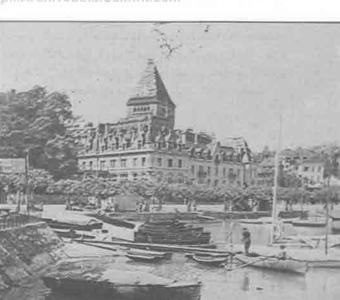
كنا نتحدث في هذا حول مائدة الغداء في جنيف ، ورحت من ناحيتي أعدد النعم الدنيوية ، التي يتمتع بها السويسري والسويسرية في هذه الجنة الأرضية . قال أحد جلوس المائدة ، وهو سفير عربي سابق اختار العيش في جنيف بعد اعتزاله المنصب :

● استفتاء بين المواطنين للحصول على رأيهم في قطع شجرة من الأشجار

ـ كل ما عددته ، في حماس ، عن النعم التي سميتها دنيوية في هذه البلاد ، صحيح . هل سمعت بخط الزلازل الذي يحيط بالكرة الأرضية مائلاً على خط الاستواء ؟

قلت : سمعت به ... خط وهمي يبدأ بالشيلي ماراً بأمريكا الوسطى والبحر الكاريبي ، ثم بساحل الجزائر وجنوبي إيطاليا ، ويخترق اليونان وشمالي تركيا حتى ينتهي بأرخبيل اليابان التي لا تهدأ فيها الاهتزازات الأرضية ، إذا لم تتحول الاهتزازات إلى زلازل لا تبقي ولا تذر . ولكن ... ما دخل هذا الخط بنعمة العيش في سويسرا ؟

قال السفير السابق : في سويسرا خط يشبه الخط الذي وصفته يدعى بخط الانتحار . خط وهمي يبدأ بجنيف ويمر إلى الشرق من لوزان



مخترقاً ، برن ، العاصمة حتى يتلاشى في شمال البلاد . سمي هكذا لأن نسبة الانتحار بين سكان المدن التي تقع عليه تفوق كل نسبة ، لا في سويسرا وحدها ، بل في بلدان كثيرة غيرها .

قلت : الناس في جنيف وفيما حولها ينعمون بخير ما ينعم به الناس في أي بلد زرته في العالم . ما الذي يدفعهم إلى الانتحار ؟

قال : لا أحد يعلم الدوافع على التحقيق . جو هذه المدينة وأمثالها ، على خط الانتحار ، جو خانق من الناحية النفسية لمن يعيش فيها بصورة مستمرة . هناك جوانب في النفس الإنسانية تتأثر بمؤثرات يجهلها العلماء والباحثون ، غير كفاية الغذاء والأمن الاجتماعي والسياسي .

كان فيما قاله السفير العربي السابق جانب من الحقيقة غير قليل . وقد أكده لي حديث صديقي الطبيب السوري الأصل ، الذي يحمل جنسية سويسرية خولته العمل في مركز طبي مرموق في جنيف . زرت هذا الصديق في مقر عمله فغبطته على ما تحت يده من تجهيزات علمية في ذروة التقدم ، وعلى أناقة مكتبه ومقدرة سكرتيرتيه الجميلتين . وهنأته على توفيقه في ملء هذا المركز بكفاءة . قال لي : بقي لي من العمل فيه هنا سنتان ، أستحق بعدهما راتب تقاعد مجز وأعود لأعيش في... حلب ! قلت مستغرباً : في حلب ؟! أنت يا صاحبي سوري المولد حقاً ، إلا أنه ليس لك في سورية عشيرة أو أسرة تلزمك بالعودة إليها ... حتى أرومتك ليست عربية في أصلها ... ثم إن زوجتك الفاضلة سويسرية ولك منها ابنة وحيدة تزوجت من سويسري ، مدرس في الجامعة ، في مطلع الصيف الفائت ... فما الذي يدفعك إلى أن تهجر هذه البقعة التي نغبطك على الحياة فيها وتعود إلى مكابدة ما نكابده في شرقنا المسكين ؟

قال وهو يباعد ما بين ذراعيه علامة الضيق والتبرم : أنت لا تدري يا صاحبي ... الجو هنا لا يطاق .. لا يطاق !

* * *

ليس من شك إذن في أن في جو جنيف ، وفي العيش على ذلك الخط الوهمي الممتد منها إلى العاصمة برن ، رغم كل طيبات الحياة المتوفرة فيهما ، شيئاً لا يطاق ! ماهو سر ذلك الشيء ؟ لعل جامعة لوزان الجديدة التي رأيت أبنيتها مبثوثة بين مجموعات من الشجر لا تقطع واحدة منها إلا باستفتاء ، لعل هذه الجامعة ستكشف في يوم قريب هذا السر في مخابر أبحاثها وعلى أيدي علمائها الأفذاذ . أم تراه سيظل سراً مغلقاً لأن جنة الله الكاملة الأوصاف لا يمكن أن توجد على أرض البشر في هذه الدنيا ، ولو كانت هذه الأرض في سويسرا نفسها !؟

« الرقة ــ سورية »



قصة لقائي مع جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٨



عدوان حزيران عام ١٩٦٧ ، دماؤنا تقطر من حدي سكين الطعنة المباغتة ، الواقع الجديد يصيبنا بالشلل والذهول ، وأرواحنا تضطرب تحت الممارسات القمعية من قبل الجيش الاسرائيلي .

بضعة أسابيع ، شهران أو أقل بقليل ، نسترد بعدهما وعينا وتبدأ مرحلة الرفض والمقاومة ، ويبدأ تعاملنا مع التحديات الصعبة .

يظل الشعر هو الرد الأدبي الأسرع على الأحداث والتحديات ، ذلك أنه بطبيعته لغة الانفعال والاشتعال العاطفي : من هنا فهو بالتالي أكثر تلقائية من أشكال التعبير الأدبية الأخرى ، كالقصة ، والرواية مثلا ، فهذه أو تلك تحتاج إلى البعد الرابع ، البعد الزمني ، كما أنها تحتاج إلى حال من الهدوء ، ناهيك عن الاختمار الفكرى ، قبل أن تخرج عملاً أدبياً يقوم بالدور الفعال والدعوة إلى تغيير الواقع الجديد البشع .

وهكذا ، سرعان ما بدأ اندماجي بالجماهير في لقاءاتي الشعرية معهم ، تلك اللقاءات التى كانت الهيئات الوطنية تنظمها سراً في مختلف بلدان الأراضي المحتلة ، كالقدس ورام الله والبيره وبيت لحم وغزة وبيت جالا ، وكان يتم ذلك بحضور رؤساء بلديات تلك المدن لندواتي الشعرية .

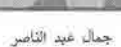
في اليوم التالي لأمسيتي الشعرية في بيت جالا ، تبين أن بعض اليهود الشرقيين من رجال المخابرات الاسرائيلية كانوا قد اندسوا بين الحضور ، وهؤلاء يصعب تمييزهم عن أبناء العرب . فقد فوجيء رئيس البلدية السيد « البندك » وبعض الرجال البارزين ممن حضروا الأمسية ، فوجيء هؤلاء بالحاكم العسكرى في بيت جالا يستدعيهم واحداً واحداً ، حيث أنحى باللوم الشديد على رئيس البلدية لموافقته على تنظيم تلك الندوة وحضوره وحماسه لها . ثم التفت إلى المرحوم توفيق قطان أحد رجال الأعمال البارزين في الضفتين ، التفت إليه قائلا : « وأنت أنت ابن السبعين عاما ، إذا كانت قصائدها قد أثارت حماسك إلى ذلك الحد ، فكيف بتأثيرها على جيل الشباب ؟ » .

أما عضو البرلمان الأردني السيد ربحي مصطفى ، فقد خاطبه الحاكم العسكرى بكلمات حادة ومما قاله : « أترى كان اندفاعك إلى المنصة ومصافحتك الحارة لها بدافع الاعجاب بشخصها أم بأشعارها ؟ » .

بعد ذلك بأيام قليلة قام وزير الدفاع موشيه دايان بجولة من جولاته ، وفي بيت جالا استدعي رئيس البلدية مرة أخرى إلى دائرة الحاكم ليستمع إلى دايان منذراً ومحذراً إياه من تكرار تنظيم مثل ذلك اللقاء الشعرى مع الجماهير في بيت لحم أو بيت جالا حيث الهدوء واستتباب الأمن ، فحذار من اللجوء إلى مسببات التهييج والإثارة في هذه المنطقة » .

في الأسبوع الأول من أكتوبر عام ١٩٦٨ اكتشف الاسرائيليون كمية هائلة من أنواع المتفجرات





جمال عبد الناصر



أنور السادات



جيهان السادات

المختلفة فى أحد بيوت البلدية القديمة بنابلس ؛ فجاء وزير الدفاع يركض إلى نابلس غاضباً مستفزاً . فقد كانت مدينة بيسان قد ضربت بشدة بصواريخ الفدائيين قبل اكتشاف المتفجرات بيوم واحد فقط . جاء دايان ليطلب من رئيس بلدية نابلس آنذاك ، حمدى كنعان ، استدعاء بعض رجالات المدينة .

قال دايان للمجتمعين : ما الذي تريدون يا أهالي نابلس ؟ هل تريدون مقاتلة اسرائيل ؟ إذن تفضلوا وافعلوا إن كنتم قادرين على ذلك . أنا لا أطالبكم بالتعامل معنا ، ولكن عليكم على الأقل أن تحرصوا على سلامتكم . فهذه المتفجرات التى وجدناها اليوم لو أن لغماً واحداً منها انفجر لكان كافياً لتدمير نصف نابلس ، ثم هناك تلك الشاعرة التى تكفى كل قصيدة من قصائدها لخلق عشرة من الفدائيين .

هنا رد عليه رئيس البلدية قائلاً : ماذا تتوقعون غير ذلك ؟ إن ردة الفعل لدى أى بلد محتل ، وفى أى جزء من أجزاء العالم ، هى مقاومة الاحتلال ورفضه .

قبل مغادرته لدار البلدية التفت دايان إلى رئيس البلدية قائلاً : أريد مقابلة فدوى طوقان ، وبعد الظهيرة وفد على ابن عمى قدرى ليخبرنى بأننى مطلوبة لمقابلة وزير الدفاع . وبالفعل تم تحديد موعد المقابلة بين رئيس البلدية وديفيد فارحي مستشار دايان فى شؤون الضفة الغربية .

بعد ظهيرة اليوم المحدد للاجتماع : انطلقت بنا سيارة رئيس البلدية فلفت نظرى أنها اتجهت غرباً ، وكان توقعي أن تتجه شرقاً حيث الطريق إلى القدس . سألت : إلى أين ؟ قال : إلى تل أبيب .

ساعة وبعض الساعة : عرجت السيارة بحي فى احدى ضواحي تل أبيب ، لتقف أمام أحد البيوت هناك ، وليفجأني مرآى دايان وقد بسط راحتيه مرحباً بالقادمين .

انتفضت أعماقي استياء واستغراباً .

فى بيته إذن ؟!

ياللتناقض ويا للمفارقة !

أنا التى أمثل بقصائدى الرفض ومقاومة الاحتلال أمضي إلى دايان فى بيته ، وكأنني أقوم بزيارة خاصة لوزير الحرب ممثل الاحتلال والعدوان ؟

ما العمل ؟ وكيف أتصرف ؟ مصيبتي الكبرى هى هذه الطبيعة الخجول وهذا العزوف الغريزى عن اتخاذ المواقف التى قد توهم الآخرين ، ممن لا يعرفونني على حقيقتي ، بأنها مواقف استعراضية . فهل أعاند وأصر على رفض الدخول إلى المنزل ؟ أو ليس فى هذا ما يحرج رئيس البلدية والذى كان عليه أن يخبرنى سلفاً عن مكان اللقاء ؟

الله يشهد هنا أنني كثيراً ما أجدني قد ورطت نفسي فيما لا أحب من الأمور ، لأجنب الآخرين ما قد أسببه لهم من إحراج ..

تقدمنا دايان ليمضي بنا إلى غرفة الجلوس الغاصة رفوفها بالقطع الأثرية . هناك عرفني على اثنين من مستشاريه : ديفيد فارحي وديفيد زخريا . لم نكد نتخذ مقاعدنا حتى دخلت زوجته وابنتها ياثيل دايان الكاتبة الروائية لتسلما علينا ببشاشة وترحيب .

لم يلبث دايان أن بدأ الحديث معي قائلاً — وقبل أن يجلس — : أنت تكرهيننا ، لقد قرأت قصائدك مترجمة إلى العبرية ، إنها تفيض بمشاعر الكراهية وبالكلمات العاصفة .

قال ذلك ثم اتخذ له مقعداً قريباً مني .

قلت : لست أكرهكم كيهود ، لكنى أكرهكم كمحتلين . إنني من الذين يؤمنون بحق اليهود فى حياة كريمة بعد الذي عانوه فى أوربا ، نعم ، لقد عانوا كثيراً ، لكن لماذا نكون نحن الفلسطينيين من يدفع الثمن ؟ لقد ذهبت بعد الحرب إلى حيفا ويافا فهزني ما رأيت من بيوت العرب المهجورة ، ومن ركام الدور المهدمة ، والتى ما تزال أطلالها ماثلة منذ حرب ١٩٤٨ ، كما حزني ما رأيت من سوء حال العرب المقيمين هناك وفى اللد والرملة والقرى التى زرتها ؛ فلم أملك الا أن أعبر عن مشاعرى تجاه وطني وتجاه شعبنا ، أتراك تلومني على ذلك ؟

قال : كلا ، لست ألومك ، بل إنني أقدرك ، وأتمنى لو أن لدينا شعراء وطنيين مثلك ، لكن ما هي النتيجة ؟

قلت : أعتقد أنكم لو تنسحبون من أراضينا المحتلة فإنكم ستمهدون بذلك سبيلاً إلى الحل .

قال : كيف ننسحب وهناك لاءات جمال عبد الناصر فى الخرطوم : لا سلام ولا اعتراف ولا مفاوضات .

قلت : لقد ألغيت هذه اللاءات الثلاث تلقائيا منذ قبل عبد الناصر بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

قال : لقد انسحبنا من سيناء ومن غزة عام ١٩٥٦ ومع ذلك لم تحدث تسوية ، وبقيت المشاكل قائمة . لن يجلس عبد الناصر معنا على مائدة مفاوضات ، وعليكم أن تكونوا فخورين به . أنا متأكد أنه لا يوجد زعيم باستطاعته التأثير على جمال بهذا الصدد . ونحن باستطاعتنا التحدث مع بعض الزعماء لو أن فى مقدورهم التأثير على عبد الناصر . الفلسطينيون وحدهم هم القادرون على أن يؤثروا عليه .

هنا التفت إلى ابن عمي قدرى قائلة : هل تفعل ذلك ؟ فقال دايان : افعلي أنت ذلك . ورد عليه رئيس البلدية قائلاً : ما الذي سيقوله الفلسطينيون لعبدالناصر فيما أنتم ترفضون الانسحاب من القدس وسيناء وهضبات الجولان وو .. الخ ..؟

قال دايان : إنني الابن الروحي لبن غوريون ، وأتبنى أفكاره ، ولقد صرح بن غوريون قبل أسبوع فى الكنيست وفى مؤتمر صحفي ، قائلاً : إنه لا يهمه حجم إسرائيل لو ظل صغيراً ، إن كل ما يريده هو حدود آمنة ومعترف بها .

قصة لقائي مع جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٨

عندئذ سألته : وماذا عن اللاجئين ؟

قال : في حال عودتهم لن يبقى هناك شيء اسمه اسرائيل .

قلت : حتى لو وافقتم على عودتهم فلن يرغبوا جميعاً في العودة .

قال : نحن نصر على رفض إعادة أي عدد منهم مهما قل ، وعلى فرض الموافقة فسوف نكون نحن من يختار أسماء العائدين .

انتقل الحديث بعد ذلك بينه وبين قدري حول مناهج التعليم في الضفة . والتي كان في نية دايان تغييرها بعد الاحتلال مباشرة لولا تصدي قدري لهذا الأمر ، بحيث اقتنع دايان بحذف بعض الصفحات فقط وليس التغيير (أو التهويد) الشامل . كما دار الحديث بينه وبين رئيس البلدية حول شؤون البلدية في نابلس .

قبل انتهاء الاجتماع الذى استمر من الثالثة حتى الخامسة مساء سألني دايان : هل هناك شيء أستطيع أن أفعله ؟

قلت : أرجو أن تعيدوا السيدة زليخا الشهابي التي أبعدها الحكم العسكري إلى عمان ، إن شقيقها العجوز في القدس مريض وليس له من يرعى شؤونه سواها .

قال : أنا لا علاقة لي بالقدس ، نعم ، إن الشعب الاسرائيلي يحبني ، غير أني لا أعرف إذا كان لي قوة تأثير على المسؤولين في القدس لكني سأحاول المساعدة لإعادتها إلى بلدها . ــ وقد أعيدت فعلاً إلى القدس بعد أقل من عشرة أيام ــ .

وقلت له أيضاً إن السجينات الفلسطينيات في اسرائيل مثل عبلة طه ولطفية الحواري والآنسة جوده وسواهن : يعانين من التعذيب والممارسات القمعية الرهيبة . فنفى ذلك قائلا إن هناك أوامر بعدم التعذيب في السجون .

هنا قالت ابنته يائيل : بلى هنالك تعذيب .. أنهم يضعون الفتيات العربيات مع السجينات اليهوديات « العاهرات » ولهؤلاء دورهن ، ويمارسن أساليبهن الخاصة في تعذيب الفتيات السجينات من العرب .

قبل مغادرتنا قدمت إلي يائيل روايتها Death Had Two Sons مع عبارة اهداء تقول فيها : « على أمل تفاهم أفضل على الأقل » . فأرسلت إليها بالمقابل احدى مجموعاتي الشعرية ، فلقد قدرت لها صدقها وصراحتها في تصديها لأبيها بشأن تعذيب السجينات الفلسطينيات حين أكدت حقيقة ذلك التعذيب .

في طريق عودتنا أخبرت ابن عمي قدري ورئيس بلدية نابلس أنني لا أحب أن يبقى أمر ذلك اللقاء سراً مخفياً ، حتى لا تثار حوله في المستقبل الإشاعات والأقاويل ، إذ لابد من انتشاره في الأخير بطريقة أو بأخرى وعلى غفلة منا .. فلابد لي من توضيح الأمر على حقيقته وكما وقع . وهكذا تم لي اجتماع في مصبنتنا ببعض المهتمين بالشؤون الوطنية حدثتهم فيه عما جرى بين دايان وبيني ، فلم ير أحد منهم بأساً فيما جرى ، فقد سبق أن اجتمع دايان بعديد من رجال الضفة الغربية بقصد الحوار وجس النبض من خلال تبادل الأفكار وتتبع آراء المهتمين من أهالي الضفة بالقضية المعاشة وبالواقع الجديد .

* *

كان من عادتي قضاء بضعة أسابيع في القاهرة في بدايات فصل الشتاء بين عام وآخر وكلما تيسرت لي الظروف . لقد ظلت هناك علاقة نفسية قائمة بين القاهرة وبيني ، فمن خلال صحافة مصر الأدبية ، وبالذات مجلة « الرسالة » لصاحبها أحمد حسن الزيات رحمه الله ، انتشر شعري وعرفني قراء العالم العربي ، مما كان عاملا مؤثرا شجعني على الثبات والاستمرارية في مسيرتي الشعرية ، ولسوف أظل مدينة لمصر العظيمة ، حافظة لها جميلا لا ينسى . وإذا كانت قدمي لم تطأ أرض القاهرة منذ رحيل الزعيم العظيم جمال عبد الناصر ، فإن مصر عبد الناصر ستبقى في القلب وفي القلب أبداً .

في ديسمبر عام ١٩٦٨ توجهت إلى مصر في زيارة استجمام عادية ، دون أن يجرى في بالي ولا حسابي السعي للاجتماع بعبدالناصر ، ولسوف تتضح الأمانة والصدق في قولي هذا بالحديث التالي عن الظروف التى عملت وهيأت للقائي به دون أية نية مسبقة لدي أو مبادرة مني .

كنت قد شرعت بعد الاحتلال الاسرائيلي في تسريب قصائدى إلى مجلة الآداب في بيروت ، والى الشاعر فاروق شوشة في مصر الذي راح يذيعها من خلال برنامجه المسائي الشهير (لغتنا الجميلة) . كما كانت السيدة سامية صادق كثيراً ما تنشد قصائدى في برنامجها (حول الأسرة البيضاء) ، ويوم التقيت بزوجها في مؤتمر الكتاب الافريقيين الآسيويين ببيروت قبيل حرب حزيران بقليل نقل إلي إعجابها وحبها لشعري . وهكذا تملكتني وأنا في القاهرة رغبة في انتهاز الفرصة للقيام بالتعرف الشخصي عليها وعلى الشاعر العزيز فاروق شوشة والذي أحببت دائما شعره المتميز بالرهافة والصدق والجمال . وفي دار الاذاعة المصرية التقينا ، كما ضمت الجلسة بعض المذيعين والشاعر الكبير المرحوم صلاح عبد الصبور . وقبل أن أجيب على سؤالهم عن اجتماعي بدايان بادرني الشاعر فاروق شوشة بقوله إنه لم يلتفت لأحد موظفي الرصد الاذاعي حين هرع إليه فور إعلان الاذاعة الاسرائيلية لنبأ الاجتماع بدايان ، هرع إليه طالباً منه الكف عن إذاعة قصائدى .

وفي حفل عشاء دعاني إليه الأستاذ أحمد بهاء الدين في بيته سألني بعض المدعوين عن القصة فسردتها بحذافيرها .

لم يكد يمضي يومان على حفل العشاء حتى فوجئت بالسيدة جيهان السادات ترحب بي هاتفياً إذ علمت بوجودي في القاهرة من صديقتها السيدة ديزي زوجة الأستاذ أحمد بهاء الدين وقد دعتني الى تناول فنجان شاى برفقة السيدة ديزي ، ثم أردفت : وها هو أنور يضم صوته إلى صوتي ويقول لي « لا تكوني أنانية ، أنا كذلك أحب أن أراها » فشكرت للسيدة جيهان جميل ترحيبها معبرة عن سعادتي بتلبية دعوتهما الكريمة .

في اليوم التالي مضيت برفقة السيدة ديزى إلى بيت المرحوم أنور السادات ، وحول فنجان الشاى دار الحديث عن أوضاعنا في الضفة ، ثم تفرع ليدور حول قصة لقائي بدايان . وسألتنى السيدة جيهان عما إذا كان قد سبق لي لقاء بالرئيس فأجبتها بالنفي . قالت : هل تحبين اللقاء به ؟

قلت : هذا حلم حياتي منذ حرب السويس ، بالرغم من أنني لم أسع يوما إلى محاولة تحقيق هذا الحلم وذلك من منطلق ادراكي أن زعيماً مشغولاً مثله بقضايا مصيرية كبيرة ليس بامكانه مقابلة كل من رغب في لقائه .

هنا قال المرحوم أنور السادات : « سأقوم بترتيب موعد لك مع الرئيس » فشكرته من أعماقي .

مرت أيام قليلة ، اتصلت بي بعدها السيدة جيهان هاتفياً لتقول لي إن الرئيس سيكون في انتظاري في بيته بمنشية البكري في الساعة العاشرة صباح يوم الجمعة . كان ذلك اليوم المحدد أول أيام رمضان .

* *

في بيته المتواضع ، وفي غرفة الاستقبال البسيطة ، والخالية من أي مظهر من مظاهر الفخفخة : جلست أنتظر ، تائقة : متطلعة .

دقيقتان ، وأقبل على الراحل العظيم بخطواته الواثقة ، وإطلالته المهيبة الجميلة . فنهضت مسرعة إليه ، وحين مددت يدى للمصافحة أخذ راحتي بين راحتيه مبتسماً مرحباً .



أحمد بهاء الدين







صلاح عبد الصبور



فاروق شوشة

جلس على مقربة منى ، وبدأ الحديث بالسؤال عن أحوالنا فى الوطن . فرسمت له صورة شاملة عن تلك الأحوال ، كما حدثته عن تشبث الجماهير هناك بالرئيس عبد الناصر ، وهتافهم فى المظاهرات باسمه : ناصر . ناصر . ناصر . غير هيابين ولا وجلين من الجيش الاسرائيلى الشرس . وهنا ذكر لي أنه ما كان ليقبل بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لولا حرصه البالغ على انقاذنا من قبضة الاحتلال الصهيوني ، كما ذكر لى أن دين رسك ، وزير خارجية أمريكا حينذاك ، كان قد حثه على الوصول إلى تسوية مع اسرائيل مقابل الانسحاب الكامل من كل سيناء ، ولكنه رفض رفضا قاطعا لخلو ذلك العرض من ذكر الضفة الغربية ، واستطرد رحمه الله قائلاً : « ان سيناء بكل ما فيها من نفط وثروات معدنية لا تهمنى بقدر اهتمامي بالضفة وبسكانها . فحين مر بى الملك حسين وهو فى طريقه إلى أمريكا لأول مرة بعد حرب حزيران ، قلت له أن يرضى بأي اتفاق مع المسؤولين هناك إذا كان فى ذلك ضمان استرجاعه للضفة الغربية ، ولكن أمريكا رفضت التوصل مع الملك حسين إلى أى اتفاق » .

ثم انتقل إلى الحديث عن همومه الداخلية ، كمشكلة اللاجئين من سكان مدن القنال والأزمة الاقتصادية . قال : وها هى المظاهرات تهب اليوم فى المنصورة . لقد مرضت بعد الهزيمة . أحد عشرة يوما لم يغمض لي فيها جفن ولم أتناول فيها شيئاً من الطعام أو الشراب : مضيت إلى الاتحاد السوفيتي للمعالجة ، وطلبت من الروس سلاحاً لإعادة بناء الجيش ، ولكنهم رفضوا طلبى ، وتحت إلحاح مني وافقوا على أن لا يذهب السلاح ترانزيت إلى أيدى الاسرائيليين . وحين طلبت خبراء روسيين تشددوا فى الرفض ، لكنهم استجابوا فى الأخير ، فالجيش المصرى جاهز الآن ومكتمل ، انتظر فقط اللحظة المناسبة لضرب اسرائيل . إن لدى اسرائيل مشاكل كما لدينا . عندما كنا أطفالاً فى الصعيد كنا نلعب لعبة العض على الأصابع ، فيعض اثنان ، كل منهما على إصبع الآخر ، والذى يقول أخ قبل صاحبه يكون هو المغلوب ، ولو لم يقلها وانتظر لحظة أخرى فإن صاحبه سيقولها حتماً . إن الاسرائيليين يعانون من متاعب لا تقل عن متاعبنا . المسألة تحتاج إلى صبر .

وكان يعلق بعض الآمال على نيكسون قال : إنه صديق متفهم ومتعاطف وكنت قد استضفته هنا فى هذا البيت . وها هو قد فاز فى انتخابات الرياسة بالرغم من كون اليهود لم يعطوه إلا أقل الأصوات .

لقد تحدث رحمه الله أكثر مما تحدثت بكثير . أما موضوع الاجتماع بدايان فلم أتطرق إليه اطلاقاً ، ولا كان في نيتى أن أفعل إلا إذا سألني هو ذلك . لقد كنت على يقين من علمه بالأمر والشيء الوحيد الذى نقلته إليه هو قول دايان (عليكم أن تكونوا فخورين بعبد الناصر) .

استمر اللقاء بالرئيس ساعة وأربعين دقيقة ، ولم يحضر ذلك اللقاء أى انسان آخر . وحين نهض كلانا قلت له وأنا أصافحه وراحتي فى راحتيه : « ستظل أنت الرمز العظيم ، والأب الحاني للأمة العربية ، أنت كل شيء لنا ، وأسأل الله أن يحقق الآمال ويزيح عنك وعنا هذه الغمة » وخرجت من لدنه مشحونة بالأمل والتفاؤل .

* *

*

كان من الطبيعي أن أتحدث لأقاربى وأصدقائى عن اجتماعي بالرئيس جمال عبد الناصر ، ولم يلبث النبأ أن ذاع وشاع . ولقد فوجئت ذات يوم بمستشار دايان ، ديفيد فارحي ، ينقل إلي على الهاتف رغبة الجنرال فى مقابلتى . سألت : أين ؟ ومتى ؟ فى الحادية عشرة من صباح غد وفى فندق الملك داود فى القدس . ستجدينني فى انتظارك لدى باب الفندق .

قال دايان : « عرفت عن اجتماعك بعبد الناصر ، لست أطالبك بمصارحتى بكل ما دار بينكما من حديث ، بوحي فقط بما تشائين البوح به ، وامسكي عما تشائين » . فأجبته بالحرف الواحد : « ان ذلك الاجتماع لم يدم أكثر من عشرين دقيقة ، سألني خلالها عن أحوالنا وأبدى اهتمامه بأوضاعنا ، وتأكيدا منه على اهتمامه بنا ذكر لى أنه لولا الضفة الغربية لما كان قبل بقرار مجلس الأمن ، ولما كان رفض وعد دين رسك وزير خارجية أمريكا بإعادة سيناء إليه مقابل تخليه عن التمسك بالضفة الغربية وبالقضية الفلسطينية العربية هذا كل شيء ولا أكثر من ذلك » .

والذى يبدو لى أن دايان لم يصدق بينه وبين نفسه أننى لم أتحدث إلى عبد الناصر عن اجتماعى به . ولعله استنتج من قولي إن جلستى مع عبد الناصر لم تدم أكثر من عشرين دقيقة ، لعله استنتج من ذلك أن عبد الناصر لم يكن حفيا بي بسبب لقاء تل أبيب فقد نشرت جريدة Jerusalem Post مقالاً كبيراً بعد ذلك ذكرت فيه على لسان دايان قوله : « ... بعد شهرين قابلت فدوى ثانية ، هذه المرة فى فندق الملك داوود فى القدس . الشخص الوحيد الذى كان معنا هو ديفيد فارحي (لعل وزير الدفاع نسي أن ديفيد زخريا وشخصا ثالثا لم أعرف اسمه كانا حاضرين أيضا . ف) كانت فدوى قد زارت مصر ورأت جمال . قال لها جمال إن دين رسك وزير الخارجية الأمريكية قد حثه على الوصول إلى تسوية مع اسرائيل على أساس انسحاب الجيش الاسرائيلى من سيناء انسحاباً شاملاً لكن ناصر رفض ذلك لأن تلك التسوية لا تشمل الانسحاب من الضفة الغربية . فدوى قالت إنها أخبرت ناصر بحديثها معى (لم أقل ذلك ف) ولكنه عنفها (؟) على ذلك ، وهكذا لم تعد بأخبار إيجابية » !

● عندما قال ديان : من حق العرب أن يفخروا بعبد الناصر

● قال لي عبد الناصر : لم أنم لمدة ١١ يوماً بعد الهزيمة ولم أذق الطعام

فدوى طوقان

عبث النقاد..

خواطر تسر الخاطر



بقلم: زكريا تامر

في يوم من الأيام ، زارني في بيتي صديقي الأديب العجوز الذي أثق بأصالة موهبته ، ويحظى بتقديري أديباً وإنساناً ، فرحبت به ترحيباً حاراً صادقاً ، ولكنه تمتم بكلمات مبهمة ، وجلس صامتاً مكتئباً ، فدهشت ، واستغربت سلوكه وسألته بقلق : « ما بك ؟ منذ أن عرفتك لم أشاهدك يوماً عابس الوجه . لابد من أن أمراً خطيراً قد حدث » .

فقال لي صديقي الأديب العجوز : « اطمئن . لم تحدث لي أية أمور خطيرة . أنا فقط أحس بملل أجهل سببه ويكاد يميتني » .

قلت : « إذا كنت قد قرأت شعراً حديثاً للغاية ، فمن السهل تحديد سبب مللك » .

قال : « أنت تعرف أني منذ حرب حزيران أعلنت الإضراب عن قراءة الشعر ، وأطلق عليه اسم : الشعر الأصلع » .

ففكرت لحظات ، ثم قلت له : « أنا صديقك ، وأظن أنه لاشيء يزيل الملل كالتحدث إلى صديق ، فتحدث إلي ولا سيما أن الكلام هو هوايتك المفضلة » .

قال صديقي بنزق : « لماذا تبتسم بخبث كأن الكلام تهمة شائنة ؟ أنا أقر وأعترف بأني أحب الكلام ، وأتحداك أن تثبت أن الكلام حالياً ليس هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان » .

قلت : « إذن ماذا تنتظر ؟ هيا تكلم . أنا مستعد لأن أستمع إليك حتى الفجر » .

قال : « رأسي خاو بسبب الملل ، فاقترح موضوعاً نتحدث عنه » .

قلت : « أنت تكتب منذ زهاء أربعين سنة ، وتعرف الأدباء المعاصرين كما تعرف يدك ، فهيا حدثني عن النقد والنقاد في البلاد العربية » .

فبهت صديقي الأديب العجوز ونظر إلي بعداء وشك ، ثم قال لي : « ما تطلبه شاق علي أكثر من السفر إلى الصين سيراً على الأقدام . لقد صرت عجوزاً ، ولا قدرة لي على خوض الحروب على صفحات المجلات والجرائد » .

قلت : « لا تذكر أي أسماء ، وما ستقوله لي سيبقى سراً » .

قال : « لا تحاول إقناعي فقد عاهدت نفسي منذ أعوام على ألا أنطق بكلمة واحدة معادية النقاد » .

قلت : « أنت حر ولن أجبرك على قول ما لا ترغب في قوله ، ولكنني لن أنصت لأي حديث لك مهما كان مشوقاً مغرياً . ولك أن تختار الآن : إما التكلم عن النقاد وإما التحدث إلى أصم أبكم هو أنا » .

ففكر صديقي متجهم الوجه ، ثم تنهد ، وقال : « أنت عنيد ماكر ، سأتوكل على رب العباد ، وأحدثك عن النقد والنقاد » .

فقلت بغبطة : « هيا تحدث . كلي آذان صاغية مفتوحة الأبواب » .

قال صديقي الأديب العجوز : « النقاد العرب أنواع ، بعضهم ورد ، وبعضهم شوك . بعضهم طيور تغرد وتطرب ، وبعضهم طيور تنعب وتنعق . بعضهم يقطع الشجر المثمر ويمجد الشجر العقيم ، وبعضهم يكتب بمسؤولية كأنه يمثل أمام محكمة وقد أقسم ألا يقول إلا ما هو صدق وحق ، وينظر إلى النقد على أنه جسر بين الأثر الأدبي والقراء ، ومهمته تبيان ما هو سلبي وما هو إيجابي ، فيستفيد القارىء والكاتب في آن واحد » .

فقلت لصديقي وأنا أتثاءب : « كف عن الكلام النظري وإلا نمت نوماً عميقاً . كلمني عن وقائع محددة ونماذج من النقاد » .

قال صديقي بلهجة ساخرة : « سمعاً وطاعة يا مولاي . أذكر أن ناقداً كتب عن قصص كتبت ونشرت سنة ١٩٥٧ ، واتهمها بالتأثر بقصص كتبت ونشرت سنة ١٩٦٧ » .

قلت : « ما حدث أمر طبيعي ، فالأديب لا ينشأ في فراغ ، ولا نجاة له من التأثر بأدباء آخرين » .

قال : « اسمع ما فعله أحد النقاد ، ولا يزال يكرر فعلته . لقد عين نفسه مديراً للدعاية لإحدى الأديبات ، فإذا ابتسمت له كتب عنها أنها أحسن من فرجينيا وولف وسيمون دي بوفوار ، وإذا عبست في وجهه ندد بكتاباتها ونصحها بالذهاب سنوات إلى مدارس مكافحة الأمية أو البقاء في المطبخ ، مستشهداً بأقوال مفكرين أجانب لا وجود لهم ، تؤكد أن المرأة لم تخلق إلا من أجل إتقان فن الطهي » .

قلت : « هذا ناقد عادل ، فإذا أحسنت الأديبة قال لها : مرحى ، وإذا أساءت قال لها : تبت يداك . ولا شيء في الحياة أقبح من أديبة جميلة لا تقدر النقاد الرجال » .

قال صديقي : « بمناسبة الحديث عن الأديبات ، تذكرت مأساة إحدى الناقدات ، انتهت حياتها النقدية نهاية فاجعة » .

قلت متسائلاً بفضول : « هل ماتت بالسرطان أم بالايدز ؟ » .



قال : «لا بل تزوجت من شاعر يشبه امرأة بلا أنوثة ، وكانت كتاباتها قبل الزواج تتصف بالنزاهة والعمق والرصانة . فإذا زوجها يحولها إلى مجرد يدين تصفقان له ، وقلم يكيل له المديح بغير حساب . فإذا مشى في شارع وصفت خطواته بأنها خطوات نحو قمم شعرية لم تطأها قدم شاعر من قبل . وإذا تمطى كتبت هاتفة : الله ! هذا هو الشعر الحقيقي ، وهذا هو التجديد التاريخي ، وأكدت أن ماياكوفسكي انتحر غيرة منه».

قلت : «من واجب الزوجة العاقلة المخلصة أن تحب زوجها ، والأسرة التي تخلو من الحب ، تنجب أطفالاً مشوهين نفسياً وعقلياً».

قال صديقي مؤنباً : «لا تقاطعني وإلا نسيت ما أنوي التحدث عنه . اسمع ما فعله ناقد آخر . كان ذلك الناقد مشهوراً باحتقاره لشاعر يكرس معظم شعره للموضوعات الوطنية ، ولم يكن الناقد يكتفي باحتقار الشاعر بل يتهمه بأنه عميل لدولة أجنبية كبرى . ولما تسلم الشاعر رئاسة تحرير مجلة تدفع مكافآت سخية لما ينشر فيها من نتاج ، بات الشاعر في نظر الناقد أروع من رامبو واليوت والمتنبي وأكثر تقدمية من لوركا ونيرودا وأرغون».

قلت : «وهل تريد من الناقد أن يجوع ويقرع الأبواب مستجدياً ويسيء إلى السمعة السياحية للنقاد والعروبة ؟».

قال صديقي الأديب العجوز : «وثمة ناقد كتب مقالة مطولة مدعمة بالأدلة التي تثبت أن كتاباً لأحد الأدباء هو سطو علني على كتاب أجنبي ، فاضطر الأديب المتهم إلى السكوت أكثر من عشر سنوات ، ولم يعد يعتبر ذلك الكتاب من مؤلفاته ، ولكنه كان ذكياً ، وصبر حتى نجح في اصطياد الناقد بمغانم مادية ، وجعله ناقداً خاصاً له ، وبعدئذ أصدر طبعة جديدة من كتابه ، وبات يتحدث عنه بفخر ويطالب الجامعات بتدريسه لطلابها».

قلت : «الصفقات في كل مجال تتم وتبرم وتنفذ ، فلماذا يحظر على النقاد ما هو مباح لغيرهم ؟».

فقال صديقي متابعاً كلامه كأني لم أفه بكلمة : «وهناك نقاد تأثروا بالأفلام السينمائية الغربية التي تتحدث عن العصابات ، فألفوا العصابات ، فكل من ينتمي إلى عصابتهم هو عبقري خالد ، وكل من لا ينتمي إليها تافه ولو كان تولستوي أو شكسبير».

قلت : «التكتل ذو فوائد لا تحصى ، وآن للعرب أن ينبذوا الفرقة ويوحدوا الصفوف».

قال صديقي : «وثمة نقاد محيرون . ثلاثة نقاد يؤمنون وينادون بالواقعية ، كتبوا عن قصة قصيرة واحدة . واحد قال إنها إنجيل جديد في القرن العشرين ، والثاني قال إنها تبرر القهر وقمع الانسان ، والثالث قال إنها قصة غيبية لا علاقة لها بالواقع المعاش».

قلت : «ما حكيته يثبت أن النقاد قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، وكل ناقد يكتب كما يشاء».

قال صديقي بحماسة : «اسكت ودعني أتكلم . اصغ إلى هذه الحادثة الطريفة . جريدة صهيونية كتبت عن قصة أطفال عربية التأليف ، وتناولتها بالتحليل الذي أوضح كيف أنها تصلح لطفل أجنبي ولطفل عربي ولطفل فلسطيني سيصبح في المستقبل فدائياً ، واختتمت الجريدة الصهيونية مقالها بالقول : آن الأوان كي نتعلم من العرب . وترجم المقال من العبرية إلى العربية ، ونشر في غالبية الصحف والمجلات العربية ، ولكن ناقدة كتبت بعد شهور في مجلة أدبية فلسطينية جادة عن القصة نفسها قائلة : إنها قصة مملوءة بالرموز الجنسية».

قلت : «التفرد ينبع من قول ما هو غير متوقع أو شائع ، وإذا كان يحق للشاعر ما لا يحق للناثر ، فمن الطبيعي أن يحق للمرأة ما لا يحق للرجل».

قال صديقي : «تلك ناقدة قرأت القصة وفسرتها تفسيراً يتلاءم مع تجاربها الحياتية ، ولكن هناك نقاداً يقرظون كتباً صادرة حديثاً من غير أن يقرأوها ، ويكتفون بإلقاء نظرة سريعة على أغلفتها».

قلت : «هؤلاء النقاد ذوو نظرات نفاذة ، وأنت بالطبع لا تجهل أن قدرة الإبصار تختلف من إنسان إلى آخر».

قال صديقي : «لو بلغ عمري مئة سنة فلن أنسى ما فعله أحد النقاد . لقد كتب نقداً مراً لرواية من الروايات ، وعني بأن يظهر حماسة منقطعة النظير للغة العربية الفصحى ، وأورد نصوصاً من الرواية مكتوبة بالعامية ، ثم اتضح فيما بعد أن الرواية تخلو من أية كلمة عامية ، وأن الناقد هو الذي حور النص الفصيح إلى نص بالعامية».

قلت : «النقد إبداع والإبداع تأليف».

قال صديقي : «وثمة ناقد آخر كتب في جريدة يومية واسعة الانتشار مقالاً مسهباً عن عرض مسرحي قدمته في بلده فرقة مسرحية فرنسية ، وكان مقاله غنياً بالتفاصيل النقدية التي تناولت بالتقويم الديكور والموسيقى والتمثيل والإلقاء والإخراج والإضاءة وموقف الجمهور العربي . ولما ظهر المقال تبين أن الفرقة الفرنسية لم تقدم عرضها في الليلة المقررة لأنها لم تستطع المجيء من فرنسا لأسباب قاهرة».

قلت : «الأسباب معروفة . لم تأت الفرقة المسرحية إلا لكي تسيء إلى سمعة ناقد محترم ، ولا تنس أن الفرنسيين يكرهون العرب وكانوا يستعمرون العديد من البلدان العربية».

قال صديقي : «أعرف نقاداً متواضعي المطالب . يكفي أن تدعوهم إلى وجبة غداء أو عشاء حتى يكتبوا عنك مادحين».

قلت : «ألا تعلم أنه ليس بالكتاب وحده يحيا الإنسان ؟».

قال صديقي : «والمصيبة الكبرى إذا كان الناقد لا يكتفي بكتابة النقد بل يكتب القصة والرواية والمسرحية والشعر . فهو يكتب عن نفسه بأسماء مستعارة ممتدحاً ممجداً».

قلت : «مثل هذا الناقد جدير بالإعجاب لحكمته ، فمن لا يمتدح نفسه لا يمتدحه الآخرون».

فقال لي صديقي الأديب العجوز متسائلاً بحنق : «لماذا تقاطعني باستمرار مدافعاً عن النقاد ؟ هل أنت ناقد ؟».

قلت بهدوء : «أنت تدري أني لست ناقداً ، ولكنك لا تدري أني أتأهب كي أصبح ناقداً شهيراً ، وسأتخذ من النقاد الناجحين الذين تحدثت عنهم بحسد قدوة تحتذى».

فغضب صديقي الأديب العجوز غضباً أحمق لا مبرر له ، وغادر بيتي وهو يقسم بأنه لن يكلمني ثانية طوال حياته . فقررت أن أبدأ مسيرتي في النقد الأدبي بالكتابة عنه ، مقدماً البرهان على أنه أضاع أربعين سنة من عمره في مضمار الأدب بغير جدوى ، ولو استغل تلك السنين الثمينة في مطعم لاستفاد وأفاد . والله الموفق .

فكرة للتأمل

مرض الإيدز الفكري

بقلم : محمود الشاهد

المجتمع الغربى على وجه العموم والأمريكي على وجه الخصوص في شغل شاغل وحديث متواصل عن المرض الجديد (الايدز) الذي اقتحم الديار ودخل دون استئذان عبر بوابة الفساد الاجتماعي والفجوة الأخلاقية التي باعدت بين الإنسان وإنسانيته وجعلت منه وحشا تسيره أهواؤه وتتحكم فيه شهواته ونزواته . ولقد استنفرت جميع وسائل الإعلام من مسموعة ومرئية ومقروءة للحديث عن هذا المرض الخبيث وشرح أبعاده وتفسير مخاطره والتحذير من آثاره المدمرة للجسم المهلكة له . كما قامت المحافل الطبية العالمية بحملات مكثفة للوصول إلى طريقة توقف زحف هذا المرض عند حده وتعالج من أوقعهم فساد أخلاقهم أو سوء طالعهم بين براثن (فيروسه) القاتل الذي يفقد الجسم مناعته ويهلك كريات الدم التي يمكن أن تتصدى للأمراض وتقف بالمرصاد لجيوش الميكروبات التي يمكن أن تعصف بالمرء وتؤدى به إلى التهلكة .

ولست هنا مستعدا للحديث عن الايدز وآثاره المدمرة . فكفانا ويكفينا ماتتحفنا به وسائل الإعلام كل يوم من أحاديث وأحداث وصور وحكايات حتى وتراشق بالاتهامات ، فقد روت وسائل الإعلام السوفياتية أن التضخم في الحديث عن هذا المرض إنما هو من اختراع وكالة الاستخبارات الأمريكية وأنها هي التي أوجدت هذا الفيروس ليكون أحد أسلحتها في حرب الميكروبات وأول ما استعمله الأمريكان إبان الحرب الفيتنامية .

مالي ولهذا كله ، فالحديث هنا ليس مخصصا لهذا المرض الذي يصيب الأعضاء ، وإنما خطر ببالي — وليس هذا بالخاطر العابر — ماذا لو أصابنا هذا المرض الخبيث في صميم أفكارنا وتمترس في عقولنا ينتزع منها المناعة ويهلك فيها الخلايا المفكرة ويخلخل فيها القيم والمبادىء ويزعزع فيها الايمان والثقة بالنفس !!.

ليس هذا خاطرا عابرا كما قلت ولكنه واقع لابد من تدارسه والتصدي له بكل أنواع التحصين ، وعزل من يتمكن من عقولهم ، ويسيطر على تفكيرهم ، عن مجتمعهم حتى لاتنتقل عدواهم إلى من سواهم وهنا تقع الطامة وتحصل المأساة .

هل نحن مهددون حقا بفقدان المناعة الفكرية والإصابة بالايدز الفكري ؟! نعم وألف نعم ... المحاولات مستمرة في مختبرات الغرب والشرق على حد سواء ، لإنتاج الفيروسات المدمرة التي يمكن أن تنصب علينا يوما بعد يوم ، وساعة إثر ساعة ، لتصيب عقولنا وأفكارنا فتهلك فيها المقاومة ،

وتدمر فيها قوة التصدي ، وتستبيح حرمتها موسعة الطريق لكل فكر مستورد مارق أو شاذ .

وتلعب الصهيونية العالمية بأفكارها ومبادئها التلمودية ، الدور الأكبر في هذه الحرب . إنهم يؤمنون كل الإيمان بأن السيطرة على الإنسان تتم عبر عقله وفكره ولقد نص التلمود فيما نص عليه ، أن الشهوة الجسدية وشهوة المال ، هما الوسيلتان المثليان لهذه الغاية الدنيئة ... (والغاية تبرر الواسطة) .. هكذا قال ميكيافيلي الذي هو في ظني أحد أنبياء التلمود .

والحضارة الحديثة وما أتاحته من مخترعات ومكتشفات ، قربت أجزاء المعمورة فطوت الأبعاد والمسافات . ونفذت إلى الفضاء الخارجي وسخرته عبر أقمارها الاصطناعية وسفنها الفضائية لنقل المعلومة والصورة والكلمة ، وبالتالي السيطرة على العقول ، والتركيز على غرس أفكار ومبادىء وقيم جديدة تمهد للغزو ومن ثم الاستسلام الفكري الذي يفقد الإرادة ويبدد المقاومة الجسدية والعقلية .

ولقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين انبعاث الكثير من الأمم التي تحررت من ربقة الاستعمار العسكرى ، وفقدت الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية القدرة على الغزو العسكري والسيطرة بقوة السلاح وقهر الشعوب . ولكن التقدم التكنولوجي والعلمي والصناعي والزراعي والعمراني لبعض الأمم ، والتي كان لها قصب السبق في هذا التقدم الهائل ، مضافاً إليه خواؤها الروحي وشهوتها العارمة لامتصاص ثروات الشعوب واستغلالها لتزداد ثراء . كل ذلك أدى إلى نوع جديد من الاستعمار تلعب فيه المادة الدور الأساسي تساندها في ذلك وسائل الإعلام والاتصال المتطورة المكتوبة والمسموعة والمرئية .

وكما هو الحال في كل العصور والأزمان ، كان لابد من السيطرة بأية وسيلة ، وبأي سلاح مهما كان ، وأي سلاح أفتك من ذاك الذي يهزم العقل ويمزق النفس ويعطل قوة التفكير ويحطم الإرادة .

وبدأت مختبراتهم تعمل ليل نهار وتجري التجربة تلو التجربة ، تنتج الأنواع المهلكة من المكروبات والفيروسات تمهيدا لتصفية العقول المعادية !!

وبالتالي تدمير خلاياها وإصابتها بالشلل وإفقادها الإحساس ، وذلك بما يمكن أن يحقن فيها من أفكار ومفاهيم جديدة تتناسب مع متطلبات الاستعمار الحديث .

وكما أن أهم العوامل التي تساعد على ظهور وانتشار مرض الايدز الفسيولوجي الطبي ، الشذوذ والخروج عن المألوف في الطبيعة ، لذلك فإن مرض الايدز الفكري يكمن في التمازج الشاذ بين الأفكار المختلفة التي تنصب في الأذهان بحيث تخلق خلخلة في المفاهيم وزعزعة في القيم وتدميرا لموازين الحضارة الإنسانية والمجتمعات البشرية ، فتفقدها التوازن بين المادة والروح وتحط من سموها الأخلاقي واعتدالها السلوكي والمدى الذي توصلت إليه في إنسانيتها . وتحيل العلاقات بين الأفراد والجماعات إلى علاقات حيوانية وحشية يفتك فيها القوي بالضعيف وتبلغ بها الشراسة حد انتهاك كل ماهو معنوي محرم والاعتداء على كل تراث مقدس .

ولنا من الأمثلة على ذلك الشيء الكثير ، فهذا الدفق من الأفكار الهدامة والأخبار المضللة والمواد المبرمجة التي تحطم الروح قبل الجسد تصبها في أذهاننا وعقولنا وسائل الإعلام الحديثة ، والتي سنفقد السيطرة على سريانها ووصولها إلينا بعد زمن قصير ، حين تنتهك الأقمار الصناعية حرماتنا في كل لحظة وفي كل آن وتصب جام غضبها على أجيالنا عبر شاشات التلفزيون التي لانستطيع التحكم فيها آنذاك . وتزرع في العقول تفوق الدول المتطورة وسوبر مانيتها وضعفنا حيالها وبالتالي استسلامنا لكل ما تفرضه علينا ، والرضاء بكل ماتمتصه من خيراتنا ، وتبعتنا المطلقة لأعمالها ، وخضوعنا التام لأفكارها . فنفقد خصائصنا كأمة متميزة ذات حضارة منفردة .

ويمكننا أن نضيف إلى الأمثلة ما يبتلوننا به من كل ما يذهب العقل ويغيب طاقاته ويعطل إمكاناته . وأبلغ ما يفسر ذلك ظاهرة انتشار المخدرات والمسكرات التي روجت لها حركات وفئات تحت شعارات مختلفة كالوجودية والهيبية والبانكس ونزعات التحرر من كل القيم والمفاهيم التي تتذرع بأعذار الخوف من الحروب الذرية وتحرير الروح والجسد من التقاليد البالية والسلام والحب لا الحرب وهكذا دواليك ..

والظاهرة الخطيرة من ظواهر حملة تهتك العقل تلك التي تتمثل في تعميم السطحية وعدم النفاذ إلى أعماق الفكر . فالثقافة باتت في الكثير من الأحايين مستقاة من المجلات والكتب التي لاتتجاوز عند مطالعتها حدود العين ولاتنفذ إلى العقل وبالتالي لاتحرك فيه ملكة البحث والتقصي وإعمال الفكر والتمحيص . وانما هي مواد مقروءة تمتع البصر لا البصيرة وتداعب الخيال لا الحقيقة وتثير الشهوة الجسدية لا الشهية الفكرية . وبالتالي تقتل فيه الحصانة الفكرية التي تفرض حين تلقى أية نظريات وافدة مستوردة أن تثور كريات دمها البيضاء والحمراء .. وكل الألوان فيها لتقتل أية فيروسات ضارة وأية ميكروبات مهلكة .

وحري بنا ونحن نشارك هذا العالم في البحث عن علاج لمرض الايدز الجسدي ونشترك في الحملات المكثفة لدرء أخطاره وتبصير الناس بمضاره ، أن نسارع أيضا الى عقد الندوات المختلفة وإجراء الدراسات المكثفة وبذل الجهود والأموال للتوصل الى الأمصال الواقية المحصنة لعقول أجيالنا الحاضرة والمستقبلة من مرض الايدز الفكري الذي يدمر ولايرحم ويفتح الباب على مصراعيه أمام هؤلاء الذين يترصدوننا وينتظرون اللحظات التي نفقد فيها كل مناعة فكرية فينقضون علينا يدمرون قيمنا وتراثنا المقدس ويفتكون بمعتقداتنا وبالتالي يصلون من خلال ذلك إلى التحكم بمقدراتنا ونهب خيراتنا ، وتصدق نبوءة التلمود في السيطرة على هذا العالم وخلق مجتمعات نفوسها أوهى من خيوط العنكبوت وعقولها لاترقى الى عقل ذبابة .

واعذروني إذا كنت متشائما ..

هل استفاد المسلمون من
السيرة النبوية؟

بقلم: عبد القادر بن محمد العماري

لقد كانت الانسانية في حاجة ملحة إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عندما بعث لإنقاذها من الفوضى والجهل والطغيان .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... الا على صنم قد هام في صنم
فعاهل الروم يطغى في رعيته ... وعاهل الفرس من كبر أصم عمي

ولعلنا نحن المسلمين اليوم أشد الناس حاجة إلى استلهام سيرته صلى الله عليه وسلم ، وإعادة صياغة حياتنا على منهجه ، فنبعث سيرة محمد من جديد في حياتنا بتطهير مجتمعاتنا من كل تراكمات الجهل والفساد والخرافة ، حتى نكون أهلاً لحمل رسالة الاسلام إلى الانسانية من جديد ، نبعث ونطبق سيرته وأخلاقه في حياتنا ، فالحب الذى يكنه المسلمون للرسول عليه الصلاة والسلام يجب أن يترجم إلى اتباع لمنهجه ، واقتداء بسنته ، وتطبيق عملى لرسالته ، فتلك هى المحبة الحقيقية لله وللرسول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) .

لننظر إلى المجتمعات الاسلامية اليوم ماذا كان نصيبها من صفات وسلوك الرسول عليه الصلاة والسلام ومما يدعو إليه من الأمانة والصدق والإخلاص . سنجد أن هذه المجتمعات هى التي تفقد الأمانة والصدق والإخلاص أكثر من أى مجتمعات أخرى .

الرسول عليه السلام نشأ والأمانة أعظم صفاته ، حتى كان يلقب بالأمين بين قومه في الجاهلية ، فكانوا يودعونه أموالهم ، وحكموه فى رفع الحجر الأسود عندما اختلفت القبائل على وضعه . وخديجة بنت خويلد لم تخطبه وتعهد إليه بادارة تجارتها إلا لأمانته ، فكان تاجرا ناجحا بالأمانة والصدق وحسن المعاملة ، كما كان عاملا مجدا لا يأنف من الكدح والعمل ، فقد ثبت أنه رعى الغنم فى صدر حياته وقال : (كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) . وكانت نفسه دائما تتوق إلى الحق والعدل وترفض الظلم والبغى ، ولذلك كان يستجيب لأية بادرة من شأنها أن ترفع أى ظلم واقع على أحد ، فقد أيد حلف الفضول فى الجاهلية ، وهو الحلف الذي عقدته قبائل قريش فى دار عبد الله بن جدعان ، حين اجتمعوا وتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها ، أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته ، وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحلف ، وبعد أن بعث قال : (شهدت مع عمومتى حلفا فى دار عبد الله بن

جدعان ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعيت له فى الاسلام لأجبت) . ونرى خديجة تقول له عندما رأته مهموما مثقلا بما أحسه من ثقل الوحى : (والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر) .

فحياة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرته يجب أن تكون نبراسا للمسلمين . والله سبحانه وتعالى لم يرسله إلا ليكون قدوة يحتذى به ، ولذلك كان بشرا من البشر لا ملكا من الملائكة . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك من أجل اثبات نبوته ، وقطع حجة الذين سيتهمونه بالتلقي عن الكتب السابقة ، ومع هذا فإن أول ما أنزل عليه الدعوة إلى العلم : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

ومن اهتمام دعوته بالعلم أنه فى غزوة بدر قرر بشأن الأسرى أن من يعلم منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة يعتبر ذلك فداؤه ، ويطلق سراحه .

تعالوا ننظر الآن : ان أكبر نسبة للأمية فى العالم هى فى المجتمعات الاسلامية ، فكأن ديننا لم يدع إلى العلم ، وكأن رسولنا لم يحثنا عليه ، إننا نسيء إلى الاسلام ، ونسيء إلى نبي الاسلام إذا بقينا على حالتنا من الجهل والتخلف . ألم تكن دعوة نبينا محمد عليه السلام غايتها إخراج الناس من الظلمات إلى النور؟ فما بالنا نحن أتباع محمد اليوم نعيش فى ظلام الجهل والخرافة ونحتل أسوأ دركات التخلف ؟ ان النور فى الدنيا هو الذى يضيء لنا طريق الآخرة (فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) .

لقد قامت دعوة الاسلام على التوحيد ، فكل شيء فى الأرض أو فى السماء يخضع للواحد الأحد ، وملك له ، وليس هنالك شفعاء ولا وسطاء ولا شركاء ، وما فى الكون كله مسخر لابن آدم لينتفع به لا ليعبده أو يتركه مهملا .

دعوة علم وخير وحضارة

إن العرب كانوا يعبدون الأحجار ، فجاءت رسالة الاسلام فرفعت الغشاوة عن بصائرهم ، فأصبحوا يرون الأمور على حقيقتها ، فخرجوا فعلا من الظلمات إلى النور ، فكان لهم شأن فى التاريخ ، نشروا رسالة الاسلام ، وأسسوا الحضارات ، وما قامت حضارة الغرب إلا على أساس من حضارتهم ، فكانت حضارتهم هى النواة لما نشاهده اليوم من تقدم فى الغرب ، فلا أحد ينكر فضل ابن الهيثم وابن النفيس والبارونى والرازى وابن سينا والزهراوى والخوارزمى وغيرهم من العلماء المسلمين الذين كانت أبحاثهم من أسس العلوم الحديثة . قال جوستاف لوبون : (ظلت ترجمات كتب العرب ، ولا سيما الكتب العلمية ، المصدر الوحيد تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمسة قرون أو ستة قرون ، ويمكننا أن نقول إن تأثير العرب فى بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام إلى أيامنا هذه ، فقد شرحت كتب ابن سينا فى مونبليه فى أواخر القرن الماضى) .

ودعا محمد صلى الله عليه وسلم الناس إلى كل أعمال البر والخير ، ونهاهم عن كل الشرور والآثام كما أمره الله قال تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام ١٥١ ــ ١٥٣ .

الذى يتأمل هذه الآية وما اشتملت عليه من وصايا ، يجد أنها تكاد تكون تلخيصا للعقيدة الاسلامية بأجمعها ، ابتداء من التوحيد وروابط الأسرة وطهارة المجتمع وعفته ومنع القتل وحماية الضعيف ، إلى العلاقات التجارية والمطالبة بالعدل والوفاء بالعهود ، فكل ذلك صراط واحد ، وطريق واحد هو صراط الله وطريق الله ، وما سوى ذلك سبل متفرقة ، لا توصل إلا إلى المهالك .

وقد أحدث رسول الاسلام تغييرا فى المجتمع ، وفى نفسيات الناس وأخلاقهم ، حتى جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، تأخذ زمام المبادرة فى الاصلاح والتغيير ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وقد عانى رسول الاسلام ما عانى فى سبيل ذلك من صنوف الأذى والعذاب ، فقاطعه قومه وآذوه ، وأغروا به السفهاء والغوغاء ، واضطهدوا أصحابه من المستضعفين وأذاقوهم ألوان العذاب ، فاستباحوا حرماتهم وأموالهم وأعراضهم ، واتهمه أعداؤه بالجنون تارة وبالسحر تارة أخرى ، وعلى الرغم من كل ذلك فهو يقول : (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) .

هناك أناس ضالون ومجرمون يسخرون من الحق ، ومن الرجال الذين يحملون دعوة الحق ، لا يهمهم فى الدنيا شيء غير الهزل ، والتفكه والبطر والسرف (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ، وما أرسلوا عليهم حافظين) المطففين ٢٩ ، ٣٣ .

صمود وتصميم

ولنحن رؤوسنا اجلالا لرجال لم يبالوا بما يقع على أجسادهم ونفسياتهم من صنوف العذاب في سبيل دعوة الحق ، لنحن رؤوسنا لهؤلاء الرجال ونحييهم ونترضى عنهم لما قاسوه من أجلنا نحن لتصلنا دعوة الاسلام ، لنذكر من هؤلاء ياسر وزوجته سمية اللذين ماتا تحت وطأة العذاب بسبب قسوة المجرمين ، ونذكر ابنهما عمارا الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان ، ونذكر بلالا الذي وضعه المجرمون فى الرمضاء تحت أشعة الشمس المحرقة ، وهو يتقلب من الألم ويهتف باسم ربه مصرا على إيمانه بالحق ورفضه للباطل قائلا : أحد أحد ، ونذكر خباب بن الأرت الذي ضاق ذرعا بما يصب عليه وعلى إخوانه من العذاب فيهرع إلى الرسول وهو فى الكعبة فيقول له (الا تنتصر لنا ، الا تدعو لنا) فيرد عليه قائلا : (قد

● تحمّل الأنصار في بيعتي العقبة مسئولية الدفاع عن الرسول ودعوته بكل الشهامة والرجولة

● عندما تأسّست دولة الإسلام في المدينة أخذ اليهود يكيدون للدعوة ويعملون على تفريق كلمة المسلمين

هل استفاد المسلمون من السيرة النبوية؟

كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعا إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) .

ترى ماذا يملك رسول الله أن يفعل وهو نفسه مضطهد ، ومحارب من أقرب الناس إليه ، وأساطين قريش يرون فى دعوته تهديدا لسلطانهم ؟ ماذا يستطيع أن يفعل وهو عندما ذهب إلى قرية قريبة من مكةوهى الطائف لعله يجد متنفسا ، أو من يستجيب لدعوته فيها ، رمي بالحجارة حتى سالت منه الدماء ، وشج رأس صاحبه زيد بن حارثة وهو يدفع عنه الحجارة ، حتى أوى إلى ظل شجرة وهو مثخن بالجراح يتوجه إلى ربه متضرعا قائلا : (اللهم أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هى أوسع لى) .

ان هدم الوثنية يتطلب تضحيات وعزائم قوية لا تتزعزع . وعندما رأت قريش الصمود والتصميم من جانب صاحب الدعوة واصحابه ، ولم يزحزحهم عن معتقدهم كل صنوف العذاب والأذى ، لجأوا إلى أسلوب الاغراء بالمال والجاه والسلطان والملك لصاحب الدعوة ، فقالوا له إن كنت تريد مالا أعطيناك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، فرفض كل ذلك لأنه لا يسعى إلى شيء مما ظنوه هدفا له ، لأنه رسول مكلف باخراج الناس من الظلمات إلى النور ، إنه هدف سام لا يقابل بزخرف الدنيا ، ولا يساوم عليه بأى حال من الأحوال . وعندما وجدوا أن كل أساليب الترغيب والترهيب لم تثن محمداً وأصحابه عن هدفهم ، ضاعفوا الأذى والعذاب ضدهم ، وهنا نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، فهاجروا خفية ، ثم غادوا بعد أن سمعوا أن المشركين هادنوا الاسلام ، وأن وطأة العذاب قد خفت عن المسلمين ، ولكن تبين أن ذلك مجرد اشاعة ، وأن الواقع هو عكس ما بلغهم ، رجعوا إلى الهجرة إلى الحبشة ، وكان الفوج الثانى أكثر من الفوج الأول إذ بينما كان الفوج الأول ستة عشر شخصا ، كان الفوج الثاني ثلاثة وثمانين رجلا وتسع عشرة امراة ، فأكرمهم النجاشي عندما وصلوا إليه وحماهم ، وعندما سمعت بذلك قريش أرسلت وفدا مكونا من عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة قبل أن يسلما ، وحمل الوفد معه إلى النجاشى هدايا كثيرة ، وكانت مهمة الوفد أن يطلب من النجاشى تسليم هؤلاء الذين لجأوا إليه من المسلمين ، وعندما قابل الوفد النجاشى وقدم إليه الطلب ، أشار عليه بعض مستشاريه أن يستجيب لطلب الوفد ، ولكن النجاشى استدعى هؤلاء اللاجئين وسألهم : ما هذا الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به فى دينى ، ولا في دين أحد من الناس ؟

فتكلم عن المسلمين جعفر بن أبى طالب فقال : أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام ، (وعدد عليه أمور الاسلام ، قال جعفر) فآمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا الا نظلم عندك .

فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء ، قال : نعم . فقرأ عليه جزءاً من سورة (كهيعص) فقال النجاشي : (ان هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة) ، ثم التفت إلى وفد قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة قائلا لهما : انطلقا والله لا أسلمهم اليكما فخرجوا فقال عمرو لصاحبه والله لآتيه غدا بما يبيد خضراءهم ، فلما كان الغد جاء عمرو إلى النجاشى وقال له إن هؤلاء المسلمين يقولون فى المسيح بن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم النجاشى وسألهم عن قولهم في المسيح فقال جعفر نقول فيه الذى جاء به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال : ما عدى عيسى ما قلت قدر هذا العود فنخرت بطارقته فقال وان نخرتم وقال للمسلمين اذهبوا فأنتم آمنون ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى أذيت رجلا منهم ، ورد هدية قريش ، وقال ما أخذ الله الرشوة منى حتى آخذها منكم ، ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه . فرجع الوفد إلى مكة بخفي حنين .

وفى الوقت الذي تشتد فيه عداوة أهل مكة للدين الجديد واتباعه ونجحت دعاياتهم الكاذبة في منع قبائل كثيرة من دخول الاسلام . كانت الوفود التى تأتى من يثرب تقتنع بدعوة الاسلام ، ويعودون إلى بلادهم وقد تأثروا بالدعوة وآمنوا بها ، ومن أسباب اقبال أهل يثرب على الاسلام وتصديقهم بالنبى عليه السلام عندما يأتون لموسم الحج ، أن أهل يثرب كانوا مختلطين باليهود ، وكان اليهود ينقلون اليهم ما فى كتبهم القديمة من وعد بقرب ظهور رسول من العرب ، ولكن اليهود عندما ظهر الرسول الموعود به فى كتبهم لم يؤمنوا به ، وآمن به العرب . وباشاعة أمر الاسلام بالمدينة وتزايد أنصاره فيها فكر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد اشتداد الأذى والعداء على أصحابه ، أن يهاجر إليها مع أصحابه ، خاصة وقد بايعته وفود الأنصار على النصرة مرتين ، فقد عقد معهم البيعة الأولى المسماة بيعة العقبة الأولى ، وأرسل معهم أحد أصحابه هو مصعب بن عمير ليعلمهم الدين الجديد ، ثم جاءت البيعة الثانية المسماة ببيعة العقبة الكبرى ، فقد واعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم في شعب العقبة ، وحضر منهم سبعون رجلا ، بايعوه على (السمع والطاعة فى المنشط والمكره والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يقوموا لله ولا يخافوا لومة لائم ، وعلى أن ينصروه إذا قدم اليهم ، فيمنعوا عنه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم) .

أنصـــــار الحق

ولقد تحمل الأنصار فى هذه البيعة عبء الدفاع عن الرسول ودعوته ، وأعطوا فى ذلك المواثيق وهم يعلمون ثقل هذا العبء عليهم ، وما يتعرضون له من محن ومصاعب ، وقد تحملوا المسؤولية وهم يتوقعون كل الأخطار : ونجد فى حديث أسعد بن زرارة فى اجتماع البيعة ما يوضح لنا ذلك ، تحدث أسعد بن زرارة فقال (رويدا يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكباد الأبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وأن اخراجه اليوم مناواة للعرب كافة ، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف ، فأما أنتم قوم تبصرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله) . فقالوا (يا أسعد امط

عنا بيدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها فقاموا إليه رجلا رجلا فبايعوه) .

وعندما أحست قريش بهذا الدعم الذي وجده الرسول من أهل يثرب ، صاح صائحهم (بأن محمداً والصباء معهم قد اجتمعوا على حربكم) وجاء إلى الانصار وفد منهم فقالوا لهم (إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وأنه والله ما من حي من العرب أبغض أن ينشب الحرب بيننا وبينكم) ، فلم يرد الأنصار على قريش وذهبوا إلى المدينة وكان سعد بن عبادة قد قال للرسول عندما رأى غضب قريش : والذى بعثك بالحق إن شئت لتميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ، وأمرهم بالهدوء والرجوع إلى منازلهم ، وعادوا إلى المدينة فى انتظار قدوم الرسول وأصحابه اليهم . وكخطوة أولى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه الذين أشتد عليهم الضغط أن يتركوا مكة ويذهبوا إلى المدينة ، فكانوا يخرجون خفية واحدا بعد الآخر : ولما شعرت قريش بخطورة هذه المرحلة من الدعوة الاسلامية ، وأحست أن هذا الخروج لأتباع محمد من مكة له ما بعده ، اجتمعوا فى دار الندوة ، ودار النقاش بينهم حول احدى الطرق لمواجهة هذا الموقف فاستعرضوا عدة اقتراحات منها نفيه ومنها حبسه مقيدا بالسلاسل ، ثم قتله ، وأخيرا استقر رأيهم على اقتراح أبى جهل بأن يؤخذ من كل قبيلة شاب ويعطى سيفا صارما ويضربون محمدا ضربة واحدة ، فيتفرق دمه على القبائل فلا يستطيع بنو هاشم أن يطالبوا بدمه فيرضون بالدية ، وقد أشار القرآن إلى هذه المحاولات التى قامت بها قريش للتخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال ٣٠ .

فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المؤامرات الخسيسة لاغتياله من أجل القضاء على دعوته ، وقد كان هو يخطط للهجرة بعد خروج أصحابه ، إلا أنه ينتظر أمر ربه له ، فأوحي الله اليه بقوله (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) الاسراء ٨٠ وأمره بالهجرة فاتفق مع عبد الله بن أريقط على أن يستأجره ليكون دليلا له فى الطريق ، لأنه خبير بالصحراء وطرقها ، وهو من المشركين ، ولكن الرسول عليه السلام أطمأن إليه ووثق به ، فواعده أن يأتيه بعد ثلاث ليال إلى غار ثور ، وذهب إلى أبى بكر وأخبره بعزمه على الهجرة ، وهنا نترك عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها تحدثنا عن هذا الحدث ، قالت عائشة : (كان لا يخطىء رسول الله أن يأتي بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة وإما عشيا ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه رسوله فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله فى هذه الساعة إلا لامر حدث ، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله إلا أنا وأختى اسماء ، فقال رسول الله أخرج عنى من عندك ، قال يارسول الله انما هنا ابنتاى . وماذاك . فذاك أبى ؟ وأمي ؟ . قال ان الله أذن لى فى الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر الصحبة يارسول الله . قال الصحبة قالت عائشة : ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى ثم قال يانبى الله هاتين الراحلتين كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجر عبد الله بن أريقط وهو مشرك يدلهما على الطريق ، ودفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد استبقى عليا وأبا بكر . فأما علي فقد عهد إليه أن يتخلف بعد خروجه من مكة حتى يؤدي عنه الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته ، وأما أبو بكر فلكي يكون رفيقا له فى السفر .

● مسألة السلام على غير المسلمين والموقف الإسلامي الحقيقي منها

● لماذا ابتعد المسلمون عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟

وبعد أن اتفق الرسول عليه الصلاة والسلام مع أبى بكر على تفاصيل الخروج عاد إلى بيته ، وأوعز إلى علي أن يرتدى برده الذي ينام فيه ، وأن ينام على سريره ، وفى هجعة من الليل وغفلة من أولئك الذين تجمعوا لتنفيذ خطة اغتياله ، تسلل إلى بيت أبى بكر ثم خرج مع أبي بكر من خوخة في ظهر الدار إلى غار ثور ، وكان أبو بكر قد أمر ابنه عبد الله أن يتسمع ما يقوله الناس فيهما ، ويأتي لهما بالخبر ليلا ، وأمر مولاه عامر بن بهيرة أن يرعى الغنم ويأتى يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار فاحتلبا منها وذبحا فإذا عدى عبد الله من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه زيادة فى الحيطة .

وقد ذهلت قريش بعد أن عرفت أن رسول الله وابا بكر قد تمكنا من الخروج ، وانطلقوا فى أثرهما يرصدون الطرق ويفتشون الشعاب والوديان والكهوف ، حتى وصلوا قريبا من الغار الذى يختفيان فيه فكان أبو بكر يقول للرسول (لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا) فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) والقرآن أشار الى هذا الموقف فى قوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة ٤٠ .

مرت ثلاث ليال والرسول صلى الله عليه وسلم يبيت فى الغار ومعه أبو بكر ، وجاء عبد الله بن أريقط على الموعد ومعه الرواحل وتزود ثم واصلوا رحلتهم فساء ذلك قريشاً وطار صوابها أن أفلت منها الرسول وأبو بكر فجعلوا دية كل منهما جائزة لمن يجيء بهما حيين أو ميتين ، ولا شك أنها جائزة مغرية مئتان من الأبل ، ثروة ضخمة تستدعى ركوب الأخطار في سبيلها ، فجد الراغبون فى الفوز بالجائزة فى الطلب ولكن الركب لم يمر بالطريق المعتاد فسلك دروبا لا تعتادها القوافل ، وساعد على ذلك مهارة الدليل عبد الله بن أريقط .

وعندما مروا بحي من مدلج لحظهم رجل من الحي ، فقال رأيت آنفا أسوده بالساحل ما أظنها إلا محمداً وهنا سمعه سراقة بن مالك ، وطمع فى انفراده بالجائزة ، فقال بل هم فلان وفلان قد خرجوا فى حاجة لهم ، ومكث قليلا ثم طلب من خادمه أن يخرج بالفرس من وراء الخباء ، ثم ركب الفرس ولحق بالركب ، قال سراقة فأخذت رمحي وخرجت من ظهر البيت أخط بزجه الأرض حتى أتيت فرسي فركبتها ففرت بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت منها فقمت ،

هل استفاد المسلمون من

السيرة النبوية؟

وحاول سراقة مرة أخرى أن ينطلق بفرسه وراءهم ، فلما دنى منهم عرفه أبو بكر وكان يكثر الالتفات يتبين هذا الذى يجرى بفرسه وراءهم ، فقال للرسول هذا سراقة بن مالك قد لحقنا وما أن تم كلامه حتى سقط سراقه مرة أخرى من على ظهرها . فشعر أنه هزم فقال معقرا ينادى بالأمان ، واستسلم للرسول وعرض عليهم الزاد فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا ولكن عَمِّ عنا الطلب . فقال قد كفيتم فرجع ووجد الناس جادين فى البحث عن محمد عليه السلام وصاحبه فلم يلق أحداً فى الطريق إلا رده وهو يقول كفيتم هذا الوجه . أصبح أول النهار جاهدا عليهما ، وأمسى آخر النهار حارسا لهما .

ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه المدينة بعد رحلة محفوفة بالمخاطر . فى صحيح البخارى عن البراء بن عازب قال (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم يقرئان الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت الناس فرحوا بشيء كفرحهم به حتى رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون هذا رسول الله قد جاء) .

نقطة تحول تاريخى

فكانت الهجرة من مكة إلى المدينة نقطة التحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وأسست في المدينة دولة الاسلام ودخل المسلمون في صراع مع اليهود الذين بدأوا يكيدون للدعوة ويعملون على تفريق كلمة المسلمين ، ويحاولون إثارة الخلافات القبلية بينهم . ثم تفاوضوا مع أهل مكة للتآمر على الرسول وأصحابه وحرضوهم على غزو المدينة للقضاء على الدولة الاسلامية الناشئة ، وظهر المنافقون بزعامة عبد الله بن أبى بن سلول الذي كان يحلم بالملك . فجاء الاسلام وقضى على أحلامه ، وحال بينه وبين ما كان يزمع أهل يثرب من تتويجه ملكا عليهم . فاستمرت المناوشات بين مكة والمدينة ، وقامت معارك بين المسلمين والمشركين ولم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم بداً من وضع حد لمؤامرات اليهود ومحاولاتهم القضاء على الدعوة الاسلامية واثارة الفتن والقلاقل فى الجزيرة العربية ، وقامت بينه وبينهم حروب حتى تمكن من اجلائهم عن المدينة ، وصادر ممتلكاتهم الثابتة من نخيل وحصون ، فاستقرت دولة الاسلام بعد اجلاء اليهود عن المدينة ، وانتصاره على المشركين ، وأطمأن المسلمون إلى أن الصراع بينهم وبين الوثنية قد انتهى وحسم لصالح الاسلام ، وخاصة بعد فتح مكة والطائف ، ودخول الناس في دين الله أفواجا .

غير أن هناك دولتين كبيرتين مجاورتين للجزيرة العربية وهما دولة الفرس ودولة الروم تهددان دولة الاسلام التى قامت فى جزيرة العرب تلك الجزيرة التى لم يعهد أن تكون فيها دولة ، وكان الفرس والروم مطمئنين إلى أن تفرق العرب إلى قبائل وانقسامهم على أنفسهم يبقيهم دائما تحت سيطرتهم ونفوذهم . غير أن الأمر تغير الآن بعد قيام دولة الاسلام في الجزيرة العربية فلابد أن تفكر الدولتان فى القضاء على هذه الدولة خاصة وأن الفرس يحتلون اجزاء من جنوب الجزيرة والرومان يحتلون أجزاء من شمالها . وعندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسائل إلى ملوك وأمراء الدول والولايات يبين لهم أنه رسول الله ويدعوهم إلى الاسلام تفاوتت ردود الفعل بين العنف واللطف ، فأما ملك فارس فقد مزق الكتاب الذي أرسله رسول الله إليه ، أصدر أمره إلى واليه باليمن ليحضر إليه هذا الرسول الذي تجرأ بالكتابة إليه ، ويبعث الوالى رجلين إلى المدينة ليطلبا من الرسول الحضور إليه ، ولكن الرسول عليه السلام طلب من الرجلين عندما حضرا إليه أن يعودا إلى الوالى بخبر موت ملكه الذي بفارس ، وما كان من الوالى وأتباعه فى اليمن إلا أن أسلموا ، وانتشر الاسلام في اليمن ، ثم زالت دولة فارس كلها على يد خلفاء الرسول ودخل شعبها فى دين الاسلام .

وأما الروم فقد كان رد ملوكهم لينا ، ولكن الأمراء العرب المفوضين عنهم فى ولاياتهم كالحارث بن أبى شمر فكان ردهم عنيفا وقاسيا بل قام أحدهم وهو شرحبيل بن عمرو الغسانى باعتراض الحارث بن عمير الأزدى الذى كلن يحمل كتاب رسول الله إلى أمير بصرى ، ولما علم أنه مبعوث من قبل رسول الله قتله ، فحز ذلك فى نفوس المسلمين ، وكانت هذه الحادثة سبب غزوة مؤتة ، وهى أول صدام مع الروم وعملائهم من نصارى العرب ، وقتل فيها ثلاثة من قادة جيش المسلمين وهم زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة وجعفر بن أبى طالب ، وتولى القيادة بعدهم خالد بن الوليد ، الذى كان جنديا فى ذلك الجيش وأعقبتها بعد ذلك صراعات ومعارك حتى كانت الفتوحات الاسلامية المشهورة والمعروفة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذي لحق بالرفيق الأعلى وهو يجهز جيشا لغزوهم وجعل قيادته لأسامة بن زيد الذى قتل والده فى غزوة مؤته .

العلاقة بين المسلمين وغيرهم

والذى يستوقفنا هنا هو العلاقة بين المسلمين وغيرهم . ما طبيعة هذه العلاقة ؟ يتصور بعض الناس أن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هى الحرب الدائمة والعداء المستمر . وأن الاسلام يفرض على الناس الدخول فيه بالاكراه ، وهؤلاء الذين يتصورون ذلك استندوا إلى فترات معينة فى التاريخ الاسلامي ، كانت فيه علاقات متوترة بين الاسلام والأديان الأخرى ، والواقع إننا إذا تأملنا سيرة الرسول صلى الله علية وسلم وآيات القرآن الكريم نجد أن هذا التصور خاطيء ، وفى غير محله فالرسول لم يطلب من أحد أن يدخل فى دينه بالاكراه ، وكان يتعامل مع أى إنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم معاملة « عادية » إلا فى حالة الحرب أو وقوف غير المسلم منه موقفا معاديا ومناصرا لمحاربيه ، وهذا أمر طبيعى : فنجده مثلا استعان بعبد الله بن أريقط وهو مشرك ليكون دليلا فى رحلته من مكة إلى المدينة ، والعداء بينه وبين المشركين على أشده ، استعان به لأنه لم يكن من المحاربين له ، ولجأ الصحابة بأمر النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى فى الحبشة وهو وقومه نصارى فآووهم وأكرموهم ، ولم يجدوا غضاضة فى ذلك ، ورهن درعه عند يهودى ويزور جاره اليهودى عندما يمرض .

والواقع أن الدعوة الصحيحة للاسلام لا تكون إلا بالمعاملة الحسنة والقدوة الحسنة فى السلوك ، والعداء لا يكون إلا فى حالة الحرب القائمة كما هى الحال الآن بيننا وبين اسرائيل التى اغتصبت الأرض وأخرجتنا من ديارنا وقاتلونا فى عقر دارنا ، وهذا الأمر واضح فى القرآن ونص صريح فى هذا الموضوع قال تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إن الله يحب المقسطين) الممتحنة ٨ .

فالذي حصل من التوتر والعداء المستحكم بين المسلمين وغيرهم إنما كان نتيجة ظروف طارئة كانت أكثر أسبابها من الطوائف الأخرى ، لا من المسلمين فانعكست على المجتمعات الاسلامية التي فيها أعداد كبيرة من غير المسلمين ، فكانت لها آثار سلبية على بعض الفقهاء المسلمين الذين يفسرون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم متأثرين بما يجرى فى مجتمعاتهم ، ومع الأسف أنه لازال حتى اليوم فى هذا العصر الذي عجز المسلمون فيه عن الدعوة إلى الاسلام يثير بعضهم

مسألة السلام على غير المسلمين ، ويدخلون فى مناقشات حادة ، وبعضهم يبلغ بهم الجهل بأخلاق الاسلام إلى أن يتصرف تصرفا مشينا يسيء للاسلام باسم الاسلام . مثل ذلك الشاب في إحدى البلاد الاسلامية أراد أن يكون عالما بمجرد أن عرف القراءة ، فقرأ حديثا فى صحيح مسلم نصه (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم فى الطريق فاضطروه إلى أضيقه) وبعد أن فرغ من قراءة هذا الحديث خرج لتوه يريد أن يطبق السنة فى زعمه . فقابل قسيسا فى الشارع فذهب إلى جانبه ودفعه بكتفه حتي يلجئه إلى الطريق الضيق . فوقع القسيس على الأرض ونهض مندهشا من هذا الموقف ، وقال للشاب ما هذا التصرف ؟ قال له الشاب هكذا يجب أن نعاملكم فى الاسلام . فاشتكى القسيس إلى الشرطة ، وعندما حضر الشاب قال : ما فعلته هو السنة لأنه قرأ ذلك فى كتب الحديث فحجزته الشرطة . ولكن القسيس عفى عنه . فخجل الشاب وخجل المسلمون الذين كانوا هناك .

وتلقيت سؤالا جاءنى بواسطة جريدة الراية ولعل السائل من نفس البلد التى كانت فيه هذه الحادثة . يقول السؤال : (من العادات السمحة التى تتوافر فى شخصي من عهد الطفولة أن أحيى جميع المارة دون فرز لأنى كنت فى بلد أعرف فيه المسلم من غير المسلم . ولكن حضرت إلى الدوحة وبها عدد من الهنود المسلمين وغير المسلمين الذين منعنا الرسول من ابتدائهم بالسلام ، وأنا لا أعرف غير المسلم من المسلم وأحيي الجميع بالشارع العام) وقد نشر السؤال والجواب فى جريدة الراية بتاريخ (١٠ فبراير ١٩٨٣ م) ونص جوابى هو : (ان المسلم يحيي كل الناس بالسلام من عرفه ، ومن لم يعرفه . فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم (أي الاسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف) متفق عليه ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على أهلها) النور ٢٧ . وعن أسامة رضى الله عنه (أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فسلم عليهم) . متفق عليه .

ويظهر أن مسألة ابتداء غير المسلمين بالسلام لم تكن مثار خلاف أيام الصحابة ، وإنما الخلاف حصل بعد عصرهم لأنه رويت أحاديث تدل على منع ابتداء غير المسلمين بالسلام كالحديث الذي في صحيح مسلم (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى الطريق فاضطروه إلى أضيقه) يرى بعض العلماء أن هذا الحديث فى قضية خاصة أو مع المحاربين فقط ، بدليل ما رواه أحمد عن عتبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى راكب غدا إلى اليهود فلا تبدأوهم بالسلام وإذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم) إنما نهاهم أن يبدأوا بالسلام لأن السلام تأمين وما كان يجب أن يؤمنهم وهو غير آمن منهم ، لما تكرر من غدرهم ونكثهم للعهد ، وقد ذهب للحرب القائمة بينه وبينهم. وقالت طائفة : يجوز الابتداء لمصلحة راجحة من حاجة تكون له إليه أو خوف من أذى أو لقرابة أو بسبب يقتضى ذلك . يروى ذلك عن إبراهيم النخعى والحق أن على المسلمين أن يجذبوا الناس إلى دينهم بالخلق الحسن والمعاملة الطيبة ، وأن تحمل الاحاديث الواردة في المنع من الابتداء بالسلام على المحاربين فإن ظروف الحرب غير ظروف السلم ، والقرآن صريح فى وجوب البر والاحسان مع المخالفين فى الدين الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا ، قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة ٨ .

ومن البر والقسط السلام عليهم وعدم مضايقتهم . وعن الشعبى أنه قال لنصرانى سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله تعالى ، فقيل له فى ذلك فقال أليس فى رحمة الله يعيش . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بافشاء السلام وقال البخارى فى صحيحه قال عمار رضى الله عنه « ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والانفاق من الاقتار » . ومما يدل أن ظروف الحرب غير ظروف السلم وأن المنع من الابتداء بالسلام والالجاء إلى أضيق الطرق قضية خاصة ، أن اليهودى الذي سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله السام عليكم فرد عليه بقوله وعليكم وقالت عائشة وعليك السام واللعنة فنهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها إن الله يحب الرفق فى الأمر كله . فالرسول عليه السلام قد عرف أنه قال السام عليكم أى الموت ، ومع ذلك لم يغضب ورد عليه من غير أن يشعره انه عرف قصده ، ولو كان لظروف حالة حرب لتغير الموقف ولن يسكت الرسول على قوله وخداعه ، كيف نقول بعد هذا إننا نلجئه إلى أضيق الطريق والرسول لم يشأ أن يرد عليه بما يشعره بالغضب . قال الشيخ محمد رشيد رضا أما جعل تحية الاسلام عامة فعندى أن ذلك مطلوب . وقد ورد فى الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم ، فكان من تحريفهم ما كان سببا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ وعليكم حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه . ولم يرد أن أحدا من الصحابة نهى اليهود عن السلام لأنهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خلف من بعدهم خلف أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم . الخ وقال أما ما ورد من حق المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق : التحية ، وتأمين من تسلم عليه من الغدر والايذاء ، وكل ما يسىء . وقد روى الطبرانى والبيهقي من حديث أمامة (أن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمنا لأهل ذمتنا) وأكثر الأحاديث التى وردت فى السلام عامة وذكر بعضها المسلم وذكر فى بعضها غيره وقال الاوزاعى رحمه الله عندما سأله سائل عن السلام على أهل الكتاب (إن سلمت فقد سلم الصالحون وإن تركت فقد ترك الصالحون) .

لقد نقلنا هذه الفتوى على طولها لأنها تنبىء عن مدى بعد المسلمين عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنهم قد شغلوا أنفسهم بالأقوال وتركوا الأفعال ، وهذا ما جعلنا نتساءل : هل استفاد المسلمون من السيرة النبوية ؟

عبد القادر بن محمد العمارى

● لماذا أصبحت أكبر نسبة أمية في العالم توجد في المجتمعات الإسلامية ؟

● لم يطلب الرسول من أحد أن يدخل الإسلام بالإكراه

طرائف



الحب والعدالة

• قال عمر بن الخطاب لأبى مريم السلولى – وكان هو الذى قتل أخاه زيد بن الخطاب :
– والله إنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدم.
قال أبو مريم : أفيمنعنى ذلك حقاً ؟
قال عمر : لا
فأجاب أبو مريم : إنما يأسى على الحب النساء.

جنون الذهب

• كان كريستوفر كولمبس مجنوناً بالذهب حتى أنه قال : « الذهب شيء مدهش ، ومن يمتلكه يصبح سيد كل ما يريد ».

حب الوحدة

• سئل برنارد شو عن حبه للوحدة والابتعاد عن المجتمع فأجاب : أحب أن أكون وحيداً لسببين : أولهما أنى أحب أن أتحدث إلى رجل ذكي ، والثاني لأنى أحب أن أستمع إلى رجل ذكي !

الذليل من ظلم

• شكا رجل إلى جعفر الصادق أذية جاره ، فقال له : « اصبر عليه ». فقال الرجل : « ينسبني إلى الذل » فقال جعفر : « إنما الذليل من ظلم »..

السرف وأهل الشرف

• قال المأمون لمحمد بن عباد : بلغنى أن فيك سرفاً. فقال : ياأمير المؤمنين .. منع الجود سوء الظن بالمعبود .. فقال المأمون : لا يحسن السرف إلا بأهل الشرف.

دعـاء

• سمع عمر بن الخطاب غلاماً يبتهل إلى الله قائلاً : « اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه فحل بيني وبين خطاياي فلا أعمل بشيء منها » فسر منه عمر ودعا له بخير.

مسـافر

• قيل لزاهد :
– ما بالك تمشي على العصا ولست بكبير ولا مريض ؟
فقال :
– إنى أعلم أنى مسافر وأنها دار بلغة. وأن العصا من آلة السفر.

عدالة حاكم فرعون

• وصف « أميني » أحد الحكام الفراعنة عدالته في بردية محفوظة فقال : « إني لم أسيء معاملة بنت أى رجل ، ولم أظلم أية أرملة . ولا يوجد فلاح احتقرته ، ولا راع أقصيته ».

وصف العنقاء

• روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق طائراً فى الزمان الأول من أحسن الطير ، وجعل فيه من كل جنس قسطا ، وخلق وجهه على مثال وجوه الناس ، وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش ، وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه ، وخلق له يدين فيها مخالب ، وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الأصل ، وجعل له أبناء على مثاله ، وسماها بالعنقاء ».

قـال الأولـون

• قال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال ».
• قال ابن مسعود : « الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ».
• قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « إياك واتكالك على المنى فإنها بضائع الموتى ».
• قال أكثم بن صيفى : « الأمور تتشابه مقبلة فلا يعرفها إلا ذو الرأى فإذا أدبرت عرفها الجاهل كما يعرفها العاقل ».
• قال المهلب بن أبى صفرة : « أناة فى عواقبها فوت ، أحب إلى من عجلة فى عواقبها ظفر ».
• قال ذو النون المصرى : « الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالخلق غم واقع ».
• قال العتابى : « ما رأيت الراحة إلا فى الخلوة ، ولا الأنس إلا مع الوحشة ».
• قال أبو على بن الهيثم : « الانسان مجبول على أن يتباعد ممن دنا منه ، ويدنو ممن تباعد عنه ».
• قال أبو القاسم الحسين : « من لم يتحصن بالشرع وعبادة الله تعالى فليس بإنسان ».
• قال بعض السلف : « الأيادى ثلاثة يد بيضاء وهى الابتداء ويد خضراء وهى المكافأة ، ويد سوداء وهى المن ».
• قال أنو شروان : « أربعة أيام لأربعة أعمال . يوم النسيم للصيد ، ويوم الريح للنوم ، ويوم المطر للمنادمة ، ويوم الصحو للكسب ».
• سئل أبو عمرو بن العلاء : « هل كانت العرب تطيل ؟ » فقال : « نعم ، ليسمع منها » قيل « فهل كانت توجز ؟ » قال « نعم ليحفظ عنها ».
• قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه إيمانه . حلم يرد به جهل الجاهل ، وعلم يمنعه عن المحارم ، وخلق يدارى به الناس ».
• قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها : « إن سعادتي فى إيمانى ، وإيمانى فى قلبى ، وقلبى لا سلطان لأحد عليه إلا الله ».

جمال ملائكي

• قالت الزوجة ذات الأنف المشوه لزوجها :
— هل رأيت أجمل مني ؟
وأجاب الزوج :
— في الواقع لم أر أجمل منك .. إنك ملاك وقع من السماء ولكن على أنفه ! ..

إن سعيكم لشتى

• مر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال :
— ما هذا ؟
قالوا :
— مسكين سرق منه رجل جبة ومر به آخر فأعطاه جبة
فقال :
— صدق الله « إن سعيكم لشتى » !

صديق أو عدو

• قال بعض الحكماء :
« ابنك ريحانك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، ووزيرك سبعاً ثم هو صديق أو عدو » ..

عقاب المذنبين

• عوتب أنوشروان على ترك عقاب المذنبين فقال :
— هم المرضى ونحن الأطباء فإذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم ؟! ..

العدل والشجاعة

• قيل لأحد حكماء الهند :
— ايما أفضل العدل أم الشجاعة ؟
فقال :
— إذا استعمل العدل أغنى عن الشجاعة ..

من أين أتيت

• سأل الطفل أمه : من أين أتيت ؟ وأين عثرت علي يا أماه ؟ ضمت الأم طفلها إلى صدرها ، وأجابته في صيحة الفرح : لقد كنت سراً كامناً في قلبي كأنك أمنية من أماني يا عزيزي .. لقد كنت تتمثل لي في عرائس الطفولة التي كنت أداعبها وأنا طفلة مرحة .

هـل تصـدّق ؟!

أفضل طريقة للقبض على السارق

أحد القضاة الأذكياء ، تقدم إليه رجلان يتنازعان على ملكية (عباءة) يدعي كل منهما أنه صاحبها وأن الآخر سرقها منه ، ويقيم الدليل ويسمي شهوداً . فأشكل الأمر على القاضي وفكر في تأجيل القضية ريثما ينتهي إلى حقيقة يرضى عنها أو يوفق إلى حكم يرضى به . لكن سرعان ما أسعفته بديهته فقال لهما : أمسكا العباءة من طرفيها ، كل من طرف . ففعلا وتركهما على تلك الحالة لحظات شغل نفسه فيها بتقليب بعض الأوراق الموضوعة أمامه .. ثم .. وفجأة صاح أترك يارجل العباءة . فتركها أحدهما بحركة عصبية نمت على أنها ليست له ..

وهنا ظهر السارق الحقيقي بفضل ذكاء القاضي وحسن استنباطه بعد أن عجز عن إصدار حكم صحيح إذ كانت مواقفهما متكافئة أمام القانون والشهود .

الطفل المليونير

هل سمعتم عن بردوني آلن ريبي ؟

إنه طفل زنجي ، في الخامسة من عمره ، يعمل في الترويج لمختلف أنواع البضائع الاستهلاكية ، بواسطة الأفلام الإعلانية التي تعرض في جميع محطات التليفزيون ودور السينما في مختلف أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية .

إنه يتقاضى مبلغاً كبيراً من المال لقاء قيامه بهذا العمل نظراً لقدرته العجيبة في إقناع المستهلكين بشراء هذه السلعة أو تلك ..

ومن الطبيعي أن يتمتع هذا الطفل الذكي المحظوظ بثروته ، بالطريقة التي تحلو له ، فهو لا يذهب إلى الأستديو إلا بسيارة أنيقة ثمينة ، يقودها سائقه الخاص كما أنه لا يتناول طعامه إلا في أفخر المطاعم الموجودة في نيويورك ، حيث يعيش .

الحرية

قال الشاعر العراقي معروف الرصافي :

سمعت شعراً للعندليب
تلاه فوق الغصن الرطيب
يا قوم إني خلقت حرا
لم أرض إلا الفضا مقرا
فإن أردتم أن تؤنسوني
ففي البساتين لا تحبسوني
وإن أردتم أن تنطقوني
فأطلقوني .. أطلقوني ..

الأمراض الوراثية

الأول : هل صحيح أن أمراض الإنسان تظهر في أولاده ؟

الثاني : هذه أوهام ، فإن أبي مثلاً ، مات بسوء الهضم وأنا الآن أموت من الجوع ! » .

بلا شك

— هل تعتقد أنه سيتزوجها حقاً ؟

— بلا شك ، فهو لا يهديها إلا أدوات للمطبخ !

أعمار القواد

• قاد الاسكندر الأكبر جيوش اليونان وهو في الخامسة عشرة وفي الثانية والعشرين انتصر على ملك الفرس .
• وقاد هانيبال جيوش قرطاجنة وهو في السادسة والعشرين ، وكان عمره ٢٩ سنة عندما عبر جبال الألب في ١٥ يوماً .
• وانتخب يوليوس قيصر قائداً للجيش الروماني وهو في الثلاثين ولكنه بدأ عمله الحربي الحقيقي وهو في الرابعة والأربعين ..
• وكان فردريك الأكبر في الثامنة والعشرين عندما طالب بأقليم سليزيا وألحق الهزيمة بالنمساويين ..

بـدويّ الجبـل .. وإخاء أربعـين سـنـة



الشاعر الكبير بدوي الجبل مع كاتب المقال

يواصل عميد الأدب العربي القومي الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة



وكان بدوي الجبل معجباً ، الاعجاب كله بفارس الخورى السياسي العربي السوري العالم ، الخطيب ، الشاعر ، الثائر ، الحقوقي ، الفقيه العبقري الذي يتحدّى كل من عرفه ألا يعجب به . وقد تراصفا في المجلس النيابي السوري في اربع دورات كان فيها « الفارس » رئيساً « والبدوي » عضواً وأمين سر . كما كان البدوي وزيراً في وزارة الخوري .

فـارس الخوري

وتوفي فارس الخوري سنة ألف وتسعمئة واحدى وستين بينما كان البدوي يكابد المحنة في لبنان وقد أربكه نعي رئيسه ، فما استطاع رثاءه ، حتى إذا أطلّت الذكرى الثالثة للوفاة ، والبدوي في استانبول ، توقدت في صدره الحسرة ، وكان يعلم أن الآستانة عرفت « الفارس » نائباً نابغاً في « البرلمان » العثماني ، وأذكى الاغتراب قريحته ، وساعفه البيان فأرسل رائعته في رثائه ، بقصيدة أنافت على مئة بيت ، جعل عنوانها (غربة الروح) وجاءت من روائع المنظوم في أدب الرثاء .. ومطلعها :

أترعي الكأس أدمعاً ورحيقا ... حقّ بعض الهموم الأ نُفيقا
سلِمَ الجمرُ لي وعاش بقلبي ... أريحيَّ اللهيب عذباً انيقا

ولا أذكر أن البدوي رثى عظيماً من لداته الوطنيين إلأ تذكر اخوانه الراحلين وناجى قبورهم :

وسعت هذه القبورُ فؤادي كيف تشكو ـ وهي السماوات ـ ضيقا
كيف لا تنبت الرياحين والشوق ... وقلبي على ثراها أريقا
مقلتي يستحم في دمعها الطيفُ ... ويحنو فلا يموتُ غريقاً
ينزلُ الجُرحُ من فؤادي على الحُبُ ... ويلقى التدليلَ والتشويقاً

وهات لي من يحسن وصف فارس إحسان البدوي :

(فارس) المجد لم تزغرد عذارى المجد الا انتخى وكان السبوقا
وله الطرفة المليحة تغني ... عن نقاش وتسكت المنطيقا
وبيان تخالُهُ الوشيَ والأطيا ... ب شتى ، واللؤلؤ المنسوقا
فيه عمق البحار تزخرُ بالدُّر ... وفيه متارفُ الموسيقا
وضميرٌ يكاد يُسرفُ في الحس ... فيجزي حتى الخفيَّ الدقيقا
عالم يسكُبُ العذوبةَ في العِلم ... فتستاف عنبراً مسحوقاً
بالنسر تقحَّمَ الشمس حتى ... ملّ عزّ الشموس والتحليقا
حقُّ عبئين من سنينَ ومجد ... أن يكُفّا من شأوه ويعوقا
يهرم النسر فالطريق عثارٌ ... ذكرياتُ الصبا زحَمْنَ الطريقا

وبعد وصف للنسر وذكرياته عاد يخاطبه ويشكو إليه لبنان الذي ألجأه إلى استانبول :

حال بيني وبين لقياك دهر　　سامني عبئه فكنتُ المطبقـا
أنزلتني على فـروق رزاياه　　فحيَّا عطر السماء (فروقا)[1]
ضاق لبنانُ بي وكان رحيباً　　وتنزىً حقداً وكان رفيقـا
ما للبنان رُحْتُ أسقيه حُبي　　وسقاني مـرارة وعقوقـا
أنـا أغليته بلؤلؤ أشعاري　　وطوّقت جيـده تطويقا
وزرعت النجومَ في ليل لبنانَ　　فرفَّ الدُّجى نديـاً وريقا

ثم عاد يناجيه :

يرد الخطب منك قلباً سرياً　　وبياناً عفّاً ووجهاً طليقاً
من يَعُلُّ النديَّ بعدك بالشـهـد المُصفىّ ومن يسد الفتوقا

اغتراب القبور

وعاد فتذكر فراق أحبته وقبورهم واغترابه :

غربتنا العُلى قبوراً وأحياء　　وعاثت بشملنـا تفريقـا
وأغتراب القبور من حيل المو　　ت ليُخفي كُنوزه والعلوقا
ما لقومي غال الحِمامُ فريقاً　　منهمْ والعقوقُ غال فريقا

وليس أرضى لضميره في رثاء اخوانه من التجاهي بالبطولات ، والتغني بالتضحيات : وقد راح يهزج وكأنه يثوِّب تثويب الداعي إلى المجد . في عزّ أموي وجهاد وطني يعربي :

نحن كنا الزلزال تعصف بالشرق　　نرجُّ الشعوب حتى تفيقـا
فابتدعنا من الرؤى واقع الحق　　ومن لجة الظلام البريقا
نقحم الغامض الأشم من المجد　　ونأبى المُمَهَّـد المطـروقا
نحن عطر السجون عطر المنايا　　نحملُ الجرح مطمئناً عميقا

نحن كالشمس جُرحُها وهج الدنيا　　غـروباً منـوراً وشروقـا
نحن والشام والفتوحاتُ والاحزانُ　　دنيـا تـزينـت لتروقـا
ما درى الشرق قبلنا سكرة الحق　　ولا خمـرها ولا الـراووقـا

ابتهـالات

وفي جنيف نظم « إبتهالاته » العظيمة البالغة الروعة . وأفضل عليَّ بإتحافي بها ـ وأنا في طهران ـ وهي في نحو مئة وعشرين بيتاً . وقد أهداها « إلى قبور حبيبته في دمشق وحمص وحلب واللاذقية وبغداد » رتلتُها فرنحتني . وإذا لم يكن هذا هو السحر الحلال فما يكون ؟ إنها وحي غربة موحشة . وحنين إلى الأهل وحنان على وطن . وياله حنوناً حنانا وهو يهتف :

يـا شـام : يالـدة الخلود　　وضـم مجدكُمـا انتساب
من لي بنـزر من ثـراكِ　　وقـد ألـحَّ بـي اغتـراب
فأشمُـه وكأنـه　　لَعَـسُ النواهـد والمـلاب
وأضمه ، فترى الجواهـر كيف يُكتنَـزُ التـراب
هذا الأديم أبى وأمي　　والبـدايـة والمـآب
أغلـى علـيَّ من النجوم　　ولا أُعـار ولا أُعـاب
السروج من غيب السمـاء　　ومنك قـد نسـج الإهـاب

وأين من سحر دمشق كل ما في جنيف من جمال ؟ وهل لشمس دمشق شبيه في شمس جنيف تتواري في الضباب وخلف السحاب ؟

أشتاق شمسك والضحى　　أنا والبحيـرة والضباب
ومُضفَّرات بالثلـوج كأنما　　نصَـل الخِضـاب
تعوي الريـاح فمـا القسـاور في الفـلاة ؟ وما الذئاب !
والثلـج جُـنَّ فلم تبـنْ　　سُبـلٌ ولـم تُعرف شعاب
أحنى المعالم : لا السفـوح هى السفوح ولا الهضاب
يـا شمس غبتِ ، فكيف تم ـ ولا طلـوع لك ـ الغيـابْ



بدوي الجبل تقبله حفيدته رنا في آخر أيامه



بدوي الجبل في سويسرا

نحنُ كنّا الزّلزالَ نعصفُ بالشّرقِ
نـرجُّ الشـعُوبَ حتى تُفيـقَا

إن كنت مُسلمـةَ الهوى   فتألقـي رُفـع الحجابُ
مَلَّ السحـابُ من السماء   ومَـرَّ في الارض السحابُ

على أن غربته لم تثلم إباءه ولم تجرح كبرياءه :

في غربة أنا والإبـاء المـر   والأدب اللبـــابُ
طود أشـمُ فكيف ترشقنـــي   السهــامُ ولا أُصــاب
يخفـى البغاث فلا تُلِمُّ   بِهِ ولا يخفـى العُقاب
الكبـرُ عنـدي للعظمِ   إذا تكبَّرَ لا العتابُ
عنـدي لـه زهـدٌ يُدلُّ   على الكواكبِ واجتنـاب
يـزهـو الكريـمُ وقلبه   دام تمزقـه الحـرابُ
أغلـى المـروءة شيمـة   طُبِعَت وأرخصُهـا اكتساب

على أنه في تسابيحه وصلواته وابتهالاته لا يُرجي ولا يرتجى غير الله :

أنـا لا أرجي غيـر جبار   السمـــاء ولا أهــاب
بينـي وبيـن اللــه   من ثقتـي بلطف الله بـاب
وإذا سألت عـن الذنـوب   فـإن أدمعـي الجـواب
هي في يمينـي حين ابسطها   لـرحمتـك الكتــاب

متـى الأياب ؟

على أنه بعد استغفار ودموع ينهي ابتهالاته بهذه الأبيات الثلاثة المؤثرة :

أنـا والربيـع مشـردان   وللشـذا معنـا ذهـابُ
لا الأيـكُ بعـد غيابنا   غـردُ الطيوب ولا الربـابُ
والنـور يسـأل والخمـائل   والجمـالُ : متـى الأياب ؟

وأرَقَّت « الابتهالات » قلب شاعر الشام شفيق جبري ، وأرسل من منسكه في بلودان ـ وكانت الهموم تتناجى في صدره ـ قصيدة جاءتني إلى طهران فشجاني منها ما شجاني من « ابتهالات » البدوي ، وكانت من ثورة العاطفة وسورة النقمة وشدة العتاب على الحال ، ما حال دون نشرها في الصحف حينئذٍ ، وفي ديوانه بعدئذٍ : وفيها يهاتف « البدوي » :

يـا نائحاً خلف العباب   أدموعُ عينك أم هِضابُ؟
رفقـاً بقلبك أن يذو   ب وقلب ربعك أن يذاب
ضَني الصحابُ من الحنين   أما حنوت على الصحاب ؟

وفيها :

« العندليب » على البحيرة   والجوانـح في اضطراب
ملَّ المقـام ـ ومـا يملُّ   مقامه ـ فمتـى الإيــاب؟

والقصيدة طويلة ، ومؤثرة ، وصف فيها دمشق في غياب البدوي وأنهاها باكيا :

ليست دموعـاً ما سكبتُ   شغاف قلبي في انسكاب

ورتلت القصيدتين وتذكرت أنني لم اجب على رسالته ذات الابتهالات ، ورأيتني ـ وقد اكتهل الليل ـ أكتب إليه رسالة لم أفرغ منها حتى مطلع الفجر :



مع الملك حسين في زيارته لدمشق عام ١٩٥٦ م . وعلى يساره الوزراء : علي بوظو ، بدوي الجبل ، بدري العبود ، عبد الوهاب حومد ، منير العجلاني .



في احتفال الملك فاروق بمندوبي الدول العربية في الجامعة بالألبسة الرسمية ويرى الملك فاروق وعلى شماله فارس الخوري رئيس وزراء سورية ـ فالوزير بدوي الجبل ، وبينهما الوزير السعودي يوسف ياسين بالعقال ، فالنائب السوري يوسف الأطرش ، وعلى يمين فاروق : أرشد العمري رئيس وزراء العراق فجميل مردم بك سفير سورية في القاهرة.

وفيها أقول بعد أن أعرفت عن تهيبي حين أهم بالكتابة إليه : « ولعل عاملاً يتصدر دواعي هذا التهيب هو أسلوبك الأرفع في إنشاء رسائلك الماتعة الرائعة ، رسائلك التي بلغت السدرة في الفصاحة وتزري في ديباجتها بأبلغ ما يمكن أن أكتبه إليك .. ورسائلك كنوز احتفظ بها ميراثاً أوصي أولادي بصيانه والاعتزاز به ولعل ما يغريني بالتكاسل عرفاني أنك سريع الرضى عن أخيك ، غافر لذنوبه ، وأنه ينعم منك بعاطفة أخويه تحملك أنت على الاعتذار عما يجترحه من تقصير .. ولكنني رأيتني الليلة أعذل نفسي وأهامسها : لا يجمل بك الامعان في التقصير اعتماداً على سراوة الأخ الأنبل وتناولت اليراعة مستغفراً ومعرباً عن هذا الشوق الذي يتوقد في صدري ، وعن أثر « ابتهالاتك » في نفسي . تلك « الابتهالات » التي كاد الكثيرون يحمدون بسببها ظلم الظالمين قائلين : نعم اضطهاد العبقريين إذا اجتنت الآدابُ الرفيعة من روائعهم « جنى » كابتهالات البدوي ، وحبذا غربة العبقري إذا هو نفح الأدب بمثل « البلبل الغريب » و« حنين الغريب » ! فأنت ترى ياشاعري الكبير أن الناس « أنانيون » وقد يبلغ بهم حب ذواتهم أن يرضيهم ظلم العبقريين .. وكم ترنح بالنشوة اديب أو متأدب أو ذواقه وهو يرتل قصائد للعبقريين هي نبات محنتهم وثمرات شقوتهم .. على أن العبقري يثأر لنفسه حين يجعل الظالم هُزأة بين الناس في التاريخ وظلمه مخزاة لاصقة به ، سُبة دهر وعار أبد . ويثأر لنفسه بما يفرضه على الدهر من تخليد بخلود روائعه ومن تمجيد بمجادة بدائعه .

أما بعد فإن طهران اليوم في ربيع فاتن واشراقك عليها يجعلها في ربيعين ، ومثلك أدباً وشعراً لا متندح له عن اعتمار موطن الشعر . والرأى أن تبادر إلى المنّ بالزيارة قبل أن يهجم الحر علينا ، وإذا أنت لم تأنس بها أو ازعجتك حمّارة تموز وقيظ آب ، فعد بسلامة الله إلى جنيف ولكن بعد أن تتنوّر جمالات طهران وشواطئ قزوين ومساجد اصفهان وأن تزور ضريحي زميليك سعدي وحافظ في شيراز . أن صديقنا الحميم الدكتور مصطفى ياسين زار طهران مصطحباً وزير



فخري البارودي وأكرم زعيتر

الخارجية العراقية . واعطيته قصيدتك « البلبل الغريب » ثم جاءني صبح اليوم التالي يقول : « لكَ الله يا أكرم ، ما صنعت بي ؟ أن قصيدة البدوى ابكتني وأرقتني ولا ازال أعيشها الساعة ، وراح يردد بعض ابياتها الشاجنة والدمع يترجح في مقلتيه » .

رائعــة النثر

وأجابني البدوي بمقامة هي في ذمة الأدب الأرفع مثال للنثر الأروع ، وإذا نالني منها فخرها فإني ارجو ألا يفوت قارئي اليوم سحرها . وفيها يقول بعد مقدمة وجدانية :

« إن الحياة على همومها وأحزانها وحرمانها وسيمة كريمة . وأكرم ما فيها أنها جمعتني بأكرم ووصلت وجداني بوجدانه وإيماني بإيمانه . ولا يُهم بعد ذلك أوَصَل أم جفا ؟ أذكر أم تناسى ؟ فهو على حالتيه زينة لسريرتي وحلية لقلبي ، وغبطة تشمل كياني ، وهناءة تبدد أحزاني ، كتابك بين يَدَيَّ ريحانه أشمها ، وحورية من حور الجنة ألثمها وأضمها ، وبعض البيان عطر وبعضه سحر ، والكتابة منك وإليك نعمة للنفس ونعمة للقلب ونعم للفكر ، وما عند دوحة البحيرة في جنيف ما يسكر كهذا الرحيق العربي المصفق بطيوب سعدى والخيام » .

« إن صداقتك واحة في صحراء ، وأنا المتعب المكدود أفيء إلى ظلالها ، وأعب من سلسالها . فإذا بعدت بي المتاهات عن هذه الواحة ، وافتقدت شذاها لم افتقد رؤاها ولم أغب عن ذكراها ، والذكريات مُلْكُ يدي لا مُلك الدهر. إنها الكنز الذي لا يفني ، والنعيم الذي لا يبلى ، وما كان أقسى الحياة لولا هذه الذكريات الحبيبة تنور في صحراء العمر أفياء وأفناناً ، وترف في وقدة الهجير روحاً وريحانا ، ونحنو في غمرة المحنة هدأة وأمانا ، ولك عندي من الذكريات دنيا ، بليلها ونهارها ، وشموسها وأقمارها ، وبسيطتها وبحارها ، وهذه الدنيا ـ على سعتها وشموها ـ مكنوزة في خيالى ، موجزة في قلبي ، تضيق حيناً فإذا هى قارورة عطر ، وتتسع حيناً فإذا هى زرقة بحر ، وأنا أشم العطر منها إذا ضاقت ، وأملك البحر ولآليء البحار إذا اتسعت ، فاكتب يا أخي إذا شئت ، ولا تكتب إذا شئت ، وصل رحيماً أو أقطع ظلوماً ، فما يهم ذلك . الدنيا ذكريات .. وكلها ذكريات ، وأنا في الغربة والمحنة والسقم أعيش في الذكريات . بعضها أطيب من الكرى على العافية بعد السهد ، وبعضها لم يخلق النسيان إلاّ رحمة من الله ليعفي عليه . وفي بعض هذه الذكريات أخوان طوتهم القبور واخوان طواهم الغرور . وفي بعض هذه الذكريات اشتات من حسن ودمامة . منها غدر قريب وجفوة حبيب وتنكر صديق ، وتكبر عظيم ، ولكل واحدة من هذه الذكريات مكان في قلبي يتفق مع جوهرها وينسجم مع عنصرها ، فلذنب الصديق العذر ، ولخيلاء العظيم الكبْر ، ولنعمة الله الشكر ، ولمحنة الأيام الصبر ، وذكرياتك بينها هي الصبيحة المليحة دائماً ، الوسيمة الكريمة أبدا ، الندية الوفية سجية » .

وعــاد إلى دمشــق

وعاد البدوي إلى دمشق بعد سنوات طوال من الغربة المضنية ، « نفساً شفافة .. شفها الوجد وبرتها النوى » كما قال الشاعر أبو سلمى في رسالة . وأبرق إليه شفيق جبري من بلودان يقول : « هنيئاً لجنة الدنيا عود العندليب إلى ظلالها ، متعها الله في حياته وملأ الآذان من تغريده » فأجابه : « سحر بيانك وسحر الغوطتين منبع الهامي وسر انغامي فمن حق أديمها المعطر أن يتزين له الوفاء ، ومن حق بيانك المنور أن يتبرج له الثناء » .

وتلقيت منه كتاباً يكاشفني فيه بجلية أمره ، ويعتب على صديق ذي شأن كبير ، بعض شؤونه ، وقد أفضل عليَّ بأن استشهد في مخاطبتي بقول شاعر :

ولي صاحب كالسيف أبيض مصلتاً   وهبهات منه كل أبيض مصلتِ
رأى حاجتي من حيث يخفي مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلتِ

ومما استشهد به في كتابه من شعره قوله :

ولا وفاء لقلب حين نؤثره   حتى تكون رزايانا رزاياه

وقوله :

الا أن خير الود ودٌ تطوعت   له النفس لا ود أتى وهو مُتعَبُ

وقد اعتذرت عن تقصيرى وانتحلت لصاحب الشأن عذرا تقبله البدوي قائلاً :

« وقد عودنا الدهر أن نتلمس الاعذار لمن نحب » .

فخري البارودى

وعدت من طهران إلى عمان ، وفي الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٦٦ هتف بي صديق من دمشق ، ينعى إليَّ زعيم شبابها وصبيح وجهها ، وبشاشة محياها ، وآية أريحيتها وحيويتها صديقي فخري البارودي ، فروعني النبأ وفي اليوم التالي هرعت إلى دمشق ومثلت جلالة الحسين في تشييع البارودي بوصفي وزيراً لخارجيته وتلاقت في موكب التشييع عبراتي وعبرات البدوي .. وقد شيعت دمشق المولهة في نعش فقيدها تاريخاً حافلاً بالأمجاد الوطنية . ولما عدنا من التشييع راح « البدوي » يكتب بدمعه ودمعى رثاء للراحل . وما برحت دمشق حتى أتم الرثاء .

نحن كنّا الزلزال نعصفُ بالشرق
نرجُ الشعوب حتى تُفيقا

إن في نشر هذا الرثاء المنثور الذي لا نجده في ديوانه الشعري تكريماً لذكرى فخري وجيله ورعيله وهو اشراقة بليغة لتاريخ الكتله الوطنية التي قادت النضال نحو الحرية والاستقلال :

المرحُ الطروب ، المُترَفُ الساخر العابث ، حتى إذا جد الجد ، وحميت المعركة ، واضطربت الحلوم ، وزلزلت الأرض زلزالها ، زأر وتنمرْ وتقحم السيوف ، وتحدى الحتوف وقاد الصفوف ، فتحوَّل المرح جهاداً والترفُ عناداً والعبثُ سكينة وإيماناً ، والطرب كبرياء وعنفواناً .

فيه شيم العربي الأصيل سماحة وصباحة وإباء ، وحياء وصبراً ووفاء ، ومصاولة الدهر زحفاً بزحف ، وعنفاً بعنف ، ومصاولته حينا آخر بالطرفة الساحرة ، والدعابة الآسرة ، ويضحك ، ويتندر في السلاسل والقيود ، والسجون والمنافي ، كما يضحك ويتندر في مجالس السمر ، في ظل النعيم على أرائك الأرجوان .

يرنح أعطافه البيتُ الرائع من الشعر ، والقطعةُ الحنّانة من الموسيقا ، والتحفة الملهمة من الغناء .

في بيته القديم ، في الساحة الشاميّة المضيافة ، الناعمة بنواقير الماء ، المُمسّكة بأطياب الرياحين ، المنفتحة على المجد ، وعلى الكرم ، وعلى النجوم نشأت الكتلة الوطنية ، مباركة العدوات ، ميمونة الروحات ، منصورة اللواء ، منضَّرة الفتوحات ، وفي بيته القديم دوت أصوات الأتاسي وهنانو وسعد الله وجميل وفارس واخوانهم يبدعون أمة ، وينشئون تاريخاً ، ويبنون دولة ، وفي بيته القديم تلاقت مساقط الثلوج وحضارة المدن ، وصفاء الريف ، وهجير البادية أمة واحدة : الزعيم فيها هو المكافح ، والأصيل فيها هو المنافح ، والقائد فيها هو البطل ، ومكان الزعامة ميسر لكل من أراد ، إذا تقحم غمرة الجهاد ، فالشرف شرفُ المنون ، وشرف السّجون ، والثراء ثراء النضال لا ثراء الأموال .

عرف البارودي وأخوانه الميامين كل خطوب الحرية وكل غمراتها ، وتحدوا نار الفرنسي وحديده ، وعدته وعديده ، بالصبر والإيمان وقادوا معركة الحرية والاستقلال ثلاثين عاماً ، يكرون حين يكون الكر سداداً ، ويهادنون عندما تكون الهدنة سداداً ، ويبادهون العدو بالثورة اللاهبة حيناً ، وبالحجة القاطعة حينا ، والصوفية الوطنية طراز جهادهم وحليةُ أمجادهم ، والمعركة معركة ميدان ، ومعركة أذهان ، حتى انتزعوا الاستقلال من نيوب الأسد وأظافره ، وتوثبه وزماجره ، وزفوه إلى الأمة هدية بطولاتهم ، وذخائر مروءاتهم ، وعطر الجنة من أمواتهم شهداء ، وعطر الدنيا من أحيائهم شهداء : كل هذا التاريخ الضخم الفخم تضمه الآن قبور أو غربة أو كهولة حزينة أو ضني لا يريم .

ولقد نفضت اليوم على قبرك يا أبا الحسن حفنة من تراب ، بل من دموع ، بل من قطع قلب ، ولو شمها العطر ، لشم فيها ما هو أغلى منه عبيراً ، وأذكى بخوراً ، ذكريات أربعين عاماً قضيناها معاً في بؤسها ونعمائها ، وها أنا ذا أرجع من جنازتك حزيناً موجعاً ثاكلاً لا أتكلف تجلداً في الحزن عليك ، لم يبق لي منك ولا من اخوانك الذين سبقوك إلى رضوان الله إلا أطياف وذكريات ، وأحزان ودموع .

اللهم إليك أشكو فرقة الصديق ، ومرارة التجني والغربة في الوطن ، اللهم ولا اعتراض على قضائك ولا ضيق بابتلائك ، أسبغ الصبر على القلوب الملتاعة وضوِّء بالأنس تلك السرائر الحزينة الموحشة ، واللهم ندِّ قبور النازحين منا والمقيمين برفيف أجنحة الملائكة ، وطيوب سدرة المنتهى ، واللهم ندِّ جوانح المقيمين منا والنازحين ، بنفحة قدسية من الكعبة الغراء ، ومن قبر أبي الزهراء .

اللهم لقد نزل على ساحة كرمك فخري البارودي بعد جهاد أغر محجل ، وكفاح طويل الآماد ، عريض الأمجاد ، اللهم فاجزه خير جزائك ، وشرفه بالغمر من عطائك ، وليستأنف البارودي شبابه في جنتك ، مع لداته وأترابه ، ورفاقه وأصحابه ، وبأندي(٢) الأتاسي وسعد الله وإخوان الأتاسي وسعد الله في الخضل المنوّر من روضات الجنة ، تزيَّنْ للقادم الجديد ، وأسكب قوارير العطر على كل منعطف ، فرحة به وتأهيلاً وليكن هذا العطر من رياحين دمشق واقحوان الغوطتين ، وإن غارت رياحين الجنة واقحوانها ، لنا الله نحن رعيل الحق والحرية والاستقلال ، ننكر أحياء ونُكرَمُ أمواتاً ، وتلك سجية العظيم ، ومزية العبقرية ، وقديماً قال الامام أحمد بن حنبل لمن زها عليه في محنته : « بيننا وبينكم الجنائز »

أين أين الرعيل من أهل بدرٍ   طُويَ الفتح واستبيح الرعيل

أكرم زعيتر


شفيق جبري يعود بدوي الجبل

تصويبات :

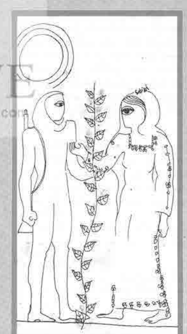
في العدد ١١٩ في حلقة بدوي الجبل وإخاء أربعين سنة :
ورشح الحزب بدوي وزيراً وصحيحها البدوي .
وأهفو في المجر إلى ظلامهم وصحيحها المجير .
صورة أنيقة وسمة وصحيحها وسيمة .
الغني بالطوف وصحيحها بالطيوف .
الشاعر الثائر توفيق عواد وصحيحها الشاعر الثائر .

هوامش :

(١) فروق اسم (استانبول) أوالآستانة .
(٢) النّدي : المندى .

ثورة فلسطين

تدخل عامها الثاني والعشرين



يوافق صدور هذا العدد من الدوحة ذكرى مرور واحد وعشرين عاما على بدء الثورة الفلسطينية التي أطلقت رصاصتها الأولى من أجل تحرير الأرض والإنسان في أول يناير «كانون ثاني» سنة ١٩٦٥ ، وقد واصلت الثورة طريقها المحفوف بالمتاعب والمصاعب ، والمفروش بدماء الشهداء ، من أجل تحرير القدس الشريف ، وكل الأرض العربية المقهورة ، التي أعطاها من لا يملك لمن لا يستحق ، وحرم منها أهلها من العرب الذي كانوا يملأونها بالزرع والعمران والعبادة منذ عشرات القرون ، جيلاً بعد جيل بعد جيل . ولقد كانت الثورة الفلسطينية التي اندلعت شرارتها في أول يناير سنة ١٩٦٥ قوة مندفعة نحو الخير والحق والعدل ، ولن تتوقف هذه الثورة المباركة حتى تحقق شعارها الذي تعلنه وتلتزم به وهو : ثورة حتى النصر.

وفي هذا الملف تشارك مجلة الدوحة في الاحتفال الفكري ببداية العام الثاني والعشرين للثورة الفلسطينية العادلة ، تلك الثورة التي بدأت صغيرة ، ثم انطلقت وكبرت وأصبحت موضع الاعتراف والتكريم ، لا من العرب المسلمين وحدهم ،بل من ثلاثة أرباع سكان العالم ، ولم يبق في صف المعارضة لهذه الثورة الكبرى إلا الصهيونية والقوى المؤيدة لها في أوروبا وأمريكا ، وهذه القوى مهما كان لها من الامكانيات فإن حسابها على ساحة الحق والعدل قادم وقريب .

ويشترك في هذا الملف عدد من كبار كتابنا المرموقين ، حيث يتناول كل واحد منهم جانباً من جوانب القضية الفلسطينية فيلقي عليه ضوءاً جديداً يكشف مجالاً للرؤية البعيدة :

من الإرهاب إلى مجازر الدولة

بقلم : فتحي رضوان

ايلان هاليڤي هو كاتب يهودي فلسطيني ــ كما يعرف نفسه ــ وان كان قد ولد في فرنسا وربما في باريس . ولكنه اختلف مع زعماء الصهيونية منذ عام ١٩٦٦ ولمدة عشر سنوات ، وقد ضاقت بنشاطه ومواقفه وكتاباته وتصريحاته السلطات الاسرائيلية ، فطاردته بالاعتقال ، والمحاكمة والسجن ، فاضطر إلى ترك اسرائيل ، أى الأرض المغتصبة ، وعاد إلى البلد الذي ولد فيه وشب وتعلم ، أي إلى فرنسا ، وواصل حربه ضد العقيدة أو الايديولوجية الصهيونية ، وفضح السياسات الاسرائيلية ، وقدم للعالم حقيقة أحوال العرب في ظل الاحتلال الصهيوني ، ويصدر في باريس نشرة معنونة بـ « أبناء الداخل » باللغة الفرنسية ، وينشر « أوراق » اسرائيل ساجاك التي تدافع عن حقوق الانسان في فلسطين المحتلة .

وقد أصدر أخيرا كتابا كرسه للحديث عن مذبحة (صبرا وشاتيلا) وعن تقرير اللجنة التي شكلتها حكومة مناحم بيجن في أعقاب هذه المجزرة في سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٨٢ . والكتاب معنون : (اسرائيل : من الارهاب إلى مجازر الدولة) يحاول أن يثبت فيه أن (المجزرة) هي أسلوب من أساليب دولة اسرائيل ، وأنها تعتمد على هذا الأسلوب منذ بدأ عمل اليهود لانشاء دولة لهم على أرض فلسطين ، أي خلال مائة سنة ، وهي المائة سنة التي يسميها هاليڤي حرب المائة سنة .

وقد قرأت هذا الكتاب ، ووجدته بطبيعة الحال جديرا بأن يقدم للقارىء العربى ، بل للقارىء في أي مكان ، لأن مذابح بني اسرائيل في العصور الحديثة ليست مذابح عربية بحتة ، وإن وقعت على العرب وحدهم ، ووقعت في أراض عربية ، ووقعت بهدف إبادة العرب لا في المنطقة التي يزعم بنو اسرائيل أن الههم قد منحهم إياها ، بدلالة نصوص وردت في التوراة ، بل في كل مكان في الشرق العربي ، مع سحق كل سلطة ووجود للعرب ، في أي مكان من المعمورة ، لأن زعماء اسرائيل سواء الذين دعوا لانشائها أو الذين ساهموا في هذا الانشاء بالمال واستغلال النفوذ ، وأخيرا بتسليح المقاتلين ثم اعدادهم وتدريبهم ، وتلقينهم روحيا مبادىء الصهيونية ، هؤلاء الزعماء الذين يؤمنون بدولة تقام لهم في أراضي العبرانيين ، يؤمنون في الوقت نفسه ، أن وجود العرب على أى وجه ، يهدد وجود دولتهم ، لأن العرب مهما قل عددهم أو ضؤل نفوذهم في أي بقعة في الأرض ، فهم مجبولون على السيادة ، وبالتالي سينشئون لهم دولة ، ستكبر على الأيام منتفعة بتقاليد وتجارب وماضي الأمة العربية على مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد .

ولكن قبل أن أقدم لك هذا الكتاب ، أى جوهر ما جاء فيه لابد أن نتساءل سؤالا يلح على أي قارىء عربى ، وهو : هل يصدر ايلان هاليڤي عن اقتناع صحيح وعقيدة صادقة وهو يتعقب الدولة الاسرائيلية ، والعقيدة الصهيونية بالنقد والمعارضة ، مثبتا سوء نيتها ، وإيمانها بالقتل وسفك الدماء ، وخروجها على ما يقضي به الدين ، وأعراف الأمم والشعوب الموصوفة بالتحضر والتمدن ، ويراها لهذه الأسباب خطرا على اليهود ومستقبلهم ، وعلى وجودهم وأمنهم بين غيرهم من بني البشر .. أم أنه خطير كمئات من اليهود ، تزيوا بأزياء عديدة ، وانتموا الى عقائد متباينة ليعرفوا داخل أبناء المذاهب والأديان الأخرى ، ويقفوا على باطن مداولاتهم وحقائق شخصياتهم ، فيشيرون لهم أن يفسدوا في مجال تلك المذاهب والأديان ، ويوقعوا الفتنة بين المؤمنين بها ، والآخذين بأصولها ، ويعرضوا عليهم أفكارا لا تخطر لهم على بال بحكم ايمانهم القوى بينهم الذي فطروا عليه ونشأوا به . ولقد عانى الاسلام منذ مشرق نوره من هؤلاء الذين يحسنون الاندساس فيه ، والتظاهر بالعمل بأحكامه ، والتبحر في علومه ، وقد كان في مقدمة هؤلاء عبد الله بن سبأ وآخرون نشروا في الاسلام من الاسرائيليات ما يلبل الخواطر وألقى بذور الفتن ، لولا أن الله حمى الاسلام .

فهل ايلان هاليڤي واحد من هؤلاء ، أم أنه رجل خالص العقيدة التي ينادي بها ، وأنه يرى فعلا وصدقا أن منهج الصهاينة وإيمانهم بالمجازر الذي يملي عليهم انكار أنفسهم هو خطر يهدد الانسانية . ويهدد اليهود اليوم فيمن يهدد أمنهم ومستقبلهم ؟

هذا سؤال يتعقبنا لأن للعرب في كل منحى في التاريخ رجلا يدعي أنه منهم ، وأنه يتبنى قضيتهم .

أما ايلان فقد نقل عن الكاتب الصهيوني آمنون كابلوك الذي وضع دراسة بعنوان : « تحقيق حول مذبحة صبرا وشاتيلا » ، فقال : بدأت المذبحة في الحال (يوم الخميس ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢ والساعة السادسة من بعد الظهر دخلت أول فرق القتل من المعابر التي أعدها لهم المحتلون الاسرائيليون إلى المخيمات .

ثم : « وبدأت المذبحة في الحال واستمرت أربعين ساعة دون انقطاع ، خلال الساعة الاولى قتل المسلحون مئات الأشخاص وكانوا يطلقون النار على كل ما يتحرك بالأزقة ، وقد حطموا أبواب المنازل وصفوا أسرا بأسرها كانت تتناول العشاء .

وقد قتل بعض الأهالي في أسرتهم في لباس النوم ، كما وجد في العديد من المساكن أطفال في الثالثة أو الرابعة من العمر كانوا أيضا في لباس النوم ، تغطيهم بطانيات ملطخة بالدماء . في حالات عديدة كانوا يبترون أعضاء ضحاياهم قبل القضاء عليهم . وكانوا يسحقون رءوس الأطفال والرضع على الجدران . نساء وصبايا اغتصبن قبل أن يذبحن بالبلط . أحيانا كان الرجال يجرون من بيوتهم ليعدموا جماعات وعلى عجل في الشارع بالبلط والسكاكين . ولقد عثر على أيد انسانية بترت عند المعصم كي يمكن سرقة المجوهرات » .

ولكن لا تزال هناك بقية ألفاظ تصف المجزرة من الخير أن تذكر هنا ، لأنها تكشف جوانب من هذا الفعل الانساني الجنوني الذي يقودنا في دهاليز بعض النفوس الانسانية السوداء القاتمة ، فأنقل اليك :

« لا ضرورة اليوم للعودة إلى تفاصيل الفظائع ، إلا أن الصور التي لفتت أنظار العالم لم يكن من ضمنها تلك المعبرة عن ذروتها : الكراهية لما يحمله الآخر من الانسانية وإرادة تجريده من كل ملامح الشبه بالانسان ، تركت توقيعها على كل السلوك الذي اتسمت به هذه المجزرة الهائلة . بعد مرور أيام تأمل العالم على شاشة التليفزيون وبالألوان مئات الجثث المعذبة والمبتورة والمعتدى عليها والرضع والفتيات والمسنين الذين قطعت رءوسهم ، وعندما استطاعت روايات الناجين خرق حاجز الجبل والتغلب على هيجان الذئاب ، والصفارات والصواريخ وكذلك على الارتجاف العصبي الذي أصاب مراسلي الصحف الذين راحوا يهذون وسط الروائح النتنة المتصاعدة من ركام الجثث الضخم ، حل كالثور المتأجج السريع والعابر ، احساس بالصدمة والتقزز والانكفاء والهول في الرأى العام الغربي قلب ، ولو للحظة واحدة ، ميزان الثوابت الايديولوجية الأكثر تصلبا ، وسقطت المحرمات الفكرية واللغوية ، وبدت البديهيات المكبوتة منذ زمن بعيد كأنها تحتل مركزها ، وإن كان ليوم واحد ، بين مستهلكي مواد الدعاية التي تبثها أجهزة الاتصال بالجماهير .

ذلك لأن صبرا وشاتيلا هما اسمان أطلقا على أول مجزرة سجلت وأذيعت بالتليفزيون ، وهذا ما أضفى عليها صفة الخصوصية ، وأبقاها لحظة مذهلة في التاريخ المعاصر . فقد دخل أول المصورين إلى المخيمين بعد مرور أقل من ساعة على خروج آخر فلول رجال الميليشيات من قبل هيئة الأركان الاسرائيلية » .

وهذا القدر من الألفاظ والكلمات يكفي لنتعرف ماذا كانت هذه المظاهرة الانسانية التي مضت بنا إلى أعمق أعماق الشر في هذا المخلوق العجيب : الانسان . وما يجب أن نتخيله هنا ، وأن نفكر فيه أن هذا الانسان قد استحدث وسيلة لتسجيل كل ما يصدر عنه من الآن فصاعدا من الجرائم والمجازر ، فما حدث في الحرب الصليبية ، وفي



بعض الناجين من مذبحة صبرا وشاتيلا

مدينة القدس بالذات ، والتي خاضت الخيول فيها بحار الدم حتي الركب ، لم يسجل عن طريق التصوير التليفزيوني . ومنا من لا يصدق أن هذا قد حدث . ولكن اليوم سيجد الانسان كل ما عمل حاضرا . إلا أن هذه الصورة الرهيبة التي يصورها ايلان هاليفي ، يضاف اليها عنصر جديد يزيد من هول قبحها ، فالأحياء الذين نجوا من المجزرة ، ولو بجسد ناقص ، وأيد مبتورة ووجود محروقة ، وسيقان محطمة ، حتي ليزحفوا على بطونهم كالزواحف ، والدم ينزف وهم يسبحون — على البطون — في برك من دم سائل ومتجمد تملأ الجو أسراب من الذباب تقدر بالملايين ، وتطن طنينا له تأثير غريب على الأعصاب ، يكاد يصل بالعقلاء إلى حالة الجنون ، وهذه الأسراب لا يلتفت إليها أحد ، ولا يحاربها إنسان ، وتترك تسقط على الجثث وتلاحق الأحياء ، وتنقل الأمراض ، وتطن .. تطن .. تطن .. وكأنها أرواح شريرة تطارد القتلة .

يتساءل ايلان هاليفي : ما هي غاية اسرائيل من هذه المذابح التى اتصلت فى حرب لبنان ؟ وينتهي إلى القول بأن اسرائيل لا تريد منظمة التحرير الفلسطينية معتدلة ، فإن منظمة معتدلة تدافع عن حق الفلسطينيين تكسب ثقة الغرب ، فلابد من دفع المنظمة إلى التطرف ، ويشك في أن يكون دافع اسرائيل لارتكاب هذه المجازر دافعا مجردا كهذا الدافع . وعند هذه النقطة ينقل عن ديفيد بن جوريون كلاما يبرر به حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، وإني أرى أن أجعله ختام هذا المقال .

يقول بن جوريون :

« كان الهدف الآخر من حملة سيناء هو النيل من مكانة الحاكم المصرى ، ولا يجب أن نخفف من قيمة هذا الانجاز ، من موقعي كمسئول عن الأمن حتى قبل انشاء الدولة كانت تساورني دائما مخاوف كبيرة . نعلم جيدا درجة الانحطاط والفساد التي بلغها بعض العرب . وهذا ما يشكل أحد الأسباب الرئيسية لضعفهم في المجال العسكرى . وكنت دائما أخشى أن يبرز رجل من الصفوة ، مثلما حصل وسط القبائل العربية فى القرن السابع ، أو مثلما حصل في تركيا بعد أن هزمت في الحرب العالمية الأولى ، حيث برز مصطفى كمال وصقل أذهان الشعب ، وأعاد إليه الثقة بنفسه وحوله إلى شعب مقاتل . هذا الخطر مازال موجودا ، وكان يبدو على (عبد الناصر) أنه سيكون هذا الرجل . ليس بالشيء القليل أن يحمل الأطفال صوره في بلدان عربية مختلفة ، والنيل من مكانة عبد الناصر هذا كانت عملية سياسية كبرى » .

ولابد من أن نأخذ كلام (بن جوريون) على علاته ، فهو مزيج من فكر متزن ، ثم هذيان عجيب ، فهو يقفز قفزة واحدة لينتقل من عهد البعثة النبوية إلى القرن العشرين ، وهو يتجاهل أبطالا من العرب ، قادة وحكاما وشعوبا ، ومنشئي دول ، وزعماء حركات بعث وتجديد ، يزخر بهم تاريخ الأمة العربية .. على الأقل كان اسم صلاح الدين أحق الأسماء بأن يذكره بن جوريون ، ولكنه يتحاشى هذا كله ، ليكون البطل الذي يقدم نموذجاً له ، تركيا من جهة ، ومنحازا للغرب ومؤمنا بحضارته ثانيا .

المهم أن بن جوريون أفضى الينا بما يخالج عقله الباطن ، فهو يخشى أن يبرز من بين صفوف العرب قائد يفهمهم ، ويزعم أن سبب هزيمة العرب هو ضعف القيادة ، أما ما يفعله الغرب ، وما يتدفق على اسرائيل من سلاح ومال وتأييد سياسي وأدبي .. فلا يذكر ! !



وعد بلفور
وأضواء جديدة على مؤامرة دولية

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

إن تاريخ المشكلة الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي يبين بجلاء دور القوى الخارجية في كل مرحلة من مراحل تطور المشكلة ، وكان تطور الأحداث لا تحكمه الاعتبارات الاقليمية أو ما يحدث على أرض فلسطين وحسب بل إن البعد الخارجي أو الدولي كان يلعب فيها دوراً أساسياً ، ووعد بلفور الذي صدر منذ ثمانية وستين عاما ، والذي كان نقطة تحول هامة في جهود الحركة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين ، يكشف لنا هذا الدور الخارجي .

تنبهت الحركة الصهيونية منذ نشأتها إلى ضرورة الحصول على دعم القوى الكبرى ذات التأثير والنفوذ في فلسطين والمنطقة ، وحدد ذلك مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ الذي أنشأ الحركة الصهيونية ، والذي نصت مقرراته على أن احدى وسائل الحركة هي اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على ترخيص دولي Charter يدعم الهدف الصهيوني وتصدره عدة دول ، لا دولة واحدة . وكان هرتزل مؤسس الحركة يعطي للجانب الدولي أهمية كبيرة . وقبل انعقاد المؤتمر بعامين كتب في يومياته بتاريخ ٧ يونيو ١٨٩٥ يقول : « حالما يتم الاتفاق على الأرض وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود ، سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع جميع الدول الكبرى للحصول على الضمانات » وفي ١٩ يونيو من نفس العام أرسل رسالة إلى بسمارك طالباً تأييده للمشروع الصهيوني .

وفي ابريل ١٨٩٦ قابل هرتزل مستشار قيصر ألمانيا للسعي من أجل الحصول على تأييد ألمانيا لأهداف الحركة الصهيونية .

ومنذ بداية الحركة الصهيونية حرص قادتها على عدم تركيز جهودهم على دولة واحدة ، والابقاء على خطوط الاتصال مع عدد من الدول الأخرى ، لذلك فانه مع تركيز هرتزل على المانيا ، فانه سعى في نفس الوقت لدى انجلترا والامبراطورية النمساوية المجرية وبابا الكنيسة الكاثوليكية وروسيا وفرنسا ، كما سعى للاتصال بالسلطان العثماني . وفي يونيو ١٨٩٦ سافر إلى القسطنطينية عارضاً على المسئولين فيها تسهيل الاستيطان اليهودي في فلسطين مقابل مساعدة اليهود في حل المشكلات المالية التي كانت تواجه الدولة العثمانية وكذا مساعدتها في حل مشكلة الارض ، ولكن السلطان عبدالحميد رفض هذا العرض .

وقام حاييم وايزمان الذي خلف هرتزل في قيادة المنظمة الصهيونية بالسير على نفس الاتجاه .. وخلال الحرب العالمية الأولى نشط القادة الصهيونيون للحصول على تأييد كل من الحلفاء من ناحية ، وألمانيا وتركيا من ناحية أخرى فخلال السنوات الأولى للحرب ، كان عدد من أبرز قيادات المنظمة الصهيونية يعيشون في برلين والامبراطورية النمساوية المجرية ، مثل الدكتور تشلينوت ، واوتووابرج و د . ماكس بودينهايمر . ومن ناحية أخرى كان وايزمان ومجموعة أخرى من قيادة الحركة الصهيونية يسعون للحصول على التأييد البريطاني ، وسعوا لكسب تأييد عدد من رجال السياسة والصحافة والفكر للمطالب الصهيونية . من هؤلاء ويزمان سكوت محرر جريدة المانشستر جارديان ، ولويد جورج وهربرت صموئيل .

وفي مارس ١٩١٥ بعث إدوارد جراي وزير الخارجية البريطاني إلى وزير الشئون الخارجية الروسي رأي بريطانيا حول العلاقة بين فلسطين واليهود ، وأن الحكومة البريطانية مهتمة بايجاد وسيلة لكسب تأييد أغلبية يهود العالم لقضية الحلفاء ، وعبر الروس عن تأييدهم للعرض ، ولكنهم أصروا على ضمان حماية المصالح الدينية الروسية في الأراضي المقدسة . وفي عام ١٩١٧ استطاع سوكلوف أن يحصل من جوليه كامبو ، الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية ، على رسالة تعرب عن عطف الحكومة الفرنسيةعلى القضية اليهودية .

وهكذا ، وبانتهازية سياسية نادرة ، سعت الحركة الصهيونية إلى الاستفادة من كل الدول ، وخاطبت كلاً منها باللغة التي تفهمها ، وبالحجج التي تستثيرها ، بحيث تخرج الحركة الصهيونية

الوعد لم يكن إنجليزياً فقط بل كان وثيقة دولية خارجة على القانون والأخلاق ومعادية لكل الحقوق العربية

مستفيدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أياً كانت نتيجة الحرب .

وعد بلفور والبواعث البريطانية

في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ـ أي قبل أن يحتل الجيش البريطاني فلسطين ـ أصدر آرثر بلفور ، وزير خارجية بريطانيا ما يعرف اليوم بوعد بلفور ، وذلك في شكل رسالة موجهة إلى اللورد روتشيلد جاء فيها :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية ، المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

وتعددت تفسيرات المحللين حول الأسباب التي دعت الحكومة البريطانية إلى اصدار هذا الوعد ، ويمكن الاشارة بالذات إلى ثلاثة عوامل .

أولها : مصالح الامبراطورية البريطانية ونجاح الحركة الصهيونية في طرح أهدافها ضمن إطار المصالح الاستراتيجية البريطانية المتعلقة بالسيطرة على الجانب الشرقي لقناة السويس والطريق البريطاني إلى الهند وإن الدولة اليهودية المزمع إنشاؤها ستكون حجر الزاوية في منطقة النفوذ البريطاني .

وثانيها : رغبة بريطانيا في تحسين أوضاعها في فترة ما بعد الحرب ، وما كانت تتوقعه من تنافس بين الدول المنتصرة على تقسيم مناطق النفوذ والسيطرة . ولذلك أرادت الحكومة البريطانية أن تكسب تأييد الحركة الصهيونية مبكراً . ويدعم هذا التفسير أن بريطانيا قامت خلال الحرب بمفاوضات سرية مع فرنسا وروسيا حول تقسيم مناطق النفوذ بينها بعد الحرب ، وهو ما تم اقراره في معاهدة سايكس بيكو التي تناقضت مع وعود بريطانيا للعرب وقتذاك ، وظلت هذه المعاهدة سرية حتى قامت الثورة الروسية في عام ١٩١٧ وأذاعت نصوصها .

وثالثها : التأييد الدولي الذي نجحت الحركة الصهيونية في الحصول عليه ، وتشجيعها لانجلترا على اصداره .

الوعد : وثيقة بريطانية أم غربية

مع أن وعد بلفور يشار إليه عادة على أنه وثيقة بريطانية ، إلا أنه في الحقيقة كان يعبر عن الموقف السياسي للدول الغربية الكبرى ، فقد لعبت الولايات المتحدة مثلا دوراً أساسياً في اصداره ، واستشير الرئيس الأمريكي ويلسون بالنسبة لنص التصريح ، وكانت له تعديلات على المسودة الأولى له ، وأرسل خطابا بهذا المعنى إلى رئيس الوزراء البريطاني . وكان الموقف الأمريكي من العوامل المشجعة لبريطانيا على اصدار التصريح ، وخاصة


هرتزل — وايزمان

مع ازدياد الدور العسكري والاقتصادي الأمريكي في دعم الحرب ، لذلك لم يكن من الغريب أن قال وايزمان : « كان هذا التأييد من أهم العوامل التي شجعت الحكومة الانجليزية على الموافقة على التصريح » .

وبعد صدور التصريح توالى التأييد الأوروبي والغربي لأهدافه ، فأيدته فرنسا رسمياً في فبراير ١٩١٨ ، وتبعتها إيطاليا في مايو من نفس العام ، ثم بقية دول الحلفاء .

وعندما عقد مؤتمر الصلح في باريس في يناير ١٩١٩ ، تقدمت الحركة الصهيونية بهدف الحصول على تلك « الرخصة الدولية » التي سعت من أجلها طويلاً بحيث تصدر عن المؤتمر وثيقة دولية تتضمن ما ورد في وعد بلفور ، وأيدت هذا المطلب كل من بريطانيا والولايات المتحدة . وعبر الرئيس الأمريكي ويلسون عن موقف حكومته في مارس ١٩١٩ بقوله : « قررت الأمم المتحالفة ، بالاضافة إلى التأييد القوي لحكومتنا وشعبنا ، وضع الأساس للدولة اليهودية في فلسطين » .

وأثمرت هذه الجهود عن نص وثيقة صك الانتداب البريطاني على فلسطين ، الصادر في ١٩٢٢ ، والذي تضمن مضمون وعد بلفور ، فتقرر مادته الثانية : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي » ، وتقرر المادة الرابعة : « يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة في إدارة فلسطين والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ، ومصالح السكان اليهود في فلسطين » .

وبعد ... لعله لا توجد سابقة دولية أخرى تشابه ما تم وصفه في هذا المقال ، ولا توجد وثيقة فريدة في غرابتها مثل وعد بلفور . لقد وعدت الحكومة البريطانية بتقديم أرض لا تملكها ، وليس لها صفة قانونية فيها ، بل لم تكن حتى تسيطر عليها عسكرياً عند صدور الوعد ، ومن ثم يحتار الباحث في الأساس القانوني ، ناهيك عن الاعتبار الأخلاقي ، الذي يسمح بذلك . يزيد من غرابة هذا الوعد أنه ورد في شكل خطاب من وزير الخارجية الانجليزي إلى مواطن انجليزي ، وأخيراً فانه بمقتضى الوعد تعهدت الحكومة الإنجليزية أن تعطي أرضاً كانت تابعة للدولة العثمانية إلى « اليهود » الذين كانوا يعيشون في كل أنحاء الدنيا وقتذاك ولا يمثلون في فلسطين سوى أقلية ضئيلة تمثل أقل من ١٠ في المائة من السكان .

وصحيح أن البكاء على الأطلال لا ينفع بشيء ، ولكن تذكر ما حدث عام ١٩١٧ يمكن أن يفيدنا اليوم لكي ندرك ماذا تستطيع المناورات الدبلوماسية أن تحققه عندما تسود الغفلة أو يشتد الانقسام ، الأمر الذي يعطي للقوى الخارجية فرصة ذهبية للتغلغل ولتنفيذ ما تريد .

مفكر صهيوني يعترض على حكومته

خطأ كبير: التفاوض مع الوجهاء لا مع الزعماء

بقلم: عصام شريح

بعد حرب عام ١٩٧٣ ، وحرب لبنان عام ١٩٨٢ ، وما تلا ذلك من أحداث ، بدأت تظهر في الكيان الصهيوني ، وبين صهاينة « الدياسبورا » « أى الذين يعيشون خارج اسرائيل » ، آراء تتسم بالاعتدال ، وتتسلح بالمنطق ، تنادي بوجوب القبول بتسوية سلمية للصراع العربي الصهيوني ، تقوم على انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، ومن هؤلاء الذين طرحوا آراء من هذا النوع ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي السابق ناحوم جولدمان ، وأوري أفنيري ، وآرييه ألياف ، وحديثاً « مثير مرحاف » الذي يعمل حاليا محرراً في صحيفة « الجيروزاليم بوست » الاسرائيلية .

فقد نشر « مرحاف » مقالة هامة في « الجيروزاليم بوست » تحت عنوان : « إجماع على السخف » ، تناول فيه مسألة المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ، لتحقيق ما يوصف بحل سلمي للصراع العربي ــ الصهيوني في المرحلة الراهنة ، وما إذا كانت منظمة التحرير أو غيرها ، هي الجهة التي تملك صلاحية إبرام « التسوية المنشودة » .

ونظراً لأهمية هذه المقالة ، وما تنطوي عليه من آراء غير مألوفة ، عن الإسرائيليين ، فقد آثرنا تقديم ترجمة لها ، مع تعقيب عليها ، علماً بأن « مؤسسة السلام من أجل الشرق الأوسط » ، وهي مؤسسة خاضعة لسيطرة الصهاينة في الولايات المتحدة كما يبدو ، أعادت مؤخراً طبع مقالة « مرحاف » بنصها الانجليزى ، كما وردت في « الجيروزاليم بوست » ، بعد أن ضمت إليها مقالتين أخريين ، هما عبارة عن تعليق على مقالة مرحاف بناء على طلب هذه المؤسسة ، أما صاحبا المقالتين فهما « فليب كلوتزنك » الرئيس السابق لمنظمة « بناي بريث » ، وهي منظمة صهيونية أمريكية ، ثم السفير الأمريكى السابق لدى مصر « هيرمان فريدريك إيلتس » ، وقد أيد كل من كلوتزنك وإيلتس ، وجهة نظر « مرحاف » الداعية إلى التفاوض مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية ، دون غيرها ، باعتبارها الناطق الحقيقي باسم الشعب الفلسطيني .

لكن لنبدأ بمقالة « مرحاف » أولا :

هــراء وسخف

يقول مرحاف : هناك إجماع في الكيان الصهيوني على أن اسرائيل لن تخاطب منظمة التحرير الفلسطينية ، بيد أن هذا الاجماع بين الاسرائيليين كان دائما هراء وسخفاً مطبقا . وعلى الأقل بالنسبة لأولئك الذين لا يريدون لاسرائيل أن تصبح « دولة » ثنائية القومية ، أو حتى أسوأ من ذلك : نظاماً عنصريا .

ويتساءل مرحاف : « أي فلسطينيين يمكن أن نقبل كشركاء في المفاوضات ؟! فإسرائيل لا تقبل بممثلين لمنظمة التحرير الفلسطينية ولا بأي فلسطيني ترشحه المنظمة .. و« المعتدلون » بين الإسرائيليين يقولون وهم في حالة ارتباك ، إننا لن نمعن النظر في الماضى السياسي لأي فلسطينى سيجلس معنا حول طاولة المفاوضات ، فهؤلاء المفاوضون قد يكونون متعاطفين مع منظمة التحرير ، وربما كانوا يتبنون مواقفها ، وفي أحسن الحالات قد يكونون مرشحين من قبل منظمة التحرير نفسها ، مع أنهم ليسوا أعضاء فيها ، ومع أنهم قد تخلوا عن الأرهاب » ، ولا ينادون بتدمير « دولة اسرائيل » ، كما « ينص على ذلك ميثاق منظمة التحرير . ولا يصرون على حق الفلسطينيين بمدينة القدس ، ولا يدعون أن للاجئين الفلسطينيين الحق في العودة ، أو أي مطالب من هذا النوع تنادي بها منظمة التحرير . لكن مرحاف يقول إنه يجب أن يكون واضحا لاسرائيل ، أنه يجب التفكير أولا فيما إذا كان بالامكان العثور على مثل هؤلاء الفلسطينيين وحتى في حال العثور عليهم فهل سيكون هؤلاء متمتعين بسلطة تسمح لهم بعقد اتفاقيات من شأنها أن تلزم الشعب الفلسطيني بها ؟.. ويجيب مرحاف : إن هذا ليس هو السؤال الحقيقي ، حيث أن العديد من الفلسطينيين هم دون شك اليوم ، على استعداد للتخلي عن « الارهاب » ، والتنازل عن أسلوب الكفاح المسلح ضد اسرائيل ، وذلك بسبب إدراكهم بأن إلحاق هزيمة باسرائيل أمر بعيد المنال ، كما أن هناك آخرين ما يزال حلم العودة إلى يافا وحيفا واللد والرملة وبقية مدن وقرى فلسطين حيث ولدوا هم أو أجدادهم فيها ، حيا وفاعلاً .. وحتى يمكن أن

يوجد بعض الفلسطينيين الذين قد يوافقون على التخلي عن القدس «لا نعرف أين يوجد هذا الفلسطيني المتزحم» ، كما أن قلة منهم يقبلون باحتفاظ إسرائيل ببعض أجزاء الضفة الغربية وقطاع غزة ، باعتبارها «حيوية» لأمنها .. لكن لا يوجد فلسطيني واحد ، حتى ولو كان «معتدلاً» في عيني إسرائيل ، يمكن أن يقبل بالتخلي عن حق تقرير المصير ، وحق السيادة الوطنية على وطن فلسطيني ، حتى لو كان صغير المساحة ، كما أنه لا يوجد فلسطيني يمكن أن يوقع على أي اتفاقية ملزمة ، ما لم تلب الآمال والتطلعات الوطنية للفلسطينيين .

يعود مرحاف بعد هذا ، ليطرح السؤال الذي أشرنا إليه آنفاً ، فيقول : أي فلسطينيين إذن سنخاطب بعد كل هذا إذا كان الإسرائيليون يعنون حقاً ما يقولون عن المفاوضات ؟

هل نتفاوض فقط مع فلسطينيين غير مخولين للتحدث باسم شعبهم ؟ أو مع من يملكون بعض الصلاحيات ، إلا مع الشعب الفلسطيني الذى سيبرأ منهم ـ إن لم يفعل بهم ما هو أسوأ من ذلك ـ في اللحظة التي يحيدون فيها عما هو مقبول من قبل منظمة التحرير الناطق باسم الغالبية العظمي من الفلسطينيين ؟؟

هناك في إسرائيل منطق يبعث على السخرية حقا ، حيث ينادي أصحاب هذا المنطق بالتفاوض مع مثل هؤلاء الفلسطينيين غير الأعضاء في منظمة التحرير ، التفاوض مع هؤلاء الذين لا يمثلون إلا أنفسهم ، من أجل التوصل إلى تسوية مع بعض «الوجهاء» الذين يجري انتقاؤهم بعناية ، لكن ليكون مآل هذه التسوية في نهاية المطاف الرفض من الشعب الفلسطيني . ويقول مرحاف إن هذا المنطق سيمكن الإسرائيليين من إقناع أنفسهم واقناع بقية العالم ، بأنه لا يوجد حقيقة أي فلسطيني يمكن التفاوض معه ! ! ومثل هذا الأسلوب الساخر يتلاءم بشكل مدهش وعجيب مع منطق المنادين بضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين إلى الكيان الصهيوني ، والمتواجدين ليس في حزب الليكود فحسب ، وإنما في صفوف حزب العمل أيضا ، وهؤلاء لا يريدون في الحقيقة أن يتفاوضوا مع أي فلسطيني ، سواء كان «معتدلا أو متشددا» ، ولا يريدون أي حل للقضية الفلسطينية لأنهم حتى اليوم لا يرون فيها المشكلة الحقيقية بالنسبة لوجود اسرائيل «كدولة يهودية ديمقراطية» ! !

وجبهة الرفض الإسرائيلية هذه ، ترى من ضمن إدراكها الضعيف ، أن الرهان الحقيقي في الوقت الحالي ، إنما هو في المقام الأول ، اعتراف الفلسطينيين «بحق اسرائيل في الوجود» ، لكن بطريقة أو بأخرى ، فإن الحقوق المستمدة من التوراة ومن التاريخ ليست كافية تماما في مجال السياسة العملية ، وهذا هو السبب في أن شخصاً مثل إسحق شامير يقول : إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية ستتخلى عن ميثاقها ، الذي ينص على تدمير إسرائيل كوجود سياسي ، وإذا كانت ستدير ظهرها «للإرهاب» ، فإنها لن تكون حينئذ منظمة التحرير الفلسطينية ، والاستنتاج الضمني من كلام شامير هذا أن منظمة التحرير التحرير ستغدو في هذه الحالة شريكاً مقبولاً في المفاوضات .

ومع ذلك ، فإن هناك إسرائيليين يعتبرون أن القضية الفلسطينية هي قضية إسرائيل ، وهؤلاء هم الذين لا يريدون أن تصبح إسرائيل ، في أحسن الحالات ، دولة ثنائية القومية ، أو أن تبقى إلى الأبد ، محاصرة ضمن قلعة ، تنجو من حرب لتدخل حربا أخرى ، وتدفع الضريبة المستحقة فيما بين كل حربين ، إن هؤلاء الإسرائيليين مطالبون اليوم بأن يسألوا أنفسهم ، فيما إذا كانت المفاوضات مع أي فلسطيني ، وليس مع منظمة التحرير الفلسطينية ، تعنى لهم شيئاً ؟.

ويضيف مثير مرحاف : إنه سواء أحب الإسرائيليون ذلك أم كرهوه ، فإنه من الواضح ، أن منظمة التحرير هي الوحيدة التي باستطاعتها التكلم باسم الفلسطينيين .. وفي الحقيقة فأنه إذا وافق الإسرائيليون على الجلوس حول مائدة المفاوضات مع ممثلين رسميين لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فأنه لن تكون هناك حاجة للتأكيد ، على أن اتفاقية سلام يمكن التوصل إليها مع هؤلاء ، ستحترم من قبل جميع الفلسطينيين ، أو على الأقل ، من قبل معظم الفصائل الفلسطينية .. لكن المؤكد ، هو أن أي ممثلين آخرين للفلسطينيين ، لن يكونوا قادرين على التوقيع على اتفاقية لا تقبل بها منظمة التحرير .

وإذا كانت إسرائيل راغبة في تسوية صراعها مع العرب ، فإنه يتوجب عليها أن تبلع جرعة الدواء المر ، بالتفاوض مع أولئك الذين يمثلون الفلسطينيين ، وفي الحقيقة ، فإن منظمة التحرير الفلسطينية هي عدو إسرائيل اللدود ، وهي ليست مستعدة تحت جميع الظروف ، للاعتراف بشرعية المعتقدات الصهيونية ، التي يقوم عليها وجود إسرائيل ، بل إنها «تدعي» ، وسوف تستمر في «إدعاءاتها» بأن للفلسطينيين حقوقا سياسية وتاريخية ، ليس في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين في عام ١٩٦٧ فحسب ، وإنما في الأراضي التى طرد منها الفلسطينيون في عام ١٩٤٨ .

والاتجاه السائد ، يمكن اليوم أن يكون مستعداً من خلال التجربة ، للقبول بتسوية ضمن شروط أقل مما هو متخيل في الميثاق الفلسطيني ، لكن مع ذلك ، فإنه لا يوجد مايشير إلى أن منظمة التحرير قد تخلت عن أهدافها الاستراتيجية ، كما أنه لا يوجد ما يؤكد أن تراجع المنظمة التكتيكي ، واقتصار مطالبها على إقامة دولة فلسطينية في الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ ، سيكون أمرا مقبولاً من الفصائل الفلسطينية «ودول الرفض العربية» ، إضافة إلى أنه لا يوجد أيضا ما يؤكد أن إحراز منظمة التحرير لهذا الهدف التكتيكي ، لن يكون نقطة انطلاق لإحياء هدفها البعيد المدى الرامي إلى تصفية دولة إسرائيل ، وإنها لحقيقة كون المنظمة غير مستعدة للتخلي عن الكفاح المسلح .. ولكن إذا كان الاسرائيليون راغبين في السلام ، فمع من يصنعونه ، إن لم يكن مع عدوهم اللدود ؟؟! ومع من يتفاوضون إذا لم يكن مع أولئك الذين من شأن التفاوض معهم أن يكون بديلا للقنابل وإطلاق النار .

وأكثر من ذلك ، ألم تفعل إسرائيل كل ما في طاقتها منذ عام ١٩٦٧ ، لمنع الفلسطينيين في الضفة والقطاع المحتلين من أن يعبروا عن أنفسهم بشكل سياسي بأي طريقة من الطرق ؟؟! ألم يؤد القمع الإسرائيلي لأي شكل أو تنظيم سياسي في الضفة والقطاع ، لجعل منظمة التحرير الفلسطينية تحتكر التعبير عن الإرادة السياسية للفلسطينيين ؟؟! ألم ترحب الحكومات الإسرائيلية من حزبي العمل والليكود ـ على حد سواء ـ بأن لا يكون هناك شريك من الفلسطينيين للتفاوض معه ؟!

ثم يصل مرحاف إلى النتيجة التالية : إن الوقت قد حان للتخلص من التعهدات القديمة .. فحتى مناحم بيجن ، تخلى عن البيان المتغطرس لجولدا مئير ، الذي تقول فيه : «إن الفلسطينيين غير موجودين» .

ومع ذلك ، فإنه إذا أعطي خيار انتقاء الفريق المفاوض لإسرائيل ، فإن اختيارها سيكون الأسوأ من نوعه ، فالممثلون أو الوكلاء عن الفلسطينيين الذين تختارهم اسرائيل ، إذا لم يتبنوا الموقف الذي تقبل به منظمة التحرير نفسها ، سيتبرأ منهم الفلسطينيون ، لأنهم لا يرون فيهم ممثلهم الحقيقي ، وبدلاً من اللجوء إلى ممثلين أو وكلاء عن منظمة التحرير ، يملكون أو يدعون امتلاك صلاحية التفاوض مع إسرائيل ، فإنه يتوجب على إسرائيل أن تصر على التفاوض مع أولئك المفاوضين المقبولين (منظمة التحرير الفلسطينية) .

فأية حكمة سياسية ، تكمن في ترك مثل هؤلاء «الوكلاء» أحراراً في وضع مطالب ينتزعون بواسطتها تنازلات من إسرائيل ، دون أن يلزموا أنفسهم بأي شيء ؟؟!

● الدواء المُرّ الوحيد الذي ينبغي أن تبتلعه إسرائيل

خطأ كبير : التفاوض مع الوجهاء لا مع الزعماء

ويتساءل مرحاف أخيراً : كم من الوقت سيمر ؟ وكم من الحروب يتوجب على الإسرائيليين أن يخوضوا ؟ وكم من أرواح ستزهق ؟ وكم من عبء سيتحمله الاقتصاد الإسرائيلي .. لكي يدرك الإسرائيليون أن منظمة التحرير الفلسطينية ، بمظهرها الكريه ، هي الممثل الحقيقي للفلسطينيين ، وأنها القوة التي باستطاعتها وضع « فيتو » ضد أي صيغة تسوية توافق عليها أي دولة عربية ، أو أي مجموعة فلسطينية ؟ .

ما لم يقله مرحاف

قدمنا للقارىء العربي النص الحرفي تقريباً لمقالة مئير مرحاف في « الجيروزاليم بوست » ، كما جاءت في الكتيب الذي وزعته ما تسمى بـ « مؤسسة السلام من أجل الشرق الأوسط » ومقرها بواشنطن .

لكن .. إذا كان مرحاف قد طرح المبررات المنطقية ، لضرورة أخذ زمام المبادرة ، والتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الحقيقي والشرعي للشعب الفلسطيني ، فإن مرحاف تكلم في الواقع عن وجه واحد لقطعة العملة ، وترك الوجه الآخر ، معتقداً ربما بأنه استطاع وسط دخان المنطق التبريرى هذا ، أن يخفي الوجه الآخر لقطعة العملة ، وهو الوجه الإسرائيلي ، أو الأسباب الحقيقية والمكملة ، للتراجع الإسرائيلي كما يراه ، عن نفي وجود الشعب الفلسطيني في هذا العالم كما كانت تقول جولدا مئير .

فما لم يقله مرحاف ، وهو السبب الحقيقي ، للآراء « الجريئة » التي وردت في مقالته ، هو أن اسرائيل قد وصلت في صراعها مع الفلسطينيين ، بل مع الأمة العربية ، إلى طريق مسدود ، ولم يعد باستطاعتها بعد اليوم ، أو في الظروف الراهنة ، والمستقبل القريب المنظور ، أن تتوسع في الأراضي العربية ، وتمضي قدماً لتحقيق الحلم الصهيوني : « حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل » ـ هذا الشعار محفور على مدخل مبنى الكنيست الصهيوني بالقدس المحتلة ـ وذلك بسبب النكسات المتلاحقة التي واجهتها خلال السنوات الثماني والثلاثين الماضية ، أي أنه إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية والأمة العربية تواجه مأزقاً في المرحلة الراهنة ، بسبب عدم القدرة على حسم الصراع عسكريا وتصفية الكيان الصهيوني ، فإن اسرائيل فشلت أيضا في حسم الصراع عسكريا ، بل إنها في الواقع واجهت نكسات وهزائم ، ولم تستطع أن تقضي على إرادة القتال والاستمرار في الصراع لدى العرب ، كما حدث في حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ ، ثم كما حدث في الحرب المستمرة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل على الحدود المشتركة بين فلسطين ولبنان قبل الغزو الإسرائيلي للبنان في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ، ثم في غزو لبنان ، والنزيف المستمر في الجسد الاسرائيلي حتى اليوم بسبب هذا الغزو . ناهيك عن الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ، والذي ليس في طبيعة الجيش الإسرائيلي ، وإنما حدث بسبب الخسائر الباهظة في الأرواح ، ثم ـ والأهم من كل ذلك ـ أن العملية العسكرية في لبنان ، والتي كان مقرراً لها أن تنتهي خلال أسبوع على أبعد تقدير على طريقة الحروب الخاطفة التي تعودها الجيش الإسرائيلي ، ما تزال مستمرة حتى اليوم في الجنوب اللبناني ، أى بعد انقضاء ثلاث سنوات وخمسة أشهر حتى الآن ، وهو ما يشكل عملية استنزاف لا تقوى إسرائيل ذات الملايين الثلاثة من اليهود على تحملها لفترة أخرى : إضافة إلى أن العملية العسكرية في لبنان : قد فشلت في القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، كوجود سياسي وعسكري ، حيث حافظت المنظمة على بنيانها السياسي ، وتمكنت من تصعيد الكفاح المسلح ضد الإسرائيليين داخل الأرضي المحتلة ، ناهيك عن تحرك عرب ١٩٤٨ ، وبدئهم مرحلة من المقاومة ، وإن كانت ما تزال في بداياتها الأولى ، إلا أنها تبعث الرعب في نفوس الإسرائيليين .

ألم يقرأ مئير مرحاف كتاب « المحدال » ـ « التقصير » الذي صدر في أعقاب حرب عام ١٩٧٣ ؟؟ ألم يقرأ ما قيل ويقال على لسان الجنود والضباط الإسرائيليين أنفسهم عن الحرب في لبنان ؟؟ .. بالتأكيد لقد قرأ ذلك ، وربما كان في حوزته من المعلومات ما هو أكثر من ذلك ..

إن قراءة الوجه الآخر لقطعة العملة ، وهو أمر تجاهله مئير مرحاف تماماً ، هو الذي يفسر عملياً ، مغزى أفكاره التي طرحها في « الجيروزاليم بوست » ، علماً بأن مرحاف نفسه يعترف بأن منظمة التحرير بقبولها بدولة فلسطينية تقتصر على الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، يشكل هدفاً تكتيكياً ، فيما لا تتوفر أية دلائل على أن المنظمة قد تخلت فعلاً عن الهدف الاستراتيجي في تحرير فلسطين كلها .

إن قراءة الوجه الآخر لقطعة العملة يقودنا إلى الاستنتاج التالي : إن إسرائيل قد فشلت ، خاصة بعد حرب عام ١٩٧٣ ، وحرب لبنان في عام ١٩٨٢ وحتى اليوم ، في الاستقرار في أراض عربية جديدة احتلتها ، بل إنها اضطرت في كلا الحربين إلى الانسحاب من بعض الأراضي التي كانت تحتلها منذ عام ١٩٦٧ ، كما حصل في هضبة الجولان (مدينة القنيطرة) وفي سيناء ، كما أنها فشلت ـ كما يعترف بذلك مرحاف نفسه ـ في القضاء على روح وارادة المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، على الرغم من جميع أساليب القمع الوحشية التي لجأت إليها ، وأمام هذا الفشل فإن على اسرائيل أن تتخلى عن الهدف الاستراتيجي للصهيونية « حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل » ، وتلجأ إلى الحل التكتيكي ـ دون أن تعلن عن تنازلها عن الهدف الاستراتيجي ـ وهذا الحل التكتيكي يقوم على مواجهة الأمر الواقع ، وهو أن إسرائيل غير قادرة على استيعاب مليون وثلاثمئة ألف فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وإلا فإنها ستصبح في حال ضم هذه الأراضي إلى كيانها ، دولة ثنائية القومية ، ومعنى ذلك وصول الحلم الصهيوني إلى نهاية مأساوية تماماً ، وإزاء ذلك ، فلابد لإسرائيل من التفاوض مع الممثل الحقيقي للفلسطينيين ، القادر على إبرام تسوية ، يتم بموجبها إعادة الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ إلى الفلسطينيين لاقامة دولة « مصغرة » عليها .. وبمعنى آخر فإن الفلسطينيين والاسرائيليين على حد سواء قد وصلوا إلى نهاية الشوط في الصراع العسكري في المرحلة الراهنة مما يحتم تقدم الحل السياسي لوقف عملية الاستنزاف المستمرة في الأرواح والثروات ، ويفرض بالتالي الحل المرحلي أو التكتيكي .

إن هذا الاستنتاج الذي استقيناه من قراءة الوجه الآخر لقطعة العملة ، والذي تجاهله مئير مرحاف تماما ، وهو في رأينا السبب الحقيقي الذي يقف وراء آراء مرحاف التي تستدعي من العقل العربي ـ على محدودية التيار المؤمن بها بين الإسرائيليين ـ وقفة تأمل وتدقيق ، دون أن ننسى أن التسويات للصراعات والحروب هي النتيجة المنطقية ، لفشل الحل العسكري ، ولتوازن القوى .

عصام شريح

هامش

ولد مئير مرحاف في ألمانيا في عام ١٩٢٠ ، وهاجر في عام ١٩٣٣ إلى فلسطين التي كانت ترزح آنذاك تحت حكم الانتداب البريطاني . وقد خاض حرب عام ١٩٤٨ كضابط في عصابة الهاجاناه . درس مرحاف العلوم الاقتصادية والاجتماعية في الجامعة العبرية ، ونال درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية من إحدى جامعات نيويورك . وعمل مرحاف في مناصب متعددة في « بنك اسرائيل » وفي الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، ومنذ عام ١٩٧٦ ، عمل محرراً في صحيفة « الجيروزاليم بوست » . أما مقالته « إجماع على السخف » فقد ظهرت في هذه الصحيفة بتاريخ ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٨٥ .

اعترافات كمال حداد سكرتير أمين الحسيني

صفحات مجهولة ومثيرة من الكفاح العربي والفلسطيني

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

عثمان كمال حداد شاب لبناني التحق كسكرتير خاص لمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني . وهو مطلع على أدق الأسرار العربية ، ومن الواجب إذن الاهتمام بالتعريف بما ورد في مذكراته المحدودة ، حتى لا يطوي ظلام التاريخ هذه الحقائق ، وينبني التاريخ العربي المعاصر على أكاذيب يدسها الخصوم .

سياسة العراق في نوتة أمين الحسيني

كان مفتي فلسطين يحتفظ بنوتة يسجل فيها خواطره وينقل سكرتيره عن هذه النوتة أن المفتي كان يقسم سياسي العراق إلى ثلاث طبقات .

• طبقة تجري في سياستها مع بريطانيا « بالباع والذراع » وبدون قيد ولا شرط . وإذا تعارضت مصلحة بريطانيا مع العراق ، ضغطوا على مصلحة الأخيرة بدون تردد . هذه الطبقة تشمل نوري السعيد ، صالح جبر ، شاكر الوادي .

• طبقة بعدهم أكثر تحفظاً ولكنها تمالئ بريطانيا اعتقاداً منها أن مصلحة العراق ذاتها تقتضي هذا ، وتشمل توفيق السويدي وجميل المدفعي .

• طبقة وطنية لاتنظر إلا إلى مصلحة العراق والعرب . وتعتقد أن فرصة الحرب العالمية الثانية فرصة لاتتكرر لمحاولة الحصول على حقوق للعرب وللعراق ولفلسطين ، وتشمل رشيد عالي الكيلاني ، ناجي السويدي ، ناجي شوكت ، يونس السبعاوي ، محمود الشيخ ، على موسى الشاه بندر .

ومن هذه الطبقة كان رشيد عالي الكيلاني وناجي شوكت ، يؤمنان بأن الديموقراطية لا تتعدى حدود الحلفاء أنفسهم ! وأن الدول العربية عامة خارج نطاق بحث الديموقراطية .

• يذكر حداد أن نوري السعيد سافر في أول الحرب العالمية الثانية إلى مصر ليستطلع بنفسه موقف الانجليز الحربي في الصحراء الغربية . وذهل إذ وجد المارشال غراسياني الايطالي يحشد ٢٥٠ ألف جندي مقابل ٣٠ ألف جندي يحشدهم ويفل الإنجليزي . وعاد إلى العراق محسوراً وهو يطلب من أحد الفلسطينيين أن يسافر للاتصال بالمحور !! ووقف فريق الوطنيين ــ رشيد الكيلاني وصحبه ــ موقف الحذر من حركة نوري السعيد هذه متحسبين أن تكون حركة يراد بها كشف أمر المتصلين بالمحور من طرف فريق الأخيرين . ومن هنا بدأ هذا الفريق يبحث مع أمين الحسيني موضوع الاتصال بالمحور . قبل هذا لم يفكر في الاتصال !

حوادث أدت إلى ترجيح كفة الاتصال بالمحور

تكدست التمور في البصرة خلال الحرب لأن بريطانيا تمنع بيعها لأي دولة متحاربة معها وفي نفس الوقت هي لا تشتريها ، حتى تأزمت الحالة الاقتصادية جداً . في نفس الوقت كانت بريطانيا تشتري من تركيا بأثمان فاحشة وخيالية الزبيب والتبغ مع أن تركيا بقيت تتعامل مع المحور في نفس الوقت تجارياً .

ثم حدثت حادثة فردية كان لها أثر في نفس أمين الحسيني : حكمت إحدى المحاكم البريطانية في فلسطين على مجاهد فلسطيني اسمه أبولبن بالاعدام واتصل أهل أبو لبن بالمفتي . وذهب المفتي إلى نوري السعيد يرجوه التوسط . فنظر نوري إلى رستم حيدر باشا وسأله ما رأيك .رد رستم حيدر « سوف تكون يا نوري باشا في أعين الإنجليز الحاج أمين الثاني ! فتحلل نوري السعيد من الوساطة وأعدم المجاهد . وظل أمين الحسيني مؤرقاً عدة ليال .

من هنا قرر أمين الحسيني ومجموعة الوطنيين ــ الكيلاني وزملاؤه ــ الاتصال بالمحور وكلفوا أمين الحسيني بذلك . ولم يجد أمين الحسيني أصلح لهذا الغرض من سكرتيره عثمان كمال حداد الذي سافر بجواز سفر باسم توفيق علي آل شاكر . وأرسل رشيد الكيلاني برقية بالشفرة إلى أخيه كامل الكيلاني في أنقرة للاهتمام بأمره ، ثم عين ناجي شوكت سفيراً في أنقرة حتى يكون على اتصال مع حداد وهو في برلين يتفاوض نيابة عن المجموعة . وفي أنقرة اتصل حداد « بفون بابن » ودبر هذا سفره إلى برلين تحت اسم « ماكس موللر » ونزل هناك في بنسيون « مدام فون سودو » وهي ذات اتصال بالخارجية الألمانية .

الأسماء الألمانية التي يتم الاتصال بها

« ريبنتروب » وزير الخارجية ، « سزكر » سكرتير الدولة الأول ، « فورمان » مدير السياسة الخارجية ، « رينتلن » مساعده ، « هنتيك » مدير القسم الشرقي بالخارجية ، « جروبا » سفير ألمانيا السابق في بغداد ، « ماشررز » مدير القسم الشرقي

في قيادة الجيش ، « شتولزه » مدير القسم العربي في قيادة الجيش .

وقد وجد عند الذين اتصل بهم تقارير ضد المفتي وضد رشيد الكيلاني وضد شكري القوتلي ! خلاصتها أنه لا فائدة من الاتفاق مع العرب ، وأنهم حتى لو أرادوا شيئاً فإنهم غير قادرين على تنفيذه . والذي أطلعه على هذه التقارير هو « جروبا » سفير ألمانيا السابق لدى بغداد وكان يحب العرب ، وكانت زوجته دائمة الالحاح على كمال حداد بأن يطلب العراقيون عودة « جروبا » سفيراً واتضح أن مصدر هذه التقارير كان هنتنج سفير ألمانيا في سوريا والذي سبق أن عمل في أفغانستان أيضاً .

وقد استعان كمال حداد بالأمير شكيب أرسلان في تبديد صورة العجز العربي التي رسمها هنتنج هذا .

وطلب منه الألمان مطالب محددة هي : إعادة العلاقات الدبلوماسية بين العراق وألمانيا ، وان يكون لألمانيا امتيازات اقتصادية خاصة في البترول ، وأن يحتفظ العراق بالحياد في الحرب العالمية هذه ، وأن يكون هناك امتياز للغة الألمانية والايطالية ، واشعال ثورة في فلسطين . وفيما عدا الطلب الأخير تبدو هذه الطلبات شروط إملاء أو اذعان . ووعدوه مقابل ذلك بأن تشتري اليابان وايران كميات كبيرة جداً من التمور وتقسيط ثمن السلاح الألماني للعراق عند إرساله .

وجادلهم بخصوص سوريا وأهميتها لأي ثورة في فلسطين ، حيث تكون هي قاعدة انطلاق السلاح إلى ثواره . وطالبهم باعلان استقلال سوريا من الآن . فرفضوا لأن شروط الهدنة الألمانية الفرنسية لم تخول ألمانيا فرض صورة نهائية للبلاد الخاضعة ولما طلب منهم على الأقل الافراج عن المعتقلين والمسجونين العرب في سجون سوريا ولبنان على يد السلطات الفرنسية المهزومة ، اتصلوا بحكومة فيشي التي اعترضت بأنهم مساجين عبثوا بالأمن الداخلي ، وأنه لا يحق لألمانيا إلا الافراج عن رعايا ألمانيا فقط .

والطريف أنه لاحظ أنه في هذه الفترة كانت إيطاليا قد احتلت السلوم وسيدي براني فأصبحت تعتقد أنها فتحت مصر والسودان وانتهى الأمر . وزاد هذا في صلف المحور عامة .

ولاحظ أيضاً أن بابا روما أبدى للمحور إهتماماً بفلسطين يفوق اهتمامه بالحبشة باعتبار فلسطين مهد المسيحية .. وأن الموارنة اللبنانيين أوفدوا اثنين قابلا فون باين في أنقره لطلب حماية دولة مسيحية عليهم .

غرور النصر

اجتمع ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا وشيانو وزير خارجية ايطاليا في روما ووضعا اتفاقاً عرف باسم اتفاق المجالات الحيوية ، بمقتضاه جعل البحر الأبيض مجالا حيوياً لايطاليا وجعل البلقان مجالاً حيوياً لألمانيا ، وجعل الشرق الأقصى مجالاً حيوياً لليابان ، ومعنى ذلك أن الدول العربية أصبحت في اهتمام ايطاليا وحدها . وقد بذل كمال حداد جهوداً جبارةلمحاولة إبقاء ألمانيا متعهدة ضمنياً مع إيطاليا فيما يخص الدول العربية حتى صدر إعلان ١٥/١٠/١٩٤٠ بأن ايطاليا وألمانيا تعترفان باستقلال البلاد العربية ، ولما حاول تفصيل أسماء هذه البلاد العربية رفضوا . صدر هذا الاعلان من الراديو ، ولكنه عندما حاول أن يكون تصريحاً رسمياً من وزارتي الخارجية الألمانية والايطالية يحمل توقيعهما رفضت الدولتان وإن كانوا أبرقوا بأن هذا الإعلان خطوة أولى تتبعها مفاوضات . والطريف أنهم لفتوا نظر كمال حداد إلى أن الإعلان فيه كلمة « ستربنز » التي تفيد الكفاح والجهاد وأنهم يعطفون فقط على من يكافح للاستقلال ! وانهم لا يمنحون وثيقة بالاستقلال إلا إذا كان إرسال سفير يعتبر اعترافاً بالاستقلال .

في روما

لم يكن هناك مناص من أن يذهب حداد إلى روما ، وهناك قابل رجال الخارجية الايطالية ثلاث مرات . ومما لاحظه واستغربه أنه وجد تأثير الإنجليز على رجالات إيطاليا لازال قوياً وأن العلاقة الألمانية الإيطالية لا تسير سيرها المطلوب فيما عدا موسوليني وفريق معه محدود العدد .

● لماذا فشل الألمان في مساعدة العرب خلال الحرب العالمية الثانية؟

العودة إلى العراق

عاد حداد إلى تركيا من روما بصورة ذهنية مختلفة . في أنقرة ادعى مدير الفندق أن جواز سفره الذي استلمه منه ليلة قدومه إلى الفندق قد ضاع . أصبح واضحاً إذن أن المخابرات البريطانية تتبع الرجل وأنها أخذت الجواز . استخرج له كامل كيلاني وسفير العراق في أنقرة تصريح سفر دخل به العراق بديلاً عن الجواز المفقود .

التقرير

يتلخص التقرير الذي وضعه حداد عن هذه المهمة السرية في النقاط الآتية :

١ ــ أن الأمير شكيب أرسلان يرى التخلي عن الجمود وإدارة صراع جدي في فلسطين .

٢ ــ يرى حداد أن روسيا يجب أن تكون هي المحور الذي يرسمون عليه سياستهم ، وأن وجود اتفاق بين روسيا وألمانيا (في أول الحرب) ستار كاف للعمل مع روسيا .

٣ ــ يعزو حداد هزيمة فرنسا لا إلى ضعف الجيش الفرنسي ، فقد حارب هذا الجيش ببطولة ، ولكن سبب الهزيمة هو موقف الدفاع لا الهجوم ، ولو أن الجيش الفرنسي هاجم الألمان أثناء هجومهم على بولونيا لتغير الوضع . ثم إن هناك السبب الذي أثاره ديجول وهو ضعف الطيران والدبابات ، وهما ذراع أي حرب حديثة . أما حروب الخنادق والمشاة فقد انتهى عهدها تماماً .

٤ ــ الألمان يعتقدون بضرورة إخراج اليهود من كل أوروبا ، وتأسيس أوربا على أساس عنصري . وما لم يتم تصفية القضية اليهودية تماما من أوروبا تظل أوروبا مهددة بالنسف .

٥ ــ يفسر التحالف الذى تم بين روسيا وألمانيا في أول الحرب بأن روسيا كانت تعتقد أن فرنسا لن تهزم بسهولة ، وأن الحرب ستطول حتى تتمزق أوروبا فتنتشر فيها الشيوعية .

٦ ــ وهو يرى أن موقف روسيا أهم من موقف ألمانيا بالنسبة للعرب ، لأن السلاح يصل إلى العراق عن طريق روسيا فإيران أسهل كثيرا جدا من وصوله عن طريق تركيا أوروبا ، ولأن روسيا في النهاية لابد أن تعقد مع بريطانيا تحالفا .

ولذلك شدد حداد في تقريره بأن تطلب العراق من روسيا الاعتراف باستقلال البلاد العربية ،



أمين الحسيني





هتلر



موسوليني

وفعلا طلب سفير العراق فى روسيا من السفير الروسى هذا الأمر ولكن روسيا سوفت الرد .

السفرة الثانية إلى ألمانيا

ثم سافر حداد مرة ثانية وعاد بتقرير آخر بين الحقائق الآتية :

١ ــ أن العلاقات بين ألمانيا وروسيا المتحالفتين أخذت تسوء بسبب تلكؤ روسيا فى تموين ألمانيا بالقمح من اكرانيا .

٢ ــ أن الألمان يعتمدون أكثر على إيران وافغانستان فى توصيل أى سلاح محتمل إلى العراق .

٣ ــ أن إيطاليا بعد هزيمتها أمام شعب اليونان جاء موسوليني إلى هتلر وألقى سلاحه وغلواءه وكبرياءه وأصبح الاعتراف باستقلال الدول العربية من جانب إيطاليا وأيضا روسيا أقرب منالا .

٤ ــ إن احتلال مطار الحبانية بسرعة مفاجئة بواسطة الثوار العراقيين أهم خطوة عملية لتأمين الثورة .

٥ ــ طلبت ألمانيا من اليابان عدم إظهار أى نشاط فى المحيط الهندى حتى لا تتخذه أمريكا ذريعة فى دخول الحرب ولكن الألمان يشكون فى أن اليابان تستطيع أن تكبح جماح نفسها فى هذا المحيط .

٦ ــ أن روسيا رفضت اعطاء تصريح مكتوب باستقلال البلاد العربية خوفا من مناهضة بريطانيا .

الاصطدام

يبدو أن المخابرات البريطانية وكذلك أنصار بريطانيا فى العراق كانوا يراقبون هذه التحركات بدليل سرقة جواز سفر حداد من مدير فندقه فى أنقرة .

هنا قرر أعوان بريطانيا جر هؤلاء الثوار والاحتكاك بهم فصدر مرسوم بتشبيت قواد الجيش الأربعة بداية بكامل شبيب (الباقون هم صلاح الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد) وتخلى طه الهاشمى عن الحكم . فأصدر القواد الأربعة منشورا بتكليف رشيد عالى الكيلانى بالوزارة .

وهنا تلقى كل من المفتى أمين الحسينى ورئيس الوزراء الكيلانى خطابا من الخارجية الألمانية يقول : « إن ألمانيا التى لم تحتل قط أرضا عربية ولا تهدف إلى الاستيلاء على أى أرض عربية ترى فى الشعب العربى شعبا ذا ثقافة قديمة وإدارة راقية وفضائل عسكرية تجعله جديرا بأن يحكم نفسه بنفسه . إن الأمتين العربية والألمانية متفقتان على الكفاح ضد عدوهما المشترك : الانجليز واليهود . ثم طلب الخطاب من المفتى إعادة ارسال سكرتيره الخاص عثمان كمال حداد للمباحثات فى تفاصيل العمل المشترك » .

تواكل أم خيانة ؟

على إثر ذلك اجتمع مجلس الدفاع الأعلى بعقدائه الأربعة . شدد فهمى سعيد أحد العقداء الأربعة الذين أطلق عليهم اسم المربع الذهبى وقائد الآليات أى المدرعات على ضرورة احتلال مطار سن الدبان بأسرع ما يمكن قبل أن يستحيل عليهم هذا . ويلاحظ أن ألمانيا كانت طلبت منهم هذا الطلب نفسه كما طلبت تخزين كميات هائلة من بنزين الطائرات وقطع غيار السيارات حتى يمكنها أن ترسل لهم معونة عسكرية . ويقرر حداد أن رشيد الكيلانى رد على العسكرين قائلا : إن حكومتى لا يمكنها بوجه من الوجوه القيام بعمل عسكرى يفسر بأنه خرق للمعاهدة مع بريطانيا ، وأن كل ما بوسعى هو أن أطلب من الجيش إتخاذ موقف الدفاع ضد أى هجوم من البصرة ! !

نزل العقداء عند رأي الكيلانى ، ووزعت السفارة البريطانية منشورات فى شوارع بغداد ضد حكومة الكيلانى تتهمها بالنازية ! ! وأهم من هذا كله أن القوات البريطانية الصغيرة فى مطار سن الدبان هذا أغارت على الجيش العراقى الثائر وضربته من الجو . وانهارت أعصاب صلاح الدين الصباغ إنهيارا شديداً ، واستدعى هو والكيلانى عثمان حداد فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل طالبين منه الاتصال تليفونيا فى الحال مع ألمانيا ليستصرخ من أجل وصول نجدة ألمانيا مدعياً أن هناك ٤٠٠ طائرة بريطانية أغارت على الجيش العراقى . ولما راجعهم حداد في صحة هذا الرقم قال الصباغ إنها ٤٠ طائرة أغارت عشر مرات . سأله حداد وأين طائراتكم ؟ قال الصباغ أسأل سلمان (قائد السلاح الجوى) . رد سلمان بأن قواته ضعيفة وأنها دمرت وهى على الأرض ! ! ولاموا سلمان على أنه بدد الضباط الطيارين الاكفاء من قبل بدافع الوساطة والشللية .

وصلت الطائرات الألمانية عن طريق الموصل . أسقط الانجليز ١٨ طائرة منها . أول قاذفة وصلت سماء بغداد كانت بقيادة ابن الجنرال الألمانى الشهير بلومبرج وقد أردته رشاشة انجليزية قتيلا داخل طائرته ! !

بعد هبوط الطائرات الألمانية تبين للألمان عدم وجود بنزين طائرات رغم أن المربع الذهبى قرر لهم أنه خزن بنزينا يكفى ١٧٠ طائرة لمدة ٦ شهور ، إذ تبين أن هذا البنزين هو بنزين سيارات لا ينفع للطائرات !

ولما أرسلت ألمانيا بنزين طائرات عبر تركيا تبين أن قدرة النقل لدى الجيش العراقى من حدود تركيا لا تتعدى ٣٥٠ طنا فقط .

● عندما عرض الانجليز الذهب على "حداد" لكشف أسرار المفتي فرفض الإغراء واحتمل السجن

كامل شبيب أحد العقداء الأربعة للمربع الذهبى والذى كان يعد باعادة « عهد خالد بن الوليد » ، لم يجرؤ على الذهاب إلى الجبهة . وجميع الضباط الذين سبق احالتهم للمعاش رفضوا التعاون . وطلب الألمان حفر خنادق متعرجة لا مستقيمة حتى تقل الخسائر من هجوم الطيران البريطاني ولكن الوقت كان قد فات بل أن صلاح

بك قائد المربع الذهبي رد على هذا الطلب : « نريد طائرات وأسلحة ، لا نريد نصائح » .

وأخيرا استنجد الثوار بفوزى القاوقجي لحماية الرطبة على الحدود مع فلسطين ولما فشل اتهموه بتسليمها . بعد سقوط الرطبة سقطت الفلوجة ومن بعدها بغداد .

على أن العامل الرئيسي في هذه الهزيمة كان هو وجود مطار الحبانية (سن الدبان) في يد الانجليز رغم كل التحذيرات المسبقة بضرورة استيلاء الثوار عليه .

الوساطة التركية

أثناء العمليات العسكرية وقبل وقوع الهزيمة كانت تركيا قد عرضت الوساطة على أساس أن بريطانيا تعترف بحكومة الكيلاني ، وعلى أن تقف الأعمال العسكرية تماما في الحال .

يقول حداد إن هذه الوساطة عرضت في ١٥ مارس أثناء اشتداد العمليات العسكرية ، وأن المفتي والكيلاني قبلا الاقتراح بدون تردد . ولكن العسكريين رفضوه . وغضب صلاح الدين الصباغ وأخرج مسدسه بعصبية لولا أن السبعاوى حال دونه . وكانت حجة الصباغ أن هناك هجوما ألمانيا الآن على جزيرة كريت وبعدها ستسقط سوريا في يد الألمان ثم يتقدمون نحونا في العراق وكل المطلوب أن نصمد ٣ شهور فقط .

رشيد بك : لنفرض يا صلاح بك أنك لم تستطع الصمود !

صلاح الصباغ : رسمت خطة وسأطبقها .

رشيد بك : ما هي الخطة ؟

صلاح الصباغ : هدم السدود وإغراق الأراضي غربي العاصمة .

بعد ٣ أيام هدمت السدود ولم تغرق الأرض كما تصور الصباغ . إنهارت أعصاب صلاح الصباغ مجددا . واستنجد بالمجاهدين الفلسطينيين بقيادة عبد القادر الحسيني . وقد أخر هؤلاء زحف الجيش البريطاني عشرة أيام فقط .

سافر السبعاوى إلى الجبهة لعله يشد الأزر فاستدعاه على الشيخ محمود وزير المالية ليحاسبه عن أموال البنزين .

ولما أوشكت الهزيمة ذهب صلاح الصباغ إلى المفتى ورشيد يقول : ليس هناك مخرج إلا الانسحاب إلى إيران وترك الحرب .

المفتى : أنت الذى تقول هذا ؟ أنت الذى رفضت توسط تركيا . وهل تظن أنك تنجو بنفسك لو لجأت إلى ايران . ليس أمامنا إلا القتال والموت مع الجنود .

رشيد بك : لم تتركوا لنا حرية العمل السياسى . والآن العمل الحربى وهو اختصاصكم تهربون منه ؟ هنا دخل جروبا السفير الألمانى وأبدى موافقته على إنهاء الحركة كلها . اتضح بعد ذلك أن دخول ألمانيا إلى روسيا كان هو السبب فى هذا الموقف الانسحابى للألمان .

هنا طلب رشيد الكيلانى من حداد أن يرد إلى جروبا مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه ذهب كان جروبا قد أمد القواد بهم . أخذ جروبا الذهب وانسحب إلى الموصل . ثم تركيا . وانسحب المفتى والكيلانى إلى إيران . وتقدم ارشد العمرى الذى بقى فى العراق ببيان بوقف القتال .

فى ايران

كان موجودا فى إيران من قبل : ناجى باشا السويدى وأمين بك التميمي فرحبا بالكيلانى والمفتى . ورغم أن الحكومة الايرانية اشترطت عليهما عدم مزاولة أى نشاط سياسي إلا أنهما اتصلا بالسفارات الألمانية والايطالية والتركية فى طهران . فقبلت تركيا سفر رشيد الكيلانى إليها ولكنها رفضت لجوء المفتى بتاتا بضغط من بريطانيا .

فى طهران أطلع السفير الألمانى المفتى وسكرتيره وأمين التميمي عن خطة وضعها لنقل ١٤٠٠ شخص منهم ٦٤ عراقيا يدخل فيهم المفتى والتميمي . ولكن بعد فترة قصيرة تلقت طهران انذارا فى ٣١ يوليو بتسليم الألمان الموجودين في ايران

● المفتي يختفي بالسفارة اليابانية في بغداد ، ومنها يتمكن من الهروب إلى ألمانيا

وعددهم ١٤٠٠ بحجة أنهم جواسيس ! فى حين أن معظمهم كانوا مهندسين مرتبطين بمشاريع ايرانية . وتمانعت حكومة ايران عن تسليمهم إلى أن وقعت الواقعة واجتازت جيوش روسيا وبريطانيا حدود ايران الشمالية .

وفى منتصف الليل أيقظ المفتى سكرتيره واستشاره فأشار عليه أن يهرب حالا الى السفارة اليابانية دون انتظار أحد من العراقيين وبدون السكرتير نفسه لأن المفتى هو الشخصية الهامة المقصودة . وأفهمه أنه دبر له الأمر من قبل خفية مع سكرتير السفارة اليابانية . وهرب فعلا أمين الحسينى إلى السفارة اليابانية ومنها إلى ألمانيا عبر أوروبا الشرقية .

وهكذا اختفى المفتى تماما ولم يعثر له الجيش الروسى الانجليزى الفاتح على أثر رغم القبض على حداد وباقى العراقيين .

النهاية فى المعتقل

وقبض البوليس الايرانى على حداد . وفى المعتقل عرف أن كامل شبيب أحد العقداء الأربعة أرسل كتابا إلى حكومة بغداد يتنصل فيه من الحركة كلها ويلقى اللوم كله على المفتى ورشيد عالى الكيلانى . فكان هذا أكثر ايلاما لحداد من السجن ذاته .

وفى المعتقل عرض الانجليز على حداد خمسة وعشرين ألفا من الذهب نظير إعطاء أى معلومات عن المفتى فلم يتزحزح .

وكلما سألوه عن علاقته بالمفتى إدعى أنها لم تتعد أكثر من إعطائه دروسا فى الفرنسية لابن المفتى وأحيانا للمفتى .

ولما سألوه عن اسم ماكس موللر (الاسم الذى انتحله فى سفره إلى ألمانيا قبلا) وواجهوه بصورة جواز سفره تلك الصورة التى التقطها لنفسه فى روما صمم على أنه أوفد لتصدير صفقة تمور إلى بريطانيا قبل قطع العلاقات الإيطالية العراقية .

وأخيرا نفوه إلى روديسيا فى وسط أفريقيا وهناك وجد فى المنفى ذاته أمين التميمي وموسى الشاه بندر وناجى السويدى وجمال الحسينى والدكتور داود الحسينى والدكتور أمين رويحة .

ظلوا فى المعتقل حتى انتهت الحرب فرفعوا قضية ضد السلطة البريطانية أمام محكمة سالسبوري فى روديسيا طالبين اطلاق سراحهم ، فأفرج عنهم إلا أن التميمي مات ودفن فى المنفى . وفى العام التالى ٤٦ التجأ المفتى إلى مصر والتجأ الكيلانى إلى السعودية .

هذا إذن . كمال حداد : رجل وهب نفسه فداء لله والوطن وصدق ما عاهد الله عليه . ومن حقه علينا أن نذكره ونتذكره ونحييه حيا وميتا . ومن أولى من العرب بتحية الرجال ؟!

السيد فهمى الشناوى

الدكتور عيسى الناعوري





في عشر رسائل بخط يده

بقلم : أسامة فوزي

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب المعروف الدكتور عيسى الناعوري . بعد أن ترك عشرات الكتب المطبوعة والمخطوطة في شتى ميادين الابداع ، وبعد أن حقق شهرة عالمية إثر منحه شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو الايطالية وكان بذلك العربي الثاني بعد طه حسين الذي يمنح هذه الشهادة من جامعة ايطالية . وأغلب الظن أن الدكتور الناعوري وكتبه ومقالاته العديدة المنشورة في الصحف والمجلات العربية ستكون مجالاً لدراسات نقدية كثيرة ، بخاصة أن تعدد مجالات الابداع عنده تثير شغف الباحثين على اختلاف تخصصاتهم . وحتى تكتمل الصورة عند الباحثين والنقاد رأيت أن أضع بين أيديهم عشر رسائل تبادلتها مع الناعوري خلال السنوات العشر الأخيرة وقد اخترتها من أصل ثمانين رسالة احتفظ بها في أرشيفي . وهذه الرسائل تضيء جوانب هامة جداً في حياتنا الثقافية ــ بخاصة في الأردن .

ومع أن الناعوري لم يكن يمانع في نشر هذه الرسائل في حياته ، بل وخولني في احداها أن أتصرف بها على النحو الذي أراه مناسباً ، إلا أنني التزمت بسرية هذه الرسائل . اللهم إلا فيما يتعلق ببعض الأخبار الأدبية والثقافية العامة التي طلب الناعوري نفسه نشرها ، إلى جانب فقرات منها نشرت في سياق دراسات عن الحياة الأدبية في الأردن ، لكنها المرة الأولى التي أنشر منها عشر رسائل كاملة . راجياً أن أقدم كل الرسائل مع التعليق عليها في كتاب أنشره قريباً .

قبل أن أضع الرسائل في متناول الباحثين والمؤرخين للأدب في الأردن أحب أن أشير إلى ما يلي :

أولاً : سأنشر ما اخترته من رسائل الناعوري إلي دون أن أنشر رسائلي إليه ، وسأكتفي ــ للتوضيح ــ بإحالات وشروحات في الهامش لا غنى عنها لإضاءة الموضوع الذي قد تثيره الرسالة وعلى القارئ أن يعود مع كل إحالة إلى الشروح والتعليقات والتوضيحات فذلك يغنيه عن قراءة رسائلي كاملة .

ثانيا : في رسالته المؤرخة في ٤/نوفمبر/١٩٧٦ سمح لي المرحوم بنشر رسائله دون الرجوع إليه وقد ورد في رسالته بالنص « شكراً لك على تفضلك بنشر رسالتي في جريدة الفجر ولك أن تنشر من رسائلي ما تراه جديراً بالنشر دون رجوع إلي » . وقد استثنى الناعوري رسالة واحدة بعث بها إلي في ٧٩/١١/١٦ حين طلب صراحة عدم نشرها لئلا توقعه في حرج مع المسئولين عنه في مجمع اللغة الأردني . وقد أجبته إلى طلبه في حياته ، وأرى الآن أن هذه الرسالة قد أصبحت ملكاً للحياة الثقافية العربية بخاصة أنها ليست شخصية وانما تتعلق بضجة أدبية أثارها كاتب هذه السطور في الصحف الأردنية وكان رئيس المجمع بطلها .

ثالثاً : تزيد الرسائل عن ثمانين رسالة ، فضلاً عن بطاقات المعايدة . وبعض هذه الرسائل يتضمن موضوعات شخصية تخصني أو تخص المرحوم وأرى أنها لا تهم القارئ في شيء لذا اسقطها كلها أو بعض فقرات منها كما سيلاحظ القارئ فيما ينشر منها لاحقاً ، وما أنشره اليوم هو الدفعة الأولى من هذه الرسائل وقد ذكرت في الهوامش عدد الأسطر التي حذفتها من كل رسالة على حدة للأسباب السابقة .

رابعاً : التعليقات والشروحات والأقواس وعلامات الترقيم التي ترد في السياق هي من وضع الناعوري نفسه .

خامساً : موضوعات الرسائل متعددة وقد حرصت أن أنشرها وفقاً لتسلسلها الزمني وليس تبعاً لموضوعاتها ، وسيلاحظ القارئ أن الناعوري كان يدرك بفطنته أنه يراسل صديقاً صحفياً ، ومن ثم كان يعلم أن رسائله ستنشر في يوم ما . لذا حرص على أن يضعها في صورة مقالات مكتملة العناصر مع بعض الاخوانيات وكان يدقق كثيراً في لغته وأسلوبه وخطه وطريقة عرضه .

سادساً : تركزت معظم الرسائل في عامي ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ثم بدأت أعدادها تقل بعد ذلك وتقتصر أحياناً على بطاقات المعايدة أو الرسائل المختصرة المتباعدة . وكان ذلك بسبب تكاسلنا في المتابعة . وبسبب ظروف الحياة ومشاغلها ، لذا سيجد القارئ أننا تبادلنا خمس عشرة رسالة في عام ١٩٧٦ ، بينما لم نتبادل خلال الأشهر التسعة الماضية إلا رسالتين وبعض بطاقات المعايدة .

سابعاً : بقي أن يعرف القارئ أن لقائي الوحيد بالناعوري قد تم قبل عشر سنوات في إحدى أمسيات نادي الجامعة الأردنية ، وكان اللقاء ساخناً . تبادلنا فيه الاتهام بتحيز كل واحد منا لجيله . فالناعوري يكبرني بخمس وثلاثين سنة ، وقد هاجمته في كتابي الأول « آراء نقدية » ، لكن هذا لم يمنع أن تقوم بيننا صداقة قوية بعد ذلك .

الدكتور عيسى الناعوري

حياته وأدبه

في عشر رسائل بخط يده

الرسالة الأولى

السبت ٣/يناير/١٩٧٦

عزيزي أسامة .

أنا خجلان منك لثلاثة أسباب : الأول ، أنني لم أنجح في محاولة خدمتك لدى وزارة التربية .(٢) والثاني . أنك أجهدت نفسك كثيراً لكي تنقل إلي موجز ما ورد في كتاب « فلسطين في الرواية العربية » حول روايتي « جراح جديدة » (٣) . والثالث أنك تحتاج إلى الإطلاع على الرواية المذكورة ، ولست أملك منها سوى نسختي الخاصة الوحيدة ، وليس في أسواق عمان نسخة منها للبيع فأبتاعها ، والنسخ القليلة الباقية منها موجودة في بيروت لدى أحمد عويدات : في بناية العازارية التي علمت أنها احترقت في الأحداث وانني لأستميحك العذر لهذه الأسباب كلها . وأعدك بأنني إذا وجدت نسخة من « جراح جديدة »(٤) فلن أتأخر عن ارسالها إليك .

غير أن هنالك ملاحظة ، وهي أن الرواية تبدأ من حيث تنتهي سابقتها « بيت وراء الحدود » (٥) ، ولابد من الاطلاع على هذه ، لمقابلة تسلسل « الثنائية » كاملة ، وهذا ما يبدو لي أن السيد أبواصبع لم يفعله . ولعل السبب هو أن الرواية الأولى قد نفدت من سنين ولم أتمكن من إعادة طبعها مرة ثانية ، وهي مترجمة ومنشورة باللغة الاسبانية في مدريد .

ويبدو لي من هذا الذي تفضلت فلخصته لي أن المؤلف قد حاول أن يقلد مستشرقاً أمريكياً يدعى (هاوارد دوغلاس رولاند) قدم أطروحة ضخمة للدكتوراة في جامعة ميشيغان عام ١٩٧١ عنوانها (النزاع العربي الاسرائيلي كما تصوره الأعمال القصصية والروائية العربية) ـ وهي بالانكليزية طبعاً ـ وقد قرأ لأجل إعدادها ١٦٦ أقصوصة عربية ، و ١٢ رواية و ٩ مسرحيات ، وتناولها كلها بالتحليل المنصف الدقيق على عدة وجوه ، حسب اختلاف الفصول وعناوينها ، مع مقدمتين رائعتين ، ومع ترجمات انكليزية لعدد من الأقاصيص المختارة ، ومع التعريف بالمؤلفين . وقد أهدى إلي نسخة من أطروحته ، فكتبت عنها مقالين طويلين : في الأديب ، والآداب . ثم زرت سهيل ادريس ، وعرضت عليه أن يتصل بمنظمة التحرير ، أو بمؤسستي الأبحاث والدراسات للعمل على نشر هذه الدراسة الرائعة بلغتها الانكليزية ، وفي أمريكا ، لأنها أفضل دعاية للقضية بقلم مستشرق أمريكي . وفعلاً اتصل سهيل وأنا عنده بالسيد ابراهيم العابد (٦) ، فطلب هذا الاطلاع على الأطروحة ، فكتبت إلى الصديق رولاند فبعث إلى المؤسسة بنسخة ، على أمل نشرها على نفقة منظمة التحرير وانتهى الأمر هناك . وأنا الآن ـ بعد الذي قرأته من تلخيصك ـ أكاد أوقن بأن السيد أبا أصبع قد اطلع على الأطروحة ، فحاول أن يحذو حذوها » (٧) .

الرسالة الثانية

الاثنين ١٩/يناير/١٩٧٦

عزيزي الأخ أسامة

رسالتك المؤرخة ١/١٢ الجاري وصلت منذ ثلاثة أيام ، وقد تأخرت في الرد عليها بسبب ألم في عيني ،من أثر حساسية مزمنة أعاني منها منذ عامين .

يسرني أن رسالتي السابقة وضعت يدك على الحلقة المفقودة التي كنت تبحث عنها لمعرفة المرجع الذي أخذ عنه صالح أبو إصبع(٨) ، ولكنه أنكر صاحبه ، وادعى الفضل لنفسه . وعلى الرغم من أنني لم أطلع ـ ولا أدري متى سيتاح لي أن اطلع ـ على كتاب أبي اصبع هذا ، فأنا أشك كثيراً في أن يقوم في الكتاب العرب ، وفي أساتذة الأدب العربي في الجامعات ، من يستطيع أن يقدم عملاً في البحث والدراسة كالعمل الجبار الذي قدمه المستعرب الأمريكي الطيب الصديق هوارد رولاند . ولكم أتمنى لو اهتمت مؤسسة الدراسات أو مؤسسة الأبحاث الفلسطينية بالاتفاق على نشره بلغته الأصلية ، وفي قلب أميركا ، مهما تكن التكاليف المالية . فهو من أفضل وسائل الدعاية للقضية التي قامت من أجلها منظمة التحرير ومؤسساتها الثقافية ، وهو أهم كثيراً من الترجمات العربية التي تنشرها المؤسستان . الحاجة هي إلى الدعاية في الخارج ، وبأقلام الغربيين أنفسهم ، لضرب الدعاية الصهيونية في عقر دارها ، وليس محاربتها لدى القراء العرب ، الذين هم بطبيعتهم أعداء لها . ومصيبتنا الكبيرة أننا كلنا نكتب عن القضية الفلسطينية ، ولكن لأنفسنا ، مع أن الواجب أن نكتب للاخرين ، بلغاتهم ، وفي قلب بلادهم .

ما علينا من هذا ، فأنا أعرف أنني أنفخ في الرماد حين أقول هذا ، وقد نفخت طويلا في الرماد ، فما أحس بذلك أحد . وقد لمست حين ترجمت إلى الايطالية قصائد من شعر شعراء المقاومة في الأرض المحتلة ، ونشرتها في كتاب في روما ، كيف تلاحقت ثلاث طبعات من الكتاب ، في ثلاثين الف نسخة ، في مدى ستة أشهر فقط . ونفد الكتاب حتى لم يبق منه سوى نسختي الخاصة من الطبعات الثلاث : نسخة واحدة من كل منها . كانت أصداء هذا العمل رائعة حقاً . كما كانت أصداء محاضرتين لي بالانكليزية حول : ١ ـ الحركة الأدبية في ضفتي الأردن ، ٢ ـ حول الشاعر مصطفى وهبي التل . الأولى ألقيتها في لينينغراد وموسكو وبودابست باللغة الانكليزية ، ثم نشرت في مجلة كلية الآداب في جامعة مالطة ، ثم ألقيتها بالايطالية في جامعة روما ، وجامعة البندقية ، وبالعربية في بنغازي وطرابلس وتونس . والثانية : القيتها في مؤتمر للمستشرقين في ايطاليا سنة ١٩٦٦ . كانت الأصداء في كل مكان رائعة حقاً ، ولا سيما أصداء الترجمات الشعرية التي تضمنتها المحاضرات .

لو فعل كل قادر على الكتابة بلغة أجنبية من الأدباء العرب مثل هذا في مجالاته ، لكانت لنا فرصة عظيمة للدخول إلى العقول الغربية عن طريق الأدب والشعر : وهي أفضل ألف مرة من طرق السياسة ، الأدب يقبله الناس بسهولة وبقبول حسن ، أما السياسة فيرونها كشربة الخروع ، أو شربة الكيناء أو ربما أسوأ من ذلك كثيراً .

وتسألني أخيراً عن صمتنا هنا ازاء ما يقوم به بعض الشبان من أعضاء الرابطة من تشويه لوجه الأدب الأردني ، وتذكر لي اسم خليل السواحري واسم ابراهيم خليل ، وما يتقارضانه من المديح العجيب ،وما يصفعان به وجوه الآخرين من نقد أعوج أهوج (٩) وماذا ترانا سنفعل ؟ هل تريد من جيلنا أن يلعب مع هؤلاء الشبان لعبة القط والفأر ؟

لا ، ليس هذا من شأننا . لقد كنا حتى الآن الجيل الصامت على الأذى ، عن عفة وحفاظ على كرامته . كل كتاب الجيل الجديد حملوا علينا وأنكروا كل كفاحنا الطويل لشق الطريق وتعبيد وعرها أمام أقدامهم الطرية لكنهم تجاهلونا وأعلنوا أن الأدب في الأردن يبدأ من عندهم ـ حتى قبل أن يكون لأي منهم كتاب مطبوع وأنه لم يكن قبلهم أدب ولا أدباء .

الرسالة الثالثة

الخميس ١٩/فبراير/١٩٧٦

عزيزي أسامة

أكتب إليك هذه السطور لأشكرك على تفضلك بارسال الكتاب إلي (١٠) ، وكنت قد رجوتك أن تحتفظ به لنفسك ، ما دامت نسختك هذه هي الوحيدة التي يمكنك التصرف بها . أما وقد آثرتني على نفسك ، فحرمت نفسك منها ، وأرسلتها إلي ، فإن كلمة الشكر مني لهي أقل كثيراً من فضلك . لقد قرأت الكتاب ، ولمست فيه مدى السطحية في المعالجة ، لا في ما يتعلق بي وحدي بل في أكثر ما جاء في الكتاب ، وكان كله بين المجاملة والتحامل ، رغم أن المؤلف لم يستطع أن يبرهن على أنه اطلع فعلاً على كل الروايات التي يعالجها .

الرسالة الرابعة

الأحد ٢٢/فبراير/١٩٧٦

عزيزي أسامة .

رسالتك الأخيرة المؤرخة في ١٩٧٦/٢/١٢ وصلت مساء أمس . وكنت قد أرسلت إليك قبل بضعة أيام رسالة أشكرك فيها على تفضلك بارسال كتاب (فلسطين في الرواية العربية) إلي . وأنا أكرر لك الشكر على ذلك ، راجياً أن تكون الرسالة قد وصلت إليك قبل الآن .

في رسالتك الجديدة استوقفتني أمور عديدة ، قد لا أستطيع تفصيلها الآن ، ولكنني سأحاول ؛ وسأحاول كذلك أن أعطيك انطباعاتي حولها . لم أكن أظن أن أحداً يعرف سر المرحوم الأيراني (١١) سواي ، ولكنك كشفت بشكل لم أتوقعه ، حين ذكرت أن « حملة الايراني علي كان دافعها الأول شعور المرحوم أن المنافس الحقيقي والأول له هو أنا ... والشبان الذين تألبوا علي هم أبناء الأيراني ، هو الذي أظهرهم على صفحات مجلته ، وهو الذي أوحى لهم ... وهو الذي عمل دائماً على تفريغ أي عمل لي من محتواه » .

كلامك هذا صحيح جداً ، وكنت أعرفه . وأغضي عنه ، لقد كان المسكين يرى أنه (قمة شامخة) ويريد أن يكون (القمة الشامخة الوحيدة) وبقية الأدباء أقزاماً يسجدون حول صنمه ، ولكنه كان يحس كذلك احساساً مريراً يقلق حياته بأن هناك قمة أخرى أكثر شموخاً منه ، تحجب عنه أشعة الشمس . تلك كانت « عيسى الناعوري » ... كان يرى أنني جدار هائل يمنع من وصول الامجاد إليه ، وأن كل مجد أدبي أناله هو مجد كان يحب أن يكون له وحده . وكان يتغص حياته أن يرى أنني الأديب الأردني الوحيد المعروف في العالم العربي كله ، وفي المهاجر ، ولدى المستشرقين ، والذي يكتب ويؤلف ويترجم بثلاث لغات ، والذي ترجم الكثير من أعماله الأدبية إلى لغات غربية متعددة . وكان الايراني يريد كل ذلك لنفسه ؛ ويعتقد أنني سلبت منه هذه الأمجاد ، وكان هو أحق بها مني وكنت أعرف ذلك ، وكان أحياناً ينزلق لسانه معي ، فأبتسم وأسكت . ولذلك كان يتحين كل فرصة لينال مني بأي شكل كان . ولم يجد ما يعوض به النقص الهائل الذي يحس به أمامي غير أن يخلق مدرسة من الأتباع يشتمني أمامهم ، ويعلمهم شتمي . وساعده على ذلك عمله في تحرير مجلة (أفكار) (١٣) ولكن هل أنقص الايراني ــ وغير الايراني ــ شيئاً من قدري أو من سمعتي الأدبية في كل مكان ؟!

رحمة الله عليه ، لقد مات وحسرته الكبيرة في صدره ! لطالما طلب إلي أن أترجم إلى الايطالية أو الانكليزية شيئاً من أدبه ، كما فعلت لنفسي ؛ وكان ينعتني « بالأناني » لأنني أترجم لنفسي من دونه . وكنت أقول له إنه يعرف الفرنسية ، وهي أوسع نفوذاً من الايطالية ، فلماذا لا يترجم لنفسه بها ؟! ولكن الحقيقة أنه كان يجيد الحديث بالفرنسية والترجمة عنها ، ولكنه لم يكن يجيد الكتابة بها . وهذا كان نقصاً آخر يعاني منه كثيراً ، وكان يعاني من نقص آخر أيضاً ، وهو أنه لا يعرف من اللغات الأجنبية غير الفرنسية ،وأنا كنت أكتب بالايطالية والانكليزية وأترجم عن الفرنسية والاسبانية كذلك .وقد ربطت أنا جذوري بدنيوات واسعة ، ولم يستطع أن يربط جذوره حتى بالبلدان العربية القريبة ، كسوريا ولبنان ، وكان لي في حياته نحو سبعة وعشرين كتاباً ولم يكن له غير خمسة كتب ، كل هذه كانت عوامل تنغص عليه حياته . ولست ألومه حين كان يعوض عن ذلك بتأليب الأولاد علي .

أطلت الحديث عن موقف الايراني مني وما كنت لأفعل هذا لولا أنك كشفت لي بشكل أثار دهشتي « إذ كنت أحسبه سرا لا يعرفه أحد » (١٤) .

الرسالة الخامسة

الجمعة/٥/مارس/١٩٧٦

عزيزي أسامة

ائذن لي بأن أخاطبك هكذا ببساطة ودون ألقاب ، أو مجاملات . وفي وسعك أن تناديني « أبا سمير (١٥) فقط ، فالألقاب لا تزيد في قيمة إنسان ، إلا من لم تكن له قيمة في نفسه ويحتاج إلى لقب ليعطيه قيمة ــ وأعيذك وأعيذ نفسي أن نكون من ذلك الطراز ــ ! !

من عادتي أن أرد على الرسائل دون تأخير . وها أنا أرد على رسالتك الأخيرة المؤرخة ١٩٧٦/٣/٣ ، والتي تسلمتها قبل أقل من ساعة من صندوق البريد . وفيها أشياء كثيرة جديرة بالرد والنقاش ــ النقاش الودي طبعاً ــ .

١ ــ شكراً لاعتبارك إياي « شابا » ، من حيث الحيوية وغزارة الانتاج (١٦) وأنا كذلك حقاً ، ولا أستطيع الاعتراف بالكهولة أو الشيخوخة . أما « جيلي الزمني » فهو الجيل الذي تأبى إلا أن تسحبني منه . وأنا أوافقك على أن أكثر رجاله قد هرم أدبهم وهم في عهد الشباب .

٢ ــ لو تمعنت قليلاً في قصيدة تيسير (١٧) ، التي تعتبرها دليلاً ينقض رأيي في انتحاره ، لوجدتها قصيدة يائسة ــ لا من الانتصار على الحياة ــ ولكنها يائسة من الحياة نفسها ، وفيها نبوءة بدنو الأجل . واعتبار الشاعر نفسه ولياً ليس بالشئ الجديد في الشعر ، سبقه إلى ذلك أبو القاسم الشابي . وكان الاثنان يحاولان الصمود في معركة الألم ، والأمراض بواسطة التعاويذ الشعرية ، فمات الأول (طفلا) لأن المرض كان أقوى منه ، ومات الثاني انتحاراً ، لأن المرض كان أقوى منه كذلك (١٨) ، وكانت مقاومته له عاجزة عن منحه صموداً أطول .تعلات الشعراء في حالات العجز عن المقاومة ، تظل تعلات ، ولكنها لا ترقى مطلقاً إلى دور الحقائق ، الواقعة ، والحقيقة الواقعة في انتحار تيسير لم تكن الجبن في مقارعة الظلم أو التمرد على الواقع . هذا جبن لا ترضاه ولا أرضاه لتيسير ، لكن الحقيقة أن المرض كان أقوى منه كثيراً ،وحالات الصرع التي كانت تنتابه ــ وقد رافقت كل حياته ــ من جراء المرض في عينيه (١٩) ؛ لم تمنحه شيئاً من الراحة أو المهادنة ، فصرعته بعد أن قهرت عزمه وارادته .

ودعني أرجوك أن تبعد عن تيسير تهمة « الجبن » ــ الانتحار الفلسفي جبن وخسة ولا أخلاقية ــ ولم يكن كذلك تيسير . انتحاره كان رغم التعاويذ الشعرية ــ لعجزه عن مقاومة المرض أكثر مما قاومه . سقط في معركة كانت غولية الصراع والعنف . وحين تذكر ذلك عنه تكون قد أنصفته ، ووضعته في حدوده الانسانية ــ حدود طاقة الإنسان ، ولا سيما الشاعر ، الذي تكون عاطفته دائماً أقوى من عقله ومن قوته في الصراع ــ ودعك من « تخمينات » (النضالية والفلسفية ، والتمرد) وما إلى ذلك .

٣ ــ في حديثك عن الوقائع التي أوصلتك إلى استنتاجاتك الصحيحة لما كان في نفس الايراني مني ، نسيت أنه استغل بحثه في (ثقافتنا في خمسين عاما) (٢٠) لغرضين : الأول ــ تمجيد نفسه ، والثاني ــ محاولة تدمير الناعوري . وكان من نتيجة ذلك أنني كتبت في جريدة (الدستور) مقالاً طويلاً استغرق نحو خمسة أعمدة ، في فضح اجتراءاته على الحقيقة ، وكذلك نسيت ردوده علي في جريدة (الرأي) مستتراً وراء توقيع (فهمي شما) ــ الذي كان يومذاك مديراً بالوكالة لدائرة الثقافة والفنون ــ واضطراري إلى الرد عليه بعنف لفضح هذا التستر . وفعلاً لم أكتب في مجلة أفكار حرفاً واحداً طوال عهد الايراني بها ويعرف ذلك عبدالرحيم عمر (٢١) ، الذي طالما رجاني أن أكتب لها « اكراماً لخاطره هو » . وكنت أقول له إنني لن أتعامل مع مجلة يشرف عليها الايراني .

رحمة الله عليه ! والله إنني لم أكن البادىء بالعداء . ولقد صبرت كثيراً على ما كنت أعرف من أذى الايراني لي ، وتأليبه الآخرين علي دون ذنب ، حتى طفح الكيل ، ففاض بمقالات في

الدكتور عيسى الناعوري
حياته وأدبه
في عشر رسائل بخط يده

الرأي) ثم في (الدستور) لم أستطع أن أحبس قلمي عن أن أفيض بها .

٤ ـ حقاً ، إن مؤلفاتي عديدة ، أكثر من مؤلفات أي كاتب أردني آخر ، ومخطوطاتي الجاهزة للنشر أكثر منها عدداً ، فهي تزيد عن خمسة وثلاثين كتاباً (المخطوطات أعني) (٢٢) ، والمنشورات ثلاثون . وناشرو كتبي موزعون في الأردن ومصر ولبنان وسوريا وتونس وليبيا وايطاليا ومالطة ، ولولاهم لما ظهر لي حتى اليوم كتابان ، لأنني لا أجازف ـ ولا أملك المال ـ لطبع كتاب على حسابي ، ولو فعلت لما كان في وسعي أن أبيعه ، فأنا خجول وجبان في مجال الترويج

ـ ما قاله لك ابراهيم العابد عن عدم وصول نسخة رسالة هوارد رولاند إلى مركز الأبحاث يجعلني أعتقد أن سهيل ادريس قد استولى علي النسختين . فلدي رسالة من هوارد يقول فيها إنه مضطر ـ على أثر وصول رسالتي اليه ـ إلى أخذ صور فوتوغرافية لنسختين كاملتين من الرسالة ـ بصفحاتها الأربعمئة والستين ـ وأرسل النسختين إلى سهيل ادريس ليسلم احداها إلى مركز الأبحاث بناء على طلبي وكان يقيني أن النسخة قد وصلت إلى المركز فعلاً ، حتى نقلت أنت إلي نفي ابراهيم العابد لتسلمها . أما حديثه بالهاتف مع سهيل ادريس فقد كان وأنا أجلس إلى جانب سهيل في مكتبه وكنت أنا الدافع المباشر إلى هذه المكالمة » (٢٣) .

أسـامة فوزي

بقية الرسائل في العدد القادم

الهوامـــش

(١) ترقيم الرسائل على هذا النحو يتبع تسلسلها في هذه المقالات ، ومن ثم فإن الرسالة الأولى هذه ، هي الأولى في هذا الموضوع وليست الأولى التي أتبادلها مع الناعوري . فقد سبقتها رسائل لا أرى ضرورة لنشرها الآن .

(٢) كان الناعوري مسئولا في العلاقات العامة لدى وزارة التربية وقد طلبت منه تخليص أوراقي بعد أن تركت العمل فيها دون استقالة ، فاعتذر لأن القرار الذي اتخذ بحقي كان ممهوراً بختم رئاسة الوزراء .

(٣) صدرت عن منشورات مجلة السياحة / بيروت/ ١٩٦٧ م .

(٤) لم يكن الناعوري قد اطلع على كتاب الدكتور صالح أبو اصبع « فلسطين في الرواية العربية » ، وفيه نقد حاد لرواية الناعوري المذكورة ، ولأنني احتفظ بنسخة واحدة من الكتاب فقد اضطررت بناء على طلبه إلى نسخ وتلخيص الجزء الخاص بالناعوري وهو في الفقرة السابقة يشكرني على هذا الجهد .

(٥) صدرت عن دار عويدات للنشر لبنان ١٩٥٩ واعتبرت من أوائل روايات النكبة ، وذلك في دراسة كتبها الدكتور عبد الكريم الأشتر ونشرها في كتاب « دراسات في أدب النكبة » الصادر عن دار الفكر عام ١٩٧٥ ..

(٦) كاتب فلسطيني معروف كان نائباً لرئيس مركز الأبحاث قبل أن يلتحق عام ١٩٧٥ بالعمل في وزارة الاعلام بدولة الامارات كمدير لوكالة الأنباء فيها .

(٧) يختتم الناعوري الرسالة بفقرة من أحد عشر سطراً لا علاقة لها بالموضوع السابق . وقد اغفلت ذكرها لهذا السبب ..

(٨) لا أذكر أني تحدثت بهذه الصورة ، ولم أكن أبحث عن حلقة مفقودة كما توحي العبارة بخاصة أني كنت معجباً بالكتاب المذكور وقد عرضته فور صدوره في مجلة الظفرة الصادرة في الامارات في ١٥ نوفمبر ١٩٧٥ وقد نفى الدكتور صالح أبو أصبع أن يكون قد اطلع على المخطوطة المذكورة وذلك في حديث سريع دار بيننا قبل سنة واحدة فقط .

(٩) لقد كتبت للناعوري أسأله عن السر في صمته حيال ما يفعله عدد من الكتاب الشباب في الرابطة ، والتي تحولت الى رابطة لكل من لا علاقة له بالأدب حتى زاد عدد الأعضاء في الضفة الشرقية وحدها عن ثلاثمائة أديب ، فرد على الفقرة السابقة والأوصاف المذكورة له وليست من عندي كما قد يفهم البعض . أما ابراهيم خليل وخليل السواحري فكاتبان يمارسان كتابة النقد والشعر والقصة بحكم عملهما في الصحف وهما يتبادلان المديح دائماً على صفحات الجرائد ، وتنتهي الرسالة بفقرة من سبعة أسطر في موضوع خاص لا يهم القارىء .

(١٠) يقصد كتاب « فلسطين في الرواية العربية » وكنت قد بعثت له بنسختي .

(١١) يقصد الأديب محمود سيف الدين الايراني ، وهو كاتب قصة قصيرة ، وكان يناصب الناعوري العداء وينشر في مجلة أفكار التي يرأس تحريرها مقالات لعدد من الناشئين ؛ تحريضاً لهم على حملاتهم الدائمة على الناعوري في الصحف المحلية .

(١٢) الفقرة السابقة اقتطعها الناعوري فعلاً من رسالتي إليه ، وكنت أصف فيها مواقف الايراني من الناعوري ؛ وتصيده له في كل مناسبة . بخاصة في دراسة نشرها في كتاب « ثقافتنا في خمسين عاماً » ، نال منها الأيراني من الناعوري وجهوده المشتتة وسطحية ما يكتبه !!

(١٣) مجلة ثقافية شهرية صدرت عن دائرة الثقافة والفنون الأردنية في شهر يونيو حزيران ١٩٦٦ وتوقفت عن الصدور في يونية حزيران ١٩٦٧ ثم عادت إلى الصدور كمجلة فصلية برئاسة تحرير جديدة معقودة للأيراني خصم الناعوري ، الذي لم ينشر في المجلة مقالة واحدة طوال عهد الايراني . وما يقوله الناعوري في الفقرة المذكورة صحيح فقد استطاع الأيراني بحكم موقعه في المجلة الثقافية الوحيدة في الأردن ، وبحكم حاجة الناشئين إليه أن يوظف هؤلاء للهجوم على الناعوري بمناسبة وبدون مناسبة ، ولم تنشر الصحف آنذاك كلمة واحدة بحق الأيراني ، رغم أن عيوب الريادة والتقليد الموجودة في كتابات الناعوري والتي كانت تجعله هدفاً للناشئين هي ذاتها التي يجدها القارىء المتفحص في كتابات الايراني .

(١٤) نشرت الفقرة السابقة من رسالة الناعوري في دراسة مطولة لي بعنوان « رابطة الكتاب الأردنيين والتناسل غير المشروع » : ظهرت على حلقتين في الملحق الثقافي لجريدة الفجر في الصيف الماضي وقد روجع الناعوري من قبل الكتاب المذكورين فأكد صحة ما كتبه إلي ودافع عنه ، وكان بعضهم يظن أني ألفت على لسانه ، وعادة الشك في الآخرين على هذا النحو مستشرية في الوسط الثقافي الأردني ، ففي صيف عام ١٩٧٥ نشرت جريدة الرأي لقاء كنت قد أجريته مع نزار قباني ، واحتل اللقاء صفحة كاملة أثارت ضجة في الأردن ، بخاصة أن نزار قباني هاجم الرابطة ، وقد أصدرت الرابطة على الفور بياناً زعمت فيه أني ألفق على لسان نزار قباني حتى اضطررت إلى ارسال نسخة من الشريط المسجل بصوت نزار إليها .

(١٥) الناعوري متزوج وهو والد لخمسة أبناء وبنتين أكبرهم (سمير) وهو دبلوماسي معروف .

(١٦) كنت دائما أحسد الناعوري على حيويته وغزارة انتاجه الأدبي ، فهو من أغزر الأدباء العرب انتاجاً ، ولا تكاد تصدر مطبوعة إلا وله فيها اسهام بارز ، ففي يوم وفاته ، كانت أمامي الدوحة ، المجلة العربية ، دورية الكتاب ، جريدة الدستور ، وله فيها كلها مقالات واسهامات متنوعة ولافتة للنظر .

(١٧) يقصد الشاعر تيسير السبول الذي انتحر عام ١٩٧٣ بعد أن ترك ديواناً شعرياً ورواية ، وكنت قد كتبت فصلاً ضافياً عن أسباب انتحاره في كتابي الأول « آراء نقدية » رأيت فيه أن انتحار تيسير سبول يرتبط بجذور فلسفية كان يؤمن بها . وكانت هناك تفسيرات أخرى لانتحاره ، منها معاناته من مرض اللطخة الصفراء في عينيه وهو ما يقوله الناعوري ولكني احتفظ برسالة من الطبيب الشخصي المعالج للمرحوم وفيها ينفي هذا الاحتمال لأن المرض لم يكن مستفحلا أو مقلقاً للشاعر ولم يكن خطيراً أيضاً . أما القصيدة التي يشير إليها الناعوري في رسالته فهي التي عرفت فيما بعد بالقصيدة الأخيرة لأنها وجدت إلى جانب الشاعر بعد انتحاره وفيها يقول :

أنا يا صديقي
أسير مع الوهم ، أدري
أيمم نحو تخوم النهاية
ولياً غريب الملامح أمضي إلى غير غاية
سأسقط لابد يملأ جوفي الظلام
ولياً ، قتيلاً وما فاه بعد بآبه
وأنت صديقي وأعلم
لكن قد اختلفت بي طريقي
سأسقط لابد، اسقط يملأ جوفي الظلام
عذيرك بعد ، إذا ما التقينا بذات منام
تفيق الغداة وتنسى
لكن أنت تنسى عليك السلام .

(١٨) يكاد ينفرد الناعوري بهذا الرأي حول أسباب انتحار تيسير سبول ، رغم نفي الأطباء له .

(١٩) وهذه أيضاً ـ قضية الصرع ـ لم ترد في تقارير الأطباء أو معارف تيسير .

(٢٠) صدر هذا الكتاب عن دائر الثقافة والفنون عام ١٩٧٢ في ٣٩٦ صفحة من الحجم الكبير وقد تضمن ثماني دراسات عن الآثار ، الشعر ، القصة ، المسرح ، حركة النشر ، الفولكلور الغناء في الأردن كتبها على التوالي محمود العابدي ، هاشم ياغي ، الايراني ، عبد الرحمن ياغي ، الناعوري ، ثمر سرحان ، هاني العمد وتوفيق النمري .

(٢١) الشاعر المعروف ، كان رئيساً لدائرة الثقافة والفنون التي تصدر مجلة أفكار ، وتولى بعد ذلك رئاسة رابطة الكتاب قبل أن يتفرغ لعمله الصحفي .

(٢٢) زودني بقائمة مفصلة عنها تضمنت ٣١ كتاباً .

(٢٣) كنت قد راجعت ابراهيم العابد في حينه ، وبعد وصول رسالة الناعوري فلم يتذكر الواقعة .

مريـــم آل ســـعد



.. هل تُخَـاطِب المـرأةَ فعـلاً ؟!

المجلات النسائية .. هل تعبر فعلاً عن الوجه الحقيقي للمرأة العربية ..؟ هل تحمل بصماتها وملامحها الأصلية ..؟ هل تبوح بمعاناتها .. ؟ وهل تجس النبض الصادق لواقعها .. ؟

• بتصفح عدة نماذج مختلفة من المجلات النسائية ومن صفحات المرأة والأسرة في الصحف والمجلات العربية نكاد نحصر ما تدعي بأنه هموم المرأة العربية في الآتي :

• عدة صفحات كاملة وملونة(في بعض المطبوعات) تركز على ما تزعم المجلة أنه أحدث الصيحات العالمية في الأزياء ..!! بالطبع المجلة هنا لا تهتم بالعادات والتقاليد التي تنتمي إليها معظم أقطار الوطن العربي التي قد تحد من ارتدائها ولا بالأعراف السائدة التي تعاني فيها المرأة من موروثات اجتماعية أولى بالطرح والتفكير والنقاش ، وتود لو تجد من يركز عليها بدلاً من تغريبها وراء أفكار الموضات العصرية التي لاتكرس سوى السطحية والامعان في اللاوعي والابتعاد عن تحسس الوجع الحقيقي ومواجهته والصراع لأجل تغييره ومعالجته .

• صفحات مكررة تتغير أساليبها بينما يبقى مضمونها واحداً (كيف تعتني ببشرتك وتحتفظي بجمالك .. الخ) وتسهب خبيرات التجميل أو ما يتم نقله وترجمته من المجلات والصحف الأجنبية في الامعان في مسخها وتحويلها الى دمية مليئة بالأصباغ والمعاجين ولكن .. ألا تدرك هذه المجلات النسائية بأن هناك نساء لم تترك لهن طاحونة الحياة متسعاً من الوقت لعجن بشرتهن بالزبادي أو الخيار أو التفاح ..؟ وبأن هناك سيدات لن تفلح صبغات الشعر أو الليمون أو الخل في إعادة البريق أو السواد إلى شعورهن التي تسلل اليها (الثلج الأبيض) وقد أهدرن شبابهن على سفح الإحباطات التي تحاصرهن في واقعهن المشبوب بالمحاذير والوصاية والنظرة التي تفتح الأبواب أمام المرأة (التمثال) لتصنع جمالها أو سطحيتها وتغلق النوافذ بالمتاريس أمام عقل المرأة المدركة التي تريد أن تغذي فكرها ، وتنمي عقلها ، وتشارك في تنمية مجتمعها وتواجه واقعها بوجه خال وواحد لا يحتمل الأقنعة والرتوش .. !

• زوايا (المطبخ) والصفحات المخصصة لعرض نماذج من (الأثاث العالمي) المقترح تنفيذه في البيت العربي ومساحة (الاعلانات) الهائلة لمعارض الأزياء والاكسسوارات والمجوهرات .. الخ .. كلها تنبئ بأنه ربما فات على هذه المجلات النسائية بأن العائلات الكادحة تمثل المجموعة العظمى من نسبة السكان إلا إذا كانت لا تتوجه اليهم أصلاً ..وانما هي تصدر فقط لأجل النساء المرفهات فقط.. فهذه إذن قضية أخرى .. !

• لمن تتوجه المجلات النسائية .. ؟

للنساء المنتميات إلى الفئة الغنية القادرة على اقتناء الديكورات الفخمة والرياش الناعمة .. ؟ إذن .. فلماذا تسمى مجلة نسائية وتوحي بمخاطبة كل النساء .. ولم لا تسمى بمجلة الصفوة (كبعض المجلات النسائية التي تفهم المرأة العادية توجهها الحقيقي وذلك من سعرها الباهظ الذي يذيل غلافها القاخر) .. !

• ضحالة الأفكار المطروحة للنقاش كتحقيقات أو دراسات والتي تحرص المجلة على عرضها بجدية على الغلاف ، وما إن يتصفح القارئ المجلة حتى يفاجأ أن هذا (العنوان الضخم) ما هو إلا عبارات مصفوفة ولقاءات جافة تدور حول القشور ، ولا تحاول الغوص أكثر في الداخل .. ولا تضيف أو تغير أو تطرح البديل أو تقدم الحل أو .. أي شيء يدفع بالقضية ــ على الأقل ــ إلى مرحلة أكثر نضجاً ووعياً بدلاً من المتاجرة بها وتحميلها أكثر مما تعاني منه .. ! !

• ماذا تريد المجلات النسائية بالضبط ..؟ هل هي مجرد إعلان لوجود صحافة تعنى بالمرأة ، شأنها شأن أي مواطن آخر (وهنا تقع الطامة الكبرى لأن المرأة ستبدو أكثر حظاً من الرجل لأنها نالت شرف تخصيص مطبوعة تدعي التوجه لها .. !) أم أن التفكير التجاري هو الذي أوحى بخلق هذه الصحافة النسائية وفتح بذلك مورداً جديداً للكسب المادي أم أن المشروع في مجمله قصد به التسلية وقطع أوقات الفراغ ، ولم يقصد به التوغل في هموم وقضايا ومعاناة أية امرأة .. !

• ماذا تريد المرأة العربية ..؟

من الواضح أنها مسئولة بنوع ثقافتها ، بطريقة تعاطيها للأمور ، بدرجة نضجها عما يحدث حولها .. وعن الرداء الذي تصدر به هذه المجلات النسائية ، فهي التي أعطت الإشارة حتى توجهها ــ بهذه الصورة ــ هذه المطبوعات ، وهي التي اضاءت الضوء الأخضر لعملية تدجينها ، واستسلمت للأفكار التي تملى عليها سواء باهتمام أو بلا مبالاة وأصبحت تتلقى حتى دون أن تحاول مجرد التعليق .. !

إن الدور الهامشي للمجلات النسائية سيستمر في وضعه حتى تفيق المرأة العربية ، وتشارك بوعي وادراك في عملية خلق وجودها الحقيقي الفعال المنتج .. حينئذ ستكون لدينا مجلات نسائية بحجم وعطاء المرأة العربية ذاتها وسيكون التواصل متكافئاً ومتوازناً وذا جدوى ..



شكل (١) مع أن الشعرة رقيقة وملساء ورفيعة [illegible]

شكل (٢) شريحة رقيقة في جلد انسان ، وبها تظهر مقاطع طولية للشعر ، بداية من بويصلاته أو جذوره ، ونهاية ببروزه من البشرة على هيئة جزء ميت

حديث شعرة

لماذا يُحب الناس ويكرهون بياضي؟!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

« حياتي مشحونة بالمتناقضات ، ما في ذلك شك . فأولها أنني حية ميتة ، أو بمعنى أدق حي في ميت ، أو ميت في حي ، وثانيها أنني قد أكون مرغوبة في حين ومكروهة في حين آخر ، وثالثها أن مظهري متناسق وناعم وجميل ، لكن باطني لا يسر الناظرين ، ورابعها يتركز في لوني ، فالناس تحب سوادي ، وتكره بياضي .. وخامسها أنني طبيعية ، لكن ذلك لم يمنع من وجودي بهيئة تقليدية أو صناعية .. وسادسها أنني تاج متألق على رؤوس الرجال والسيدات ، أو قد يكون مصيري القمامة وسلة المهملات ، إلى آخر هذه الأمور التي يتشعب فيها الحديث ويطول .. ورغم ضآلة حيلتي ، فلازلت أحظى باهتمام الناس على اختلاف بيئاتهم ، وتفاوت أزمانهم .. فما أكثر ذكري في أجهزة الإعلام ، وما أوسع انتشار الصالونات التي تهتم بشأني ، وما أضخم المستحضرات التي تفتقت عنها أذهان المهتمين بأمري ، ولهذا يكفيني فخراً أن الميزانية العالمية التي تستثمر باسمي ، وتصرف على العناية بشخصي ، تبلغ سنوياً بلايين فوق بلايين من الدولارات .. أنا شيء تافه .. أنا شيء مهم .. أنا الشعرة !

شكل (٣) هذا المنظر الغريب الذي يبدو على هيئة أشجار جرداء تنمو على أرضية غابة غير مستوية ، ليس إلا شعر رأس سيدة مكبر مئات المرات ، أما الأرضية فهي جزء ضئيل من بشرة رأس السيدة (هناك شعرة رفيعة واضحة تسمى الزغب أو هي واحدة من الشعر الخفيف الذي لا يكاد يرى).

شكل (٤) إن غزارة ١٢٠ ألف شعرة على رأس هذه الطفلة تعطيك انطباعا بكثافة الشعر على رؤوسنا .. فما بالنا لو نمت الخمسة ملايين شعرة التي تنتشر على جلودنا بنفس هذا المعدل ؟! لو حدث ذلك ، لكان الانسان أكثف شعرا من الحيوان .. وحمدا لله أنه ما كان !

لهذا أستسمحكم نيابة عن صاحبكم كاتب هذه السطور ، أن يخط قصة حياتي نيابة عني ، فربما كان أعرف بها مني ، ثم إن فيها ــ على حد اعتقادي ــ ما يستحق أن يكتب كلاماً ، ويعرض صوراً ، فالمعرفة بالشيء أفضل من الجهل به ، حتى ولو كان ذلك معرفة بقصة حياة شعرة !

أبدأ بتقديم نفسي فأقول : إنني أمثل عالمين .. الظاهر مني لعيونكم ميت ، والمدفون حي ، وما بين الميت والحي مراحل انتقالية تتحول فيها القوة إلى ضعف ، والحيوية إلى خمول ، والسواد إلى بياض ، والحياة إلى موت !

كلام غريب في ظاهره التناقض ، لكن عليه سيماء الحكمة والفلسفة ، فهل يمكن أن يكون ذلك حال شعرة جاءت لتتفلسف ؟! .. هكذا ربما تعقبون وتتساءلون ، ولكم في ذلك بعض الحق ، خاصة وأنكم لا تستطيعون رؤية حقيقتي بأبصاركم ، لهذا أسارع بعرض جزء من لب تكويني ، وليكن ذلك صورة مكبرة آلاف المرات ، وعندئذ سترون «مالا عين رأت» (شكل ١) .. ولتتأملوا فيها جيداً ، وعندئذ أعقب وأقول : من كان يظن أن شكلي اللامع ، وملمسي الناعم ، وقوامي الرقيق الدقيق سوف يكون بهذا المنظر المخيف الذي يبدو كجذع نخلة ، أو قلف على ساق شجرة ، أو اسطوانة محاطة بحراشيف خشنة ، أو كسف متداخلة ، أو أي تشبيه آخر مناسب لطبيعة صورتي المكبرة ؟

إنها على أية حال حدودكم في الحس والبصر ، فكما تعجز حاسة البصر عن رؤية تفاصيلي ، كذلك تعجز حاسة اللمس عن اكتشاف طبيعة تضاريسي ، ولهذا فما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد !

هذه الكسف أو الحراشيف التي ترونها ، ليست إلا أجداث أموات ، أو رفات خلايا كانت في يوم من الأيام تنعم بالحياة في «أرض» خصبة أقصد في جلودكم ، وكان لها «رحم» يتولى تنشئتها وتغذيتها بفيض دائم من الغذاء يأتيها من تحتها في شعيرة دموية صغيرة ، ومنها تخرج النفايات في شعيرة أخرى ، وهذا في الواقع هو نصفي الحي ، أو هو ــ كما تسمونه ــ بويصلات الشعر أو جذوره ، وكل بويصلة في نشاط دائم أي أنها تظل «تلد» أجيالاً متعاقبة من الخلايا الحية ، بداية من الأجنة في بطون أمهاتها ، ونهاية بأرذل العمر في الانسان والحيوان .

بين حياتي وموتي

إذن فأنا دائمة النضارة والحيوية والشباب في نصفي الحي .. في بويصلتي التي ترى صورة مقطع

حديث شَعْرَة

طولي مكبر لها وكأنما هي مزروعة في « أرض » خصبة (شكل ٢) عدا أن هذه الأرض ليست إلا أنسجة الجلد الحية ، ومن قاع البويصلة تنشأ الخلايا الوليدة النشطة ، ثم تزاح إلى فوق بعيداً عن منابتها ، ولا شك أن الجديد هنا يزيح القديم ، وكلما ازدادت الخلايا عمراً ، زادت قدماً ، وحلت بها علامات الضعف والشيخوخة ، وعندئذ تبدأ في تحويل مادتها إلى جزيئات بروتينية تعرف باسم « الكيراتين » ، ويتخذ البروتين شكل صفائح أو طبقات متتالية ، لتدخل الخلايا عالم الأموات ، لكن بعد أن تبني وتتلاصق بقوة ، لتصبح جزءاً من بناء متماسك في شعرة ، ثم تدفع هذه الصفائح إلى أعلى فأعلى ، حتى تبرز من البشرة ، فأبدو كشعر متسق على رأس سيدة ، أو في شارب شاب ، أو في لحية شيخ ، أو في رمش عين .. الخ ، وعندئذ أصبح علامة مميزة للأناقة والتناسق والوقار والجمال أو قد أكون دليلاً على الفوضى وسوء الحال ـ كل هذا يتوقف على حظي في الحياة ، فإما أن أكرم وأبقى ، وإما أن أهان وأزال !

ورغم أنكم تقولون إن « الله أمر بالستر » .. رغم ذلك فقد يعن لبعضكم أن يفضح أمري ، ويظهر ما خفي عن العيون مني ، فيرى أو ترون سوءاتي التي تخالف ظاهر أمري .. فلاشك أنكم ترونني في عالكم وأنا أنمو فوق بشرة ناعمة ، وأصطف في خصل متناسقة ، وأزهو في تسريحات منمقة لامعة ، وفي كل هذا رونق وجمال .. لكن ما بالكم في تلك الصورة التي تبدو كجذع نخل خاوية ، أو شجرة جرداء تنمو على أرضية غابة غير ممهدة ولا مستوية ؟ (شكل ٣)

الواقع أن التكبير لذاتي ولصويحباتي مئات المرات ، قد فضح بشرة فروة رأس سيدة ، فبدت كأرض مليئة بالمطبات ، أما شعرها المتناسق اللامع ، فقد تجلى كتكوين فوضوي لا يمت بصلة إلى الواقع ..

لكن ماذا أقول لمن فضح المستور ، فأظهر مالا يصح أن تطلع عليه العيون ؟ .. لا أملك إلا أن أقول كما تقولون « الله أمر بالستر » ـ حتى ولو كان ذلك لشعرة مثلي ، أو لبشرة تحسبونها ناعمة كالحرير ، لكن حالها قد تغير تماماً بالتكبير !

نمو وأطوال وأعمار

والشيء الملاحظ لكم دائماً أنني أنمو وأستطيل من المهد إلى اللحد ، ولهذا كان من واجبكم الاعتناء بشأني ، إذ لو تركتم لي الحبل على الغارب ، فقد أصبح فوضوية لا أسر الناظرين ، وقد أعود بكم إلى الأسلاف الأوائل ذوي الشعر الطويل الكث ، والهيئة المخيفة .. صحيح أن نموي بطيء ، لكن القليل مع القليل كثير ، فمعدل هذا النمو يتراوح ما بين ١٣ ـ ٢٥ ملليمتراً في الشهر الواحد ، وهما الحد الأدنى والأقصى لنموي ، يختلف ذلك باختلاف الأفراد ، وفي العام يصل طولي ما بين ١٥ ـ ٣٠ سنتيمتراً ، وعشرة أمتار في المتوسط إذا امتد العمر إلى ٧٠ عاما !

وطبيعي أن أحداً لم يشهد بشراً وقد حملونا خلفهم كثوب زفاف طويل ، حتى ولو بالغوا في رعايتنا والحفاظ علينا ، لأن الأطوال هنا تحكمها أعمار ، وأعمارنا تختلف باختلاف مواقعنا على الأجساد ، فعمر شعرة الرأس مثلاً يتراوح ما بين أربعة أو خمسة أعوام ، وبعدها يتوقف نمونا ، إلى أن تتخلى البويصلة عن شعرتها فتسقط ، ويبدأ عمر جديد لشعرة جديدة ، ولهذا فإن متوسط أطوالنا على رؤوسكم قد يصل إلى حوالي سبعين سنتيمتراً ، وقد يرتفع إلى ٩٠ سنتيمتراً ، يتوقف ذلك على معدل نمونا ، ومتوسط أعمارنا .. ثم يأتي شعر اللحى والشوارب في المركز الثاني ، أما شعر الجسم والأطراف ففي مركز ثالث .

والواقع أنه كلما جاء ذكري على ألسنتكم ، قفز شعر الرأس دائماً إلى مخيلتكم ، ولكم في ذلك كل الحق ، لأنه التكوين الواضح الذي يعتني به الصغار والكبار من الرجال والنساء ، على حد سواء ، أما لحى الرجال وشواربهم ، فأمر اختياري ، فمن شاء رعاني ، ومن شاء محاني !

هذا ويبلغ عدد بويصلات الشعر المنتشرة على بشرتكم عدا راحة اليدين وبطن القدمين والشفتين حوالي خمسة ملايين شعرة ، يخص شعر الرأس منها حوالي ١٢٠ ألف شعرة ، أي أن كثافتي على أجسامكم تقع في حدود مائة شعرة لكل بوصة مربعة ، وفي هذه الكثافة يستوي الرجال والنساء ، لكن نموي على أجسامهن أقل غزارة من أجسام الرجال .. ذلك أن العوامل الوراثية ، والهرمونات الأنثوية تكبح جماحي .. فلا أنمو فيهن إلا بقدر ضئيل ، لكن ذلك لا يمنع من وجود استثناءات تجعلني أنمو بدرجات ملحوظة فيها مضايقة للجنس اللطيف ، وفيها نفور للرجال ، وقد يزيد الاضطراب النفسي والهرموني عند النساء المسنات ، فيخشوشن الصوت منهن ، وأنمو بشكل واضح في أماكن متفرقة ، أهمها في موضع الشارب واللحية !

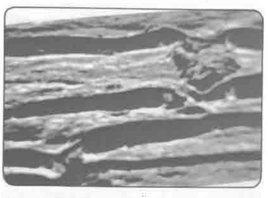
والواقع أن كثافتي على جسم الإنسان لا تختلف كثيراً على جسم الحيوان ، إذ لو كان معدل نموي على أجسامكم بنفس المعدل الموجود في الحيوان ، أو حتى بمعدل نموي على رؤوسكم ولحاكم وشواربكم ، لتغطت أجسام الرجال والنساء بشعور أكثف وأغزر من الحيوان (شكل ٤) .. لكن حمداً لله أن عمري على أجسامكم لا يزيد عن شهور أربعة ، فأسقط ليحل غيري محلي ، وكلما كان سقوطي كثيراً ، كان عددي قليلاً ، وطولي ليس كبيراً ـ هذا ومعدل سقوطي من الرأس يتراوح ما بين ٥٠ ـ ١٠٠ شعرة كل يوم ، وعدة آلاف يومياً من الجسد الواحد ، وطبيعي أن يقل عدد سقوطي ، كلما انخفضت كثافتي ، لكن العدد المتساقط يزيد بتقدم الإنسان في العمر .

ثم إن التسمية التي أطلقها بعض علمائكم على الانسان بأنه المخلوق الوحيد الثديي العريان ، لها ما يبررها ، فحيث تنمو بغزارة على أجسام الحيوانات على هيئة شعر ووبر وصوف ... الخ لتصبح لها بمثابة الرداء الذي يحميها من تقلبات المناخ ، فإن الأمر يختلف مع الانسان الذي يولد عريان ، ومن أجل هذا استعان على ذلك بملابس يستر بها عورته ، ويحمي جسمه !

والواقع أن ذلك لا يعني أن الانسان غير مغطى بالشعر كالحيوان ، بل يعني فقط أن شعر جسده لا ينمو إلا قليلاً ، لكن بويصلاته موجودة ومنتشرة بغزارة مثل الحيوان ، وقد يبدو ذلك غريباً ، لكن لو عدنا إلى الأجنة في بطون أمهاتها ، لوجدنا جنين الانسان ـ فيما بين الشهر السادس والسابع ـ مغطى من أوله إلى آخره بزغب أو شعر خفيف (عدا راحة اليدين وبطن القدمين) لكنه يسقط في الشهر الثامن ، أو قد يولد به كثيفاً ، خاصة على الجبهة وما دونها ، ثم يسقط بعد الولادة ، ومع ذلك فقد تحدث ردة أو انتكاسة ،

شكل (٥) قد يولد الطفل وهو مغطى بشعر خفيف كالحيوان ، وبدلاً من سقوطه ، ينمو بشكل مخيف ، كما هو واضح في صورة هذا الصبي الذي يطلقون عليه اسم الولد الأسد ، نسبة لنمو الشعر الكثيف على وجهه ورأسه ورقبته وصدره مثلما يحدث في الأسد .





شكل (٦) مقطع شعرة مكبر آلاف المرات وفيه تظهر صفائح الكيراتين التي خلفتها الخلايا الميتة على هيئة قوالب مرصوصة في بناء دقيق ، يمكن التلاعب بصفائحه ، فيتغير شكل الشعر تبعا لذلك .

● إن مُعَدَّل سقوطي من الرأس يتراوح ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ شعرة كل يوم ، وعدة آلاف يومياً من الجسد الواحد!

● قد يحدث التلاعب في لوني .. ومن طبيعتي الاحتفاظ بالألوان إلى حين ليعود - بعد ذلك - كل شيء إلى أصوله!



شكل (٧) نمو الشعر عند مدخل الأذن قد يكون مكروها عند البعض لكنه أمر مرغوب ، إذ يصد هذا الشعر ـ الذي جاء مكبرا عدة مرات ـ بعض الأوراق التي تتعرض لها فتحة الأذن .

فيولد الانسان وهو مغطى بالشعر ، وبدلاً من سقوطه ، يواصل نموه ، ويصبح شيئاً مخيفاً (ولقد أشارت المراجع إلى وجود عشرين حالة من هذا النوع) .. وعلى حسب النمط الذي تنمو به على وجهه ورقبته وصدره وما دون ذلك ، يسمى الانسان . فيقال مثلاً الولد الأسد (شكل ٥) أو الإنسان الماعز ، أو الصبي الدب ... الخ .

أشكال وألوان

وكما أن لكم صفاتكم المميزة لشخصياتكم ، كذلك يكون معي ، ومع كل شعرة مثلي ، فكثيرا ما أكون شاهدة على جريمة وقعت ، وبها قد تتحدد هوية صاحبي ، إلا أن ذلك موضوع طويل لا مجال له هنا ، لكن يكفي أن أشير إلى أن الشيء الشائع عني بين الناس أنني أكون متجعدة في رؤوس الزنوج ، ومتموجة عند بعض الشرقيين ، وسوداء مسترسلة في السلالة الصفراء ، ناعمة كالحرير عند الشقر والشقراوات ، أو غير ذلك من طرازات متفاوتة الدرجات .

وطبيعي أن صفاتي متوارثة ، وهي حصيلة زمن طويل جداً من التفاعل بين عوامل البيئة وعوامل الوراثة ،حتى ينبت الشعر المناسب ، للون المناسب ، وللبيئة المناسبة ، فالذين يعيشون في المناطق الشديدة الحرارة ، تصطبغ بشرتهم باللون الأسود ، لتحميهم من أشعة الشمس (بالتحديد من الأشعة فوق البنفسجية) ، وفي الوقت ذاته يصبح الشعر قصيراً مجعداً . حتى لا يكتم الحرارة على أدمغتهم ، بل يسمح بالتهوية المثلى . والعكس صحيح مع سكان المناطق الباردة ، إذ يسترسل الشعر ويستطيل ، ليصبح لفروة الرأس مدفأة طبيعية !

والواقع أن كثافتي على رؤوس البشر ليست واحدة ، ولا كذلك في لحاهم وشواربهم وأجسامهم كما أن مقاطعي أو أقطاري ليست متساوية ، أي قد أكون شعرة سميكة ، أو رفيعة ، وقد أكون دائرية المقطع أو بيضاوية ، فإن كنت سميكة ، قل عددي (سمكي لا يتجاوز عشر ملليمتر ـ ٠,١ مم) ، وأنا أسمك أو أغلظ ما أكون في ذوي الشعور الحمراء أو البنية ، ولهذا يصل عددي في رؤوسهم إلى حوالي ٩٠ ألف شعرة ، لكنه يرتفع في الشقر والشقراوات إلى ١٥٠ ألف شعرة ، لأن سمكي ضئيل ، وما بين هذا وذاك تكون غزارة الشعر أو قلته ، وعموماً كلما زاد سمكي ، قلت كثافتي أو عددي .

ولاشك أن شكلي وقوامي يتحدد من مقطعي ، وأحياناً من شكل « جذوري » ، فإن كان مقطعي كامل الاستدارة ، جئت مستقيمة مسترسلة ، وإن كان بيضاوياً ، كنت متموجة ، وإن كان مجعداً أو أكرت ، فذلك يرجع إلى طبيعة انتظام طبقات الكيراتين في « جسمي » ، ومع ذلك فبمقدوركم تغيير طبيعتي ، وتحويلي من مجعد أو أكرت إلى مسترسل وناعم ، ومن مسترسل إلى متموج .. فاستخدام الحرارة والضغط والشد (كما في مكواة الشعر) يعيد تنظيم طبقات الكيراتين في تكويني (شكل ٦) ، ولهذا أدخل إلى محلات الحلاقين والمصففين بطبيعة ، وأخرج بطبيعة أخرى مختلفة ، لتناسب الأمزجة .. فأنتم فيما تعشقون مذاهب !

كذلك قد يحدث التلاعب في ألواني ، وعن هذه الألوان أو الأصباغ حدثوا ولا حرج ! فمن قديم الزمان استخدمت النساء الحناء لاخفاء عوامل الزمن التي تسحب مني لوني ، فأبدو شيباء ناصعة البياض ، وهو لون مكروه على أية حال ، لكن العلم قد قدم قائمة طويلة عريضة من أصباغ كيميائية أتقبلها قبولا حسنا ، لأن من طبيعتي امتصاص الألوان والاحتفاظ بها إلى حين ، لكن لابد أن يعود كل شيء إلى أصوله .. يستوي في ذلك شكل الشعر أو لونه . لأن بويصلاتنا تعطينا صفاتنا الموروثة ، وعندما ننمو منها ونستطيل ، فاننا نزيح الصناعي ونحل محله ولو كره الكارهون ، وحسنا أن عبر عن ذلك شاعركم الظريف محمد شفيق المصري بشعر يقول فيه :

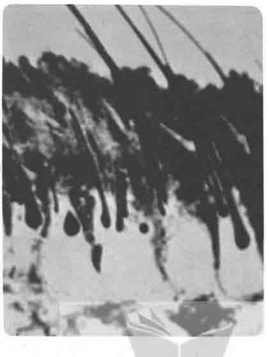
حديث شَعْرَة

ومن ظن الشباب صبيغ شعر
فإن الصقر قد أمسى غرابا
ومن يكتم حساب سنيه يوما
فصفحة وجهه تبدي الحسابا

ولقد صدق .. فالأصباغ تمويه أو خداع لا يدوم ، كما أن الشيب هو نتيجة حتمية لاختلال في تكوين جذوري ، ويتوقف إمداد الشعرة منا بصبغة الميلانين التي تعطيها اللون الأسود (أو أية أصباغ أخرى طبيعية لا داعي لذكرها هنا) .. وهو نفس ما يحدث للانسان الأمهق (أو عدو الشمس ــ كما يطلق عليه العامة) .. ففيه أيضاً خطأ وراثي يمنع تكوين صبغة الميلانين السوداء ، فلا تكتسب بشرته ولا شعره اللون المميز .. وبالاضافة إلى غياب هذه الصبغة ، يحدث خلل آخر في جذوري ، فيؤدي إلى تسرب فقاعات هوائية دقيقة غاية الدقة إلى صلبي أو جوفي ، فيعطيني لمعتي المميزة في شيبي .. وطبيعي أن الاضطرابات التي تحدث في الأجسام كلما تقدم بها العمر ليست مقصورة على بويصلاتي ، بل يمتد « التمرد » إلى مرافق كثيرة ، وبهذا تختل الأجهزة ، وتضعف الأنسجة ، وتخور الذاكرة ، وتهن القلوب ، وتتجعد البشرة ، وتتساقط الأسنان ، ويشيب الشعر ، وتعتبر ــ لبياضنا ــ سوءاً يجب مداراته ، لكن ذلك محصلة حتمية تتفاقم بمرور الزمن ، إلى أن يحل الأجل ، وعندئذ لن يكون شعر ولا جسد !

تخطيط متقن

وكثيرون منكم يحطون من قدري ، ويستهينون بأمري ، ويكرهون وجودي في مناطق معينة مثل تحت الأبطين وعلى الأذنين وفي مدخل الأنف ، وعلى العانة والوجنتين .. الخ ، « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » .. فنموي في فتحتي الأنف يدفع عنكم بلاءً كثيراً ، لأنني أقوم بترشيح الهواء الداخل من بعض أدرانه ، وكذلك عند مدخل الأذن (شكل ٧) فأكون بمثابة سياج طبيعي يحميها من حشرة صغيرة شاردة ، أو ألياف وحبيبات متطايرة ، كما أن وجودي على جفون العيون ليس ترفاً ، بل أنا عليها حارس يقظ ، فأحس بالبلاء قبل أن يقع . وفي لحظة خاطفة تنسدل الجفون على العيون ، ولهذا فكثيراً ما تقولون « العين عليها حارس » .. وأنا هذا الحارس الذي ينقل رسالة الخطر ، لأخفف الضرر ، أو قد أمنعه في لمح البصر !



شكل (٨) مقطع طولي في جلد كلب ، وفيه ترى منابت الشعر التي لا تختلف كثيرا بين حيوان وحيوان ، أو حيوان وإنسان (قارن هذا القطع بالموجود في شكل ٢ تجد الأصول تقريبا واحدة) .

وطبيعي أن الرموش لا تحس ، ولا كذلك كل ما ظهر منا على بشرتكم ، لأنه هو الجزء الميت ، وليس لميت إحساس ، فكيف أدعي وأقول إنني أحس بالخطر ؟

وهو تساؤل وجيه ؛ لكن لو عرفتم السبب ، لبطل العجب .. والعجب يكمن في خلقي ، ذلك أنه رغم موتي ، إلا أنني لم أترك لقدري ، بل لي استحكامات خاصة أستطيع أن أؤدي بها رسالتي ، حتى ولو كنت ميتة !

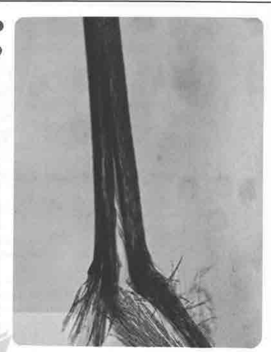
وقد تسخرون من شعرة تدعي أن لها رسالة ، وقد ترجع هذه السخرية إلى أن الساخرين يقيسون كل أمور الكون والحياة بنظرتهم القاصرة على أنفسهم ، وحسبوا أن هذا الكوكب لهم وحدهم ، وكأنما لا تشاركهم فيه مخلوقات أخرى هي أمم أمثالهم .. صحيح أنه لم تعد لي رسالة هامة على أجسامكم ، لكن لا تنسوا عالم الحيوان على هذا الكوكب ، فأصبحت له بمثابة المعطف الذي يحميه ، والملبس الذي يقيه .. ومع ذلك فقد أكون سبباً في موت بعض الحيوانات لأسباب خارجة عن إرادتي وإرادتها ، فنظراً لرونقي وجمالي ، راح الانسان يقتل ويصطاد الحيوانات بالآلاف من أجل فرائها الغالي ، لتصبح زينة للنساء ، ولهذا فإن من الجمال ما قتل ، حتى ولو كان جمال شعرة !

ذكرت فيما ذكرت أن ما يظهر مني على أجسام الكائنات هو الجزء الميت ، وما دفن في جلودها هو الحي ، وهو الذي يحس بأقل ضغط أو لمسة على الجزء الميت ، ولكي أبرهن لكم على ذلك ، فلا أقل من مسي بدبوس أو طرف أصبع ، ويستوي إن كنت هنا في حاجب أو رمش أو شارب أو رأس أو ذراع .. الخ ، وعندئذ سيحس الذي فعل بما فعل ، أو فعله غيره ــ أي الضغط الخفيف جداً الذي تلقيته لأنقله بدوري إلى جهاز « الانذار المبكر » الذي يمتلكه الجزء الحي من تكويني .

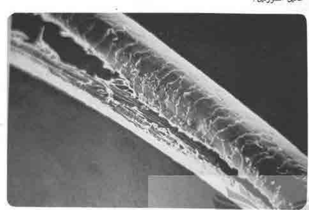
وقد تقولون بسخرية : تباً لهذه الشعرة التي تتحدث بلغة العصر ، وتدعي أن لها مثلما لنا من أجهزة الحرب الحديثة ، لكن وعسى أن تسخروا مني وأنا الصادقة فيما أقول ، ويكفيكم مثلاً رمش العين ، فهو خير شاهد على ما أقول ، ثم لا تنسوا عالم الحيوان ، فالاحساس بما يجري على جسمه ، يتم أولا عن طريقنا ، لأننا الوصلة التي تفصل بين عالمين : عالم خارجي وعالم الجسم الداخلي .

المهم أنني أمتلك في نصفي الحي « وصلة » هاتفية أتحدث بها إلى « قيادتي » في المخ العظيم ، لتتخذ في الأمر شيئا ، فربما كان فيما نقلت إليه خطر عظيم ، وما الهاتف هنا إلا خلية عصبية واحدة ، وهي متصلة أيضاً « بفتلة » عضلية ضئيلة

● أنا المعطف الجميل الذي قد يقتل صاحبه.. والذين يدعون أنني أشيب بين يوم وليلة مخطئون



شكل (٩) قد تفقد الشعرة قوامها وتتفسخ إذا عوملت بقسوة، كأن تمشط تمشيطا شديدا بفرشاة خشنة: وهو ما تراه واضحا في هاتين الصورتين.



ترتكز على جذعي، وبالتنسيق بين «الفتلة» و«العصب» أستطيع أن أقف وأن أرتخي أو أنسدل على البشرة ــ ومع أن وقوفي أو انسدالي ليس بذي أهمية لكم، إلا أنه بمثابة جهاز التدفئة والتهوية بالنسبة للحيوان، فعندما يشتد البرد، تضغط الخلية العصبية على الفتلة العضلية لأقف منتصبة، وبذلك أهيىء عزلاً حرارياً على جلد الحيوان، حتى لا تهرب الحرارة، والعكس صحيح إذا اعتدل الجو.. أضيفوا إلى ذلك أنني أعطي الحيوان حجماً أكبر من حجمه، خاصة إذا اضطرته الظروف أن يقابل عدواً، أو أن يخوض معركة، أو أن يتعرض لما يخيفه أو يثيره، وعندئذ يقف شعره أو ريشه.. أيضاً عن طريق الخلية العصبية والفتلة العضلية.

هذه الظاهرة ذاتها تحدث لبعضكم، وإن كانت فيكم غير محسوسة أو واضحة، فلو تعرض الجسم لجو بارد، لوجدتم «انتفاخات» جلدية ضئيلة (بثرات) تنتشر على بشرتكم عند منابتنا، وأحياناً ما يطلق بعضكم عليها اسم «جلد الأوزة».. لأن هذه البثرات تشبه جلد هذا الطير، وهي بالفعل نتيجة لشد الفتلة العضلية لتدوس علينا حتى نستقيم على جلودكم، وأحيانا ما يعبر بعضكم عن شدة الفزع أو الإثارة التي تعرض لها، فتراه يقول: «لقد كان موقفاً مرعباً وقف له شعر رأسي».. وهو قول صحيح، إذ أن الأصول هنا واحدة بين إنسان وحيوان (شكل ٨) لكن هذه الأصول قد فقدت معظم فاعليتها فيكم، إذ لا حاجة لكم فيها ولا مأرب.

بقيت نقطة أخيرة أوضح لكم فيها شيئاً عن العناية الإلهية التي أحاطتني، فلكي تبقى لي ليونتي وحسن قوامي، ثم حمايتي من التكسر والتقصف، منحت مع غيري ميكانيكية بيولوجية «لتزييتي» أو دهاني من خلال إفرازات غدة دهنية صغيرة تلتصق بي وتلازمني من مولدي حتى سقوطي.. ولهذا فقد ترون آثار هذا التزييت في المرضى الذين لم يغتسلوا لفترات طويلة، فتبدو شعورهم دهنية لامعة، فاذا غسلت بالصابون، ذهب بريقها ونعومتها.. وربما يحدث التقصف والتهشم، خاصة إذا استعملت فرشاة خشنة (شكل ٩)، ولهذا فأنا رقيقة أحب المعاملة الرقيقة!

مفاهيم خاطئة

على أنه يجدر بي قبل أن أنهي حديثي، أن أصحح بعض مفاهيم خاطئة تتداول بين السواد الأعظم منكم.. فالذين يدعون أنني أشيب بين يوم وليلة، أو أنني أمسي بلون أسود أو أصفر، ثم أصبح بلون أبيض، هو بلاشك مفهوم خاطئ، لأن الاضطراب النفسي الشديد لا دخل له بما ظهر مني على البشرة، بل يبدأ الاضطراب في وضع بصماته على الجزء الحي مني، فيتغير تدريجياً إلى اللون الأشيب، ولن يتجلى ذلك إلا بعد بزوغي واستطالتي، ولاشك أن ذلك يحتاج لأيام طويلة.

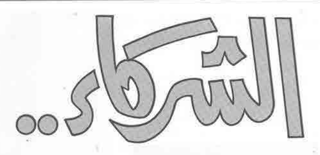
والذين يقولون إن كثرة الحلاقة تقوي نموي، وتشد أزري، وتزيد كثافتي، هو قول غير صحيح، لكن الصحيح أنني أنمو بمعدلات أكبر في الصيف عن الشتاء، وربما أثناء الليل أكثر من النهار، لكن ذلك يحدث بمعايير ضئيلة وغير ملحوظة.

ومن الناس من يعتقد أنني أنمو بعد موت صاحبي، وهو اعتقاد خاطئ، وربما جاء هذا الاعتقاد من بروز شعر ذقن حليقة حديثاً لانسان مات فجأة، فبرزت قليلاً، لكن ذلك ليس بسبب نموي، بل لأن البشرة ذاتها قد انكمشت، فبرز ما خفي مني، فهيئ للقوم أني أستطلت، لكن كيف أنمو بلا غذاء يأتيني؟ الواقع أنني أتوقف كما يتوقف كل شيء في جسم صاحبي، إذ لاشيء يأتي من لا شيء.

وليس صحيحاً أن قوة الرجل منكم تتحدد بكثرة ما يحمله على جسمه مني، أي كلما كثف شعره، ظهرت رجولته، وزادت قوته، وهو ظن خاطئ ربما نبع من أسطورة شمشون الجبار، الذي فقد قوته عندما فقد شعره.

وأخيراً أستودعكم الله، فقد قلت لكم بعض ما عندي، عسى أن يكون حديثي ــ حديث شعرة قد وضع النقط فوق الحروف، ومع ذلك «وفوق كل ذي علم عليم».. والله أعلم.

عبدالمحسن صالح



قصة بقلم: صلاح عبد السيد

في تلك الليلة الأخيرة .. رأيت كل شيء .. أنا رأيت كل شيء ..

كنت أجلس تحت التوتة حين سمعت زعقة ابراهيم الامام ورأيتهم وراءه يجرون ..

كانوا كثيرين .. وكان هو وحده .. وكان يشتم : يا أولاد الـ .... يالصوص .. سمعته بإذني فاختبأت وراء التوتة .. ذلك أنني كنت وحدي .. وهم كانوا كثيرين ..

كنت أرى أقدامهم تدب على الأرض .. وهو يجري عارياً .. مذعوراً .. وهم وراءه يجرون .. العصي في أيديهم .. العصي والبنادق .. فاختبأت .. اختبأت .. ذلك أنني كنت وحدي .. وهم كانوا كثيرين ..

منذ تلك الليلة التي أمسك فيها بأبي حجاج وأنا أعرف أنهم ينتوون ذلك ..

في تلك الليلة ـ أذكر ـ كنت أجلس مع شيخ الخفراء .. وكنا في آخر الليل .. وكان القمر مخنوقاً .. تثاءب شيخ الخفراء وقال : هل ستمكث بعض الوقت ؟ قلت .. نعم سأمكث .. قال .. الفجر أوشك على الآذان .. قلت سأمكث .. قال .. يحسن أن تذهب .. قلت سأمكث .. لم أدر سبباً لتمسكه بذهابي .. فجلس .. لكنه بعد قليل تثاءب وقال : يحسن أن تذهب .. فأعدت عليه : سأمكث .. فتركني على مضض ومشى .. وكان القمر مخنوقاً .. ولم تكن بي رغبة للنوم .. فقلت في نفسي .. سأنتظر حتى آذان الفجر وبعدها أذهب للجامع وأصلي ..

وأنا أقول ذلك في نفسي .. شاهدت ابراهيم الامام يجري مهتاجاً .. معفراً في التراب بقدميه المفلطحتين .. نافر العروق .. منكوش الشعر .. يزوم .. يدخل في الحواري .. ثم يعود .. ثم يدخل زاعقاً : ـ نمت يا بلد .. شبعت ونمت يا بلد ـ

ذلك أنه حين يجوع يهتاج .. يزوم .. يدب في الأرض كوحش هائج وتحمر عيناه .. وفي الأيام الأخيرة كثر اهتياجه .. ذلك أن القرية ـ قريتنا ـ كانت قد ضاقت به وكفرت بكل ما يفعل ..

لم تعرف قريتنا كيف ترضي ذلك المهتاج .. كان يواجه ضعفها وخورها ليل نهار .. ويشتم رجالها : ـ هل أنتم رجال .. ؟ لم تسكتون على كل ما يحدث .. !! ؟ ـ فأغلقت قريتنا أبوابها في وجهه ..

في تلك الليلة ـ أذكر ـ ناديت عليه ـ يا ابراهيم ـ وكان يحبني .. يا ابراهيم .. فجاء إلي ..

مد رقبته ناحيتي يفتش بعينيه عني ..

يعرف صوتي ويحبني .. كان يبتسم لي حين يراني .. لكنه هذه المرة لم يبتسم لي .. وصدمتني رائحة عرقه .. وثوبه الممزق يبين لحمه .. وفتح فمه كأنه يتثاءب .. فبان .. كجمل عجوز يكاد يبكي ..

ـ اجلس يا ابراهيم ـ لم يجلس .. لكن شفتيه ارتعشتا .. ارتعشتا .. فرأيت أسنانه المحطمة .. ورقبته تجري فيها تفاحة آدم .. ـ اجلس يا ابراهيم ـ وظلت شفتاه ترتعشان .. ـ اجلس يا ابراهيم ـ وسمعت صفيراً خافتاً يخرج من بطنه ..

اجلس يا ابراهيم .. لكنه سحب رأسه ولملم جسده ومضى ..

مضى يدب في الحارة ..

يا ابراهيم ...

كانت بي رغبة لأن أذهب إلى بيتنا ومن وراء ظهر أمي أحضر له رغيفاً وقطعة جبن .. لكنه تركني ومضى ..

يا ابراهيم ..

وظللت أسمع صفير بطنه .. وأشم رائحة عرقه الثقيل ..

يا ابراهيم ..

كانت حال ابراهيم الامام تقلقني .. تقلقني جداً .. كان وحيداً يضرب في الظلام .. لا أم .. لا أب لا أقارب .. لا أحد ..

والكل أوصد أبوابه في وجهه .. وهو ينزلق إلى الهوة .. فهل أستطيع أن أنقذه .. ؟

كنت أفكر في ابراهيم الامام .. حين شق ذلك الصمت آهة ممدودة لرجل يسحق ..

فاجأني الصوت .. من أين ؟

قمت أجري .. لا أعرف إلى أين .. !! الظلام يسد الشوارع وأنا وحدي .. وقفت .. تسمعت ..

في آخر الشارع كان هناك في الظلام شبحان .. شبحان يقتتلان ..

من .. ؟

زعقت ..

عرفني ابراهيم الامام .. فزام ..

حدقت .. كان ابراهيم الامام قد انحنى على رجل آخر .. يربطه بحبل في يده ويشده في قوة .. يشده ويركله ـ يا ابن الـ .... يالص .

أشعلت عود ثقاب وقربته من وجهه ..

ـ من ..!؟ أبو حجاج .. ؟

شهقت ..

زام ابراهيم الامام

ـ أمسكته ابن الـ ... إنه يسرق ويقتسم معهم ..

ـ مع من ؟

غمغم

ـ معهم .. !!

وأخذ يقيده بالحبل والرجل يصرخ ـ سيقتلني . وابراهيم الامام يشد بكل قوته : ـ لن تفلت هذه المرة .. والرجل يصرخ .. وعلى صراخه اشتعلت لمبة .. وامتدت من فتحة الشباك .. ولمبة .. وتصاعد الدخان ..

وانفتحت الأبواب ..

و .. شهقوا

ـ أبو حجاج .. ؟

وجاء شيخ الخفراء يهرول

ـ من .. !! أبو حجاج ..!! من الذي أمسكه ؟

زام ابراهيم الامام : أنا الذي أمسكته ..

فتمتم شيخ الخفراء

ـ إنه قادر أن يحرق القرية .. فلماذا تصديت له ... ؟

فاندفع ابراهيم إلى الامام صارخاً

ـ لقد أمسكته متلبساً بالسرقة

لكن شيخ الخفراء لم يرد ..

لحظتها كنت أنا واقفاً .. ورأيت عيني أبى حجاج تتسلقان وجه شيخ الخفراء .. ورأيت عيني



شيخ الخفراء تطمئنانه .. بعدها انحنى شيخ الخفراء يفك وثاقه ...

لحظتها اندفع ابراهيم الإمام صارخاً ..
ـ لقد أمسكته يا ناس متلبساً بالسرقة ..
لكن أحداً من الناس لم يرد ..
ـ لقد أمسكت بالذي يسرقكم يا ناس ..
لكن أحداً من الناس لم يرد ..
فاستدار يشتم في كل الناس
ـ كلكم شركاء .. كلكم لصوص ..
فانهال عليه شيخ الخفراء بالعصى ..
وجن ابراهيم الإمام واهتاج ..
ظل يجري في القرية يشتم ويسب
ـ كلكم شركاء .. كلكم لصوص ..

منذ تلك الليلة أدركت أنهم لن يتركوه .. وظللت أترقب .. إلى أن حدث ما حدث ..

في تلك الليلة الأخيرة .. حين رأيته يجري عارياً .. وهم وراءه يجرون .. في تلك الليلة ـ وأنا خائف فكرت أن أقوم .. أن أجري .. أن أزعق عليه ـ لا تخف ـ لكنني كنت خائفاً .. فأنا وحدي .. وهم كانوا كثيرين .. والأبواب موصدة .. كل الأبواب موصدة .. وهم كانوا كثيرين ..

منذ تلك الليلة اختفى ابراهيم الإمام .. ولم يعرف أحد أين اختفى .. والمصيبة أن القرية لم تعد تذكره على الاطلاق .. وكأنه لم يكن موجوداً ..

كانوا يتجنبون سيرته فلا يتحدثون عنه .. وإذا مرة جاءت سيرته هربت عيونهم إلى الفراغ البليد ..

بعد تلك الليلة .. لم أخرج في الليل .. ولم أجلس مع شيخ الخفراء .. كنت أنام مبكراً .. لكنني في الليل الأخير .. كنت أصحو مفزوعاً على صوت ابراهيم الإمام يصرخ : كلكم شركاء .. كلكم لصوص .. وأسمع وقع أقدامه .. وصفير بطنه .. وأشم ـ أكاد ـ رائحة عرقه الثقيل .. فأتسمع .. أتسمع .. لكنني لا أسمع غير هبة الريح ونحنحة شيخ الخفراء .. فأتنحنح .. وأدفن وجهي ـ باكياً ـ في الفراش ..

أيام قرطاج المسرحية

الدورة الثانية ــ تونس من ٥ إلى ١٦ نوفمبر ٨٥

بقلم: خالد زيارة

حدثان مسرحيان هامان شهدتهما الساحة العربية في فترة وجيزة ، فبعد مهرجان بغداد للمسرح الذي انعقد ما بين ١٠ ــ ١٨ أكتوبر الماضي ، احتضنت تونس الدورة الثانية لأيام قرطاج المسرحية التي انعقدت في الفترة من ٧ ــ ١٦ نوفمبر المنصرم لتؤكد من جديد على أن المسرح هو أحد المنابر الهامة في عالم الثقافة وهو الموطن الذي ينضج فيه الحوار ويسمو فيزدهر به الفكر ويتألق فيه الابداع .

حقاً إن أيام مهرجان قرطاج سخية ، غنية بموادها وبرامجها المكثفة .. إنه مهرجان الافادة والاستفادة في ميادين الفكر والابداع وفرصة سانحة اطلع فيه ذوو الاهتمام من الفنانين والمتابعين عن كثب لما وصلت إليه الحركة المسرحية وما استجد فيها من ابتكارات وابداعات .. وكانت أيام قرطاج بطابعها الدولي وبخصوصيتها العربية والافريقية مجالاً خصباً لإسهامات المختصين بما وفرته خبرتهم وتجاربهم من عطاءات دعمت تطور الحركة المسرحية عموماً وكانت فرصة كبيرة لالتقاء المبدعين والمفكرين المسرحيين بمختلف جنسياتهم وانتماءاتهم واتجاهاتهم وأماكنهم الجغرافية لمد جسور التعاون وتوفير سبل التفاعل فيما بينهم وربط الصلات وخلق مجالات الحوار وتبادل الآراء في كل ما يتعلق بالثقافات المسرحية وغيرها .

وأعطت مسرحية « أحبك يامتنبي » للمسرح الوطني التونسي إشارة بدء المهرجان لأيام قرطاج المسرحية لتطل من جديد في دورة ثانية محملة بالجديد والطريف من ابداعات المسرحيين وبعدد هائل من المسرحيات التي تجاوزت الخمسين عرضاً موزعة على اثنتين وعشرين دولة شاركت في المهرجان أرهقت جمهور المتابعين الذين لم تسنح لهم الفرصة لكثافة العروض وتفرقها من متابعتها ورؤيتها ولضيق صالات العرض أحياناً أخرى .. وهذا ما يؤخذ على القائمين بتنظيم المهرجان خاصة وقد اعتمد عرض واحد لكل فرقة ، مما حدا بالكثير من المتابعين بالمطالبة في إعادة بعض العروض التي لاقت نجاحاً من الجمهور لعرضها المميز كما هو الحال لمسرح قطر الأهلي بمسرحية « المتراشقون » التي طالب الكثير ممن أعجبوا بالمستوى الطيب الذي ظهرت عليه بإعادة عرضها ، لكن دون جدوى وذلك لكثافة برامج المهرجان وتقيده بالمبدأ نفسه .

محترفون وهواة

اتخذت الدورة الثانية من أيام قرطاج المسرحية



مسرحية « أحبك يا متنبي » التي قدمها المسرح الوطني التونسي في افتتاح المهرجان



مسرحية « جلجامش » أو الرجل الذي رأى كل شيء



ديكور المسرحية القطرية «المتراشقون»... وقد حصل الفنان عبدالرحمن الناعي من خلال هذا الديكور على جائزة أفضل تقنية ديكور للمسرحية

مساراً مختلفاً عما كانت عليه في دورتها الأولى قبل عامين ، وأدخلت على طرق العمل المتبعة في الدورة السابقة تحويرات وأصنافاً جديدة من الأنشطة ، كان من أهمها تقسيم الفرق المشاركة إلى هواة ومحترفين .

وأوضح الفنان المنصف السويسي ، مدير المسرح الوطني التونسي ومدير أيام قرطاج المسرحية ، أن انفراد كل من الهواة والمحترفين بمسابقة خاصة جاء بعد استشارة المعنيين بالأمر أنفسهم ، وبعد أخذ موافقتهم «حتى نضمن حقوق كلا الجانبين» . وقال .. إنه لا يعقل أن نجمع في مسابقة واحدة بين صنفين من الفنانين المسرحيين تختلف تجربتهم وظروف عملهم اختلافاً كبيراً . فنضع على قدم المساواة من لا يزال يقطع خطواته الأولى في الميدان ، ومن رسخت أقدامهم فيه .

لجنة تحكيم دولية

وانطلاقاً من هذا المبدأ فقد تم اختيار لجنة تحكيم دولية لكل من مسابقتي المحترفين والهواة .. فقد تكونت لجنة التحكيم الدولية لمسابقة المحترفين من :

المخرج الزياني الشريف عياد (الجزائر) والمؤلف عبد الكريم برشيد (المغرب) والناقد عبد الستار ناجي (الكويت) والممثل والمخرج سعد أردش (مصر) والممثلة محسنة توفيق (مصر) والمؤلف سعد الله ونوس (سوريا) والناقد بول شاوول (لبنان) والناقد جبريل دياديو (السنغال) والممثل والمخرج جميل الجودي والمؤلف مصطفى الفارسي (تونس) .

أما لجنة التحكيم الدولية لمسابقة الهواة فقد ضمت الممثلة السيدة كلثوم (الجزائر) ، والمخرج حاتم السيد (الأردن) ، والمؤلف والممثل يوسف العاني (العراق) ، والمخرج سمير العصفوري والمخرج عبد الغفار عودة (مصر) ، والناقد والكاتب عادل قرشولي (سوريا) ، والناقد بيار أبو صعب (لبنـــان) ، والناقـــد وليد أبوبكر (فلسطين) ، والممثلة منى نور الدين ، والناقد توفيق بو غدير (تونس) .

اجتماع لجنتى التحكيم

وفي اليوم التالي لانطلاقة أيام قرطاج المسرحية وقبل موعد بدء العروض المسرحية عقدت لجنتا التحكيم للمسابقة الرسمية للعروض المسرحية الهواة والاحتراف اجتماعها الأول تحت اشراف المنصف السويسي مدير أيام قرطاج المسرحية لوضع مقاييس ومعايير التحكيم وهي أن :

– تعتمد لجنة التحكيم في كل مقاييسها مبدأ الأفضلية للعمل المسرحي المبتكر .
– الأصالة في الرؤية والمعالجة .
– النضج الفكري والحداثة الفنية .
– عمق التعبير الفني عن الواقع الاجتماعي والتطلعات المستقبلية .

وضمن هذه الجلسة تم انتخاب السيد سعد أردش رئيساً للجنة التحكيم الدولية لمسابقة المحترفين والسيد بول شاوول مقرراً لها .. كما تم انتخاب السيد يوسف العاني رئيساً للجنة التحكيم الدولية لمسابقة الهواة والسيد عادل قرشولي مقررا لها .

عروض المسابقة الرسمية

تضمنت عروض فرق المحترفين الآتي :

أنا الحادثة (المسرح الوطني – تونس) – الأجواد (مسرح وهران الجهوي – الجزائر) – حال الدنيا (المسرح الأردني) – عكاز الطريق (تجربة المسرح الفردي – المغرب) – دايرو الرابع (المسرح الوطني – الكاميرون) – المتسولون الرافضون (المسرح الوطني – السنغال) – نحن نمثل (المسرح الوطني – مالي) – حكاية بلا نهاية (المسرح القومي – سوريا) صانع الأحلام (فرقة ريمون جبارة – لبنان) – الحافلة (المسرح الوطني – السودان) – مقامات أبي الورد (المسرح القومي – العراق) – خيوط من فضة (فلسطين) – كرنفال (المسرح المثلث – تونس) – المارضة (فرقة الديدنقا – ساحل العاج) – التربيع والتدوير (مسرح الطليعة – مصر) .

أما عروض فرق الهواة فهي كالآتي :

شجرة الحب والموت (فرقة باجة – تونس) – المتراشقون (مسرح قطر الأهلى – قطر) – غلط في غلط (مسرح الإمارات القومي) – المهابيل (الثقافة والعلوم – السعودية) – مأساة الحلاج (فرقة قصور الساف – تونس) – المؤلف (فرقة النادي الأهلي – البحرين) – رحلة حنظلة (المسرح العربي – الكويت) .

وكانت فرقة المسرح العربي الكويتية التي رشحت مسرحيتها «رحلة حنظلة» ضمن المسابقة الرسمية «صنف هواة» حسب طبيعة الفرقة ، قد تقدمت بطلب إلى إدارة أيام قرطاج المسرحية لإدراج هذه المسرحية ضمن البرمجة المخصصة إلى المسرحيات «صنف احتراف» .

وقد استجابت إدارة أيام قرطاج إلى هذا الطلب بصفة استثنائية لحصول مسرحية «رحلة حنظلة» على الجائزة الأولى لأفضل انتاج مسرحي في مهرجان بغداد الأول للمسرح العربى .

نتائج المسابقات

في مساء يوم السبت الموافق ١٩٨٥/١١/١٧ م وفى الحفل الختامي لمهرجان أيام قرطاج المسرحية أعلنت نتائج مسابقة أيام قرطاج المسرحية .. وفي هذا اليوم أعلن عن حصول دولة قطر على جائزتين من لجنة التحكيم الدولية للمهرجان والتي اعتبرت الدولة الوحيدة التي فازت بجائزتين من بين ٢٢ دولة شاركت في المهرجان .

فقد حصل الفنان غانم السليطي لقطر على جائزة أفضل ممثل مسرحي عن دوره في مسرحية (المتراشقون) التي مثلت دولة قطر في المهرجان وقدمتها فرقة مسرح قطر الأهلي ضمن تصنيف فرق الهواة .. كما فاز الفنان القطري المبدع عبد الرحمن الناعي بجائزة أحسن تقنية مسرحية لأسلوبه الفني المميز في تشكيل الخلفية الفنية لنفس المسرحية (المتراشقون) .

وبالاضافة إلى حصول الفنانيين القطريين على جائزتين فى مسابقة فرق الهواة المسرحية ، فقد



جانب من أعضاء لجنة التحكيم في المسابقة الرسمية للهواة .

حصل مختار المبروك (تونس) على جائزة الهواة لأفضل مخرج عن مسرحية مأساة الحلاج .

كما أعتبر أفضل عمل مسرحي للهواة لفرقة (الحبيب الحداد) التونسية عن عرض مسرحية (شجرة للحب والموت) .

وقد حجبت لجنة تحكيم فرق الهواة جائزة أحسن ممثلة بسبب ضعف وجود العنصر النسائي في العروض المشاركة ، وجائزة أفضل تأليف مسرحي لعدم توفر النصوص الجيدة في المسابقة .

أما عن مسابقة فرق المحترفين المسرحية فقد أعتبر سراج بومدين (الجزائر) أفضل ممثل عن أدائه المتميز في مسرحية الأجواد ، أسياديا (السنغال) أحسن ممثلة عن دورها في مسرحية المتسولون الرافضون ، أفضل تقنية مسرحية لمسرحية (أنا الحادثة) من اخراج المنجي ابراهيم وانتاج المسرح الوطني التونسي .

كما حصل الحبيب شبيل (تونس) على جائزة أفضل إخراج مسرحي عن مسرحية كرنفال لفرقة المسرح المثلث بتونس .

وكانت الجائزة الكبرى لمسابقة المحترفين مناصفة بين مسرحيتي (خيوط من فضة) لفرقة المسرح الوطني الفلسطيني و (صانع الأحلام) لفرقة المسرح اللبناني من اخراج ريمون جباره .

وتم منح جائزة تقديرية لأفضل عمل جماعي إلى فرقة المسرح القومي السنغالي — مسرحية (المتسولون الرافضون) — وحيت لجنة التحكيم هذه الفرقة على الروح الجماعية التي ظهرت في عرضها المسرحي .

كما أعطيت جائزة تقديرية للممثل الكويتي (سليمان الياسين) عن أدائه المتميز في مسرحية (رحلة حنظلة) .

برامج منوعة

لم تقتصر أيام قرطاج المسرحية في دورتها الثانية على العروض الرسمية في المهرجان ، بل إن برامج منوعة وفقرات مكثفة كانت في انتظار جمهور المسرح العربي المشارك في المهرجان ، والجمهور التونسي المتعطش الى هذه المناسبة بروح عالية وذهن متوقد .. وقد كانت مشاركة المسارح التونسية بشتى أنواعها ومستوياتها دليلاً على ماتشكله هذه التظاهرة من أهمية بالنسبة إليه .. فبالنسبة للعروض التي اشتركت من خارج المسابقة الرسمية نجد من تونس مساهمات متعددة منها : برج الحمام (المسرح فو) ياثروة في خيالي ، من أين هذه البلية ، اسمع ياعبد السميع ، أحبك يافتنبي ، منطق الطير (المسرح الوطني) — المجنون رقم ٧ (فرقة قفصة) ثوار الكلتوس (مسرح الأرض بجندوبة) ، المهرجان (فرقة مدينة تونس) الانسان والظل (فرقة حمام الأنف) ، ضربة قاضية (الشباب المسرحي) على نخبك يافريدة (فرقة الكاف) ، محاكمة الرجل الذي لم يحاول (قدماء مدرسي التمثيل) .

كذلك فإن الاهتمام من قبل المسئولين عن الثقافة في تونس بالمسرح عربيا وافريقيا خلال أيام قرطاج المسرحية أعطى دافعا قويا لاندماج الشعوب العربية والافريقية .. وهذا ماتم في المهرجان وهذا ماجسدته الفرق المشاركة من أفريقيا ومن الفرق الأجنبية الأخرى .. وكما قال المنصف السويسي مدير المهرجان « اننا برمجنا ضمن هذه التظاهرة عدداً كبيراً من العروض المسرحية التونسية والعربية والافريقية وكذلك الأجنبية حتى نتيح أوسع مجال لتبادل التجارب والاحتكاك بين المسرحيين العرب والأفارقة وزملائهم من مختلف البلدان الأخرى ولتنمية الروابط وتوثيق الصلات بينهم وحتى يطلع جمهور المسرح التونسي عن كثب على أكثر مايمكن من تجارب مسرحية » .

كما أن مسرح الطفل كان له نصيب كبير في هذه التظاهرة خاصة إذا علمنا أن كسب الجمهور وتنمية الإقبال على الفن المسرحي يبتدىء من غرس عادة الاقبال على المسرح والشغف به لدى الطفل في سن مبكرة .. وبالطبع فقد احتل مسرح الطفولة مكانته المميزة في (رزنامة) عروض الدورة الثانية لأيام قرطاج المسرحية عبر ستة أعمال كاملة هي : —

(كائنات حية) لمسرح العرائس ، (ضحكة صفراوية) لفرقة صفاقس (سنيا والأسد العجوز) و (ثعلب ثعيلب) للمسرح الوطني ، (المفاتيح السبعة) لأضواء المسرح (البئر العجيبة) لفرقة سوسة .

تنظيم الدورات التدريبية

انطلاقاً من أهمية وشمولية ملتقى المبدعين المسرحيين في هذه التظاهرة الدولية في أيام قرطاج المسرحية في دورتها الثانية فقد قام قسم التكوين والبحوث والدراسات في المسرح الوطني التونسي بتنظيم دورة تدريبية خلال هذه المناسبة تشمل محاور مسرحية تتناول بالخصوص علاقات الممثل مع أبرز الوسائل الابداعية والتعبيرية في العمل المسرحي وذلك لفائدة المؤهلات الشابة التونسية منها والعربية والافريقية إسهاماً لتنشيط الاحتفال المسرحي الشامل .

وتضم الدورة أربع ورشات في اختصاصات مسرحية مختلفة حسب العناصر الآتية : —

١ — فن التمثيل الصامت : مدخل الى « المايم » .

٢ — الإخراج المسرحي : الادارة الفنية (ادارة الممثل) .

٣ — السينوغرافيا : تقنية الفضاءات المسرحية الحديثة .

٤ — القناع المسرحي : الصنع وتكنيك الاستخدام .

الندوة الفكرية

كان الاصرار واضحاً منذ البداية على أن تكون أيام قرطاج المسرحية حافلة بكل جديد فيما يختص بالفكر والفن والابداع ، فمع بداية انطلاقة مهرجان أيام قرطاج المسرحية كانت الندوة الفكرية التي نظمها المسرح الوطني التونسي بالتعاون مع وزارة الشئون الثقافية قد اختتمت أعمالها بجملة توصيات وموضوعات لها أهميتها في الطرح والتفكير العميق فيما يختص بالمسرح كتحد حضاري في ظل المزاحمة غير المتكافئة مع السينما والتلفزيون والمارد الحديث (الفيديو) وغيرها في وسائل الاعلام الحديثة ووسائل التقنية المتقدمة .

وقد حضر الندوة الفكرية التي خصصت لدراسة « البنى الأساسية والتجهيزات المسرحية في



لجنة التحكيم في مسابقة المحترفين

علاقتها بأنماط الانتاج المسرحي ومسالك الترويج ، والتي انعقدت في الفترة من ٥ ــ ٧ نوفمبر بمركز الفن الحي بالبلفيدير نخبة من المسرحيين والكتاب والنقاد في البلدان العربية والافريقية .

وقد قدم خلال مناقشات الندوة العديد من الأبحاث والدراسات التي اعتمدت مدخلاً لاثراء الحوار حول القضايا المطروحة من خلال ثلاثة محاور رئيسية هي :

ــ الفضاء المسرحي في المجتمع .

ــ الأنماط المعمارية للفضاء المسرحي والخصوصية الحضارية للشعوب والأمم .

ــ الفضاء المسرحي ومتطلبات تحرر المسرح المعاصر .

واتفق المشاركون من خلال تقييم أعمال هذه الندوة على أهمية هذا اللقاء بين المسرحيين العرب والأفارقة لبلورة بعض المفاهيم أو القضايا التي تخص أوضاع المسرح في البلدان النامية وعلى نجاح مثل هذه التظاهرات في ارساء تقاليد الحوار الخلاق بينهم .. واتفقوا على تقديم التوصيات التالية :

١ ــ مطالبة الحكومات العربية والافريقية بمزيد من الاهتمام بالتنمية الثقافية .

٢ ــ التأكيد على ارتباط المسرح العربي والافريقي برؤية شمولية تنفذ الى الواقع بكل الحاحاته وتناقضاته .

٣ ــ التأكيد على خصوصية المسرح العربي والافريقي كتعبير نابع من عمق الممارسات الثقافية الحضارية .

٤ ــ مطالبة كافة المعنيين بالثقافة والفنون في كافة الأقطار العربية والافريقية بمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني بكل ظواهره .

٥ ــ السعي الى انتماء « اتحاد المسرحيين العرب » كاطار مشروع لتوحيدهم وتوحيد همومهم الفنية والثقافية .

٦ ــ يحث المسرحيون المجتمعون بالندوة على تقديم الدعم المادي والمعنوي للمسرحيين الفلسطينيين والفرق والتنظيمات المسرحية الفلسطينية .

٧ ــ المطالبة بالمحافظة على البنى المسرحية التقنية وتطويرها .

٨ ــ التأكيد على استقلالية الهياكل المسرحية .

٩ ــ المطالبة بالغاء الرقابة على المسرح والتضييق عليه ورفع كل أشكال الوصاية عن الفنانين المسرحيين .

١٠ ــ العمل على تشجيع الفرق ذات الانتاج المتميز فكريا وفنياً .

١١ ــ دعم المهرجانات واللقاءات المسرحية العربية والافريقية .

١٢ ــ وجوب تشجيع الطاقات المسرحية الشابة ودعم مسارح الهواة .

١٣ ــ ضرورة إعادة النظر في مناهج ومضامين المعاهد المسرحية .

١٤ ــ السعي الى إنشاء مراكز للبحوث والدراسات المسرحية .

١٥ ــ المطالبة بتقرير مادة التربية المسرحية ضمن مناهج التعليم الأساسية .

١٦ ــ المطالبة بمزيد من الاهتمام بقطاع « مسرح الطفل » .

١٧ ــ أن يتولى المشاركون في هذه الندوة تحديد موضوع الندوة التي ستنعقد في نطاق مهرجان دمشق للمسرح العربي وأن يسهم هذا تقليدا في التعاون والتعامل بين المهرجانات .

لفتة كريمة

تتواصل مساء كل يوم في الساعة الرابعة بالطابق الثاني من دار الثقافة ابن خلدون خلال مهرجان أيام قرطاج في دورتها الثانية لقاءات المتوجين والمكرمين بأجيال المسرح وجماهيره بهدف قراءة سجل رحلتهم عبر عصرهم الدرامي .

واطلع المهتمون من خلال هذه اللقاءات على ملامح تاريخ معاناة الرواد والمتميزين من المسرحيين العرب الذين انصهرت في وجدانهم رغبة التضحية والبذل والعطاء وبذلوا من الجهد والعرق ما أوصل المسرح العربي إلى ملامحه الحاضرة واجتازوا به عقبات الطريق لوعورته وخطورته بشوكه الكثير وأزهاره القليلة .

لقد تذكرت أيام قرطاج المسرحية في دورتها الثانية مانسيته مهرجانات المسرح والفنون في عالمنا العربي ولسنوات طويلة وان جاءت متأخرة بعض الشيء إلا أنها جاءت مكللة لجهود سنوات طويلة لفئة تستحق منا كل التقدير لفعلها الواضح وسهرها ومتابعتها المتميزة ومساهماتها في إثراء الحركة المسرحية في الوطن العربي .

فمن هم هؤلاء الذين كرمتهم أيام قرطاج :

ــ منى نور الدين : التي رسخت حضورها على المسرح التونسي منذ أوائل الخمسينات ، وفي السينما التونسية منذ أعمالها الروائية الأولى ..

دوتاساك : من السنغال وقد تواصلت أعماله المسرحية والسينمائيه على أكثر من خمس وثلاثين سنة لعب فيها أدواراً جذبت اهتمام الجمهور والنقاد على حد سواء .. عاش ومثل في باريس عدة سنوات ليعود سنة ١٩٧٢م الى داكار مستقراً بها .. وقد حصل دوتاساك على عدة جوائز محلية ودولية .

الطيب الصديقي : فنان من المغرب يعد من أحد أبرز الفنانين المسرحيين على المستويين المغربي والعربي وقد سعى الى الاغتراف من التراث الشعبي المغربي ومن الذاكرة الشعبية كما غاص في تراثنا العربي مستفيداً الى أقصى حد ممكن .

سميحة أيوب : تخرجت من معهد الفنون المسرحية سنة ١٩٥٣م عينت عضوة بالمسرح الحديث من ١٩٥٢ ــ ١٩٥٥م .. أشرفت على المسرح القومي سنة ١٩٧٠م ثم انضمت الى فرقة المسرح الكوميدي فمسرح الحكيم الذي سمي « المسرح الحديث » الذي ادارته سنة ١٩٧٢م .

دعيت لادارة المسرح القومي مابين ٧٥ ــ ١٩٨٢م ثم عادت على رأسه سنة ١٩٨٤ ولاتزال به .

الهادي السملاوي : من مواليد ١٩١٩م من أب مغربي وأم تونسية دخل عالم المسرح سنة ١٩٣٧م .

السيدة كلثوم : فنانة بمعنى الكلمة ...

ويعرفها المسرح الجزائري جيداً من خلال مشاركتها المكثفة فيه وتزداد قيمتها عندما نقرأ بشهادة غربية جاء فيها أن كلثوم عندما شاركت في أعمال سينمائية ومسرحية اجنبية تفوقت بامتياز على العاملين معها .

يوسف العاني : ولد في بغداد سنه ١٩٢٧ وتخرج في كلية الحقوق ليلتحق بفرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة .. أشرف كمعيد على النشاط الفني بكلية التجارة كما مارس النقد السينمائي والمسرحي ويشغل الآن مستشاراً فنياً في الاذاعة والتلفزيون العراقي ورئيساً لفرقة المسرح الفنى الحديث .. كما يتولى السكرتارية العامة للمركز العراقي للمسرح .. شارك في العديد من المؤتمرات العالمية حول المسرح وحصل عدة مرات على لقبي أحسن ممثل وأفضل كاتب سيناريو .. وله مؤلفات من بينها « مسرحياتي » و « شعبنا » و « هوليوود بلارتوش » .

وهكذا يسدل الستار على هذا العرس المسرحي العربي الافريقي ليتجدد اللقاء في مهرجانات أخرى تعطى هذا الفن حقه في ممارسة إبداعاته من خلال المخلصين له والمدافعين عن قضاياه ولتصبح هذه الذكرى الجميلة نبراساً ينير الطريق للعاملين في مجاله والذين يسيرون على هديه .

خالد زيارة

أوّل ظاهرة فنّية على السّاحة العربيّة



أصدقاء الفن التشكيلي في دول مجلس التعاون

بقلم : يوسف أحمد

لوحة العروس للفنان القطرى محمد علي

تنطلق الحركة الثقافية بتوجيهات من قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، نحو تشجيع انتقال الخبرات الثقافية والفنية بين دولها الست ، لابراز المواهب ، ودفع المسيرة الثقافية إلى الأمام وتنمية التذوق الفنى عند المواطنين .

وتأتي الظواهر الفنية التشكيلية كرد فعل طبيعى ، نحو رسم الأهداف والمعاني المشتركة بين الفنانين ، سواء كانوا تشكيليين أو مسرحيين أو مبدعين فى تلك المجالات الرحبة التي بدأ بريقها يلمع على الساحة الخليجية .

والمتتبع لدور المؤسسات الرسمية والأهلية والتي تشرف على نشاطات الفن التشكيلي في دول مجلس التعاون ، يجد أنها قد كرست جميع ما في إمكاناتها لانجاح الدور الكبير الذي تلعبه الفنون التشكيلية في الحياة العامة .

ولذلك وجدنا في الكويت المرسم الحر الذي تأسس عام ١٩٦٠ م ، والجمعية الكويتية للفنون التشكيلية التي تأسست عام ١٩٦٨ م ، وفي البحرين وجدنا جمعية الفن المعاصر التي تأسست عام ١٩٧١ م ، والجمعية البحرينية للفنون التشكيلية والتي تأسست عام ١٩٨٣ م ، وفى قطر وجدنا الجمعية القطرية للفنون التشكيلية التي تأسست عام ١٩٨٠ م ، وفي سلطنة عمان المرسم الحر العماني الذي تأسس عام ١٩٨١ م ، وفي السعودية جمعية الفنون التي تأسست عام ١٩٧٣ م .

وجميع هذه المؤسسات الأهلية قامت بالتكاتف مع الجهات الرسمية كوزارات الاعلام والثقافة ووزارات التربية والتعليم ، تصب أهدافها فى مصب واحد ، وهو تذليل العقبات والتشجيع المستمر في دفع الحركة التشكيلية في المنطقة . كما أن هناك أنشطة خاصة بالفنانين التشكيليين سواء بالعرض الداخلي أو الخارجي أو طباعة الكتب والدراسات حول الأساليب الفنية ، باعتبار أن نشاط الفنان الخاص ، أو نشر أسلوبه الفنى يعتبر الوجه الثالث لتحقيق نفس الأهداف السابقة .

وتأتي الجماعات الفنية بأهدافها المرسومة كدعامة أخرى للنهوض بحركة الفنون التشكيلية ، ولعلنا نذكر هنا جماعة الأصدقاء الثلاثة التي تكونت في قطر عام ١٩٧٨ لتحقيق الأهداف الفنية المرسومة ، وبالدرجة الأولى عرض اللوحات على المشاهدين في الأماكن العامة ومخاطبتهم بقدر ما يملكون من ثقافة فنية .

ولعل جماعة أصدقاء الفن التشكيلى في دول مجلس التعاون والتي تأسست عام ١٩٨٥ م ، أخذت على عاتقها هذا الدور الكبير في انطلاق الفنون التشكيلية من دول مجلس التعاون إلى الدائرة العربية ثم الدائرة الأوربية . وتأتى نشأة فكرة هذه الجماعة من خلال تكرار اللقاءات الفنية وتبادل المعارض بين أقطار دول مجلس التعاون ، وبخاصة مدينة الدوحة التي يرجع لها الفضل في انطلاق الشرارة الأولى ، ورسم الخطوط العريضة لهؤلاء وذلك عندما قامت وزارة الاعلام القطرية ، بدعوة الفنان الكويتي عبد الرسول سلمان لإقامة معرض شامل لأعماله بالدوحة في شهر مايو ١٩٨٥ م ، وتجمع كثير من فناني دول مجلس التعاون للاحتفال بهذا الافتتاح ، وطرح مثل هذه الفكرة في هذا اللقاء ، وجاء تعزيز هذا المشروع عندما استضافت الجمعية القطرية للفنون التشكيلية معرضاً فنياً لفناني المدينة المنورة فى شهر أغسطس ١٩٨٥ م ثم تبلورت الفكرة تماماً ، وبدأ الاتصال المباشر والكثيف بين أعضائها بالتنسيق مع الجهات الرسمية فى دول مجلس التعاون التي فتحت صدرها مرحبة بهذه الفكرة ودعمها إعلامياً وماديا فانطلق الركب من المحطة الأولى فى أبو ظبى بدولة الامارات العربية المتحدة .

ولقد قام الأستاذ عبد الله النويس وكيل وزارة الاعلام بإفتتاح المعرض فى مبنى المسرح الوطني التابع لوزارة الاعلام ، وبعد مناقشات دامت الساعتين مع كل فنان مشارك فى اتجاهاته وأسلوبه ، أكد الأستاذ النويس في تصريح صحفي عقب الافتتاح قائلاً : ليس هناك فن خليجي ،



بدوية : للفنانة الكويتية ثريا البقصمي

من الأحياء الشعبية للمدينة المنورة للفنان السعودي فؤاد مغربل



من التراث : للفنان السعودي فهد الربيق

ولكن هناك فن عربي في الخليج ، والفن العربي في الخليج لابد أن يتمثل ويمثل بيئة . يتمثل في الحقائق ، والواقع والبيئة التي يعيشها والتي نبع منها ويمثل هذا الجزء من الوطن العربي في كل بقاع العالم . ونحن يجب أن ندخل العالم الفني بدون غربة وبدون استغراب . بدون غربة حتى لا نعالج قضايا الغير بل نعالج قضايانا ، وبدون استغراب أي أن لا نحجم عن النجاحات التي حققها العالم في أي مكان ولا نستحي ، ولكننا نحاول أن يكون رائدنا الصدق في هذا الفن ، دون الخجل من حداثتنا ، ولكن مع عدم الخجل من الحداثة يجب أن يكون هناك اصرار على التساوي ، وعلى خوض غمار هذه الفنون حتى نصبح في يوم من الأيام خليجيين عرباً عالميين في الثقافة والفكر .

ثم انتقل المعرض إلى إحدى الامارات الشمالية وهي عجمان تحت اشراف جمعية الامارات للفنون التشكيلية ، حيث لاقى نفس النجاح والانبهار من قبل المتتبعين للحركة التشكيلية في دول مجلس التعاون .

ثم جاء المعرض إلى مدينة الدوحة ، وهي العاصمة التي انطلقت منها فكرة المعرض وتحت اشراف الجمعية القطرية للفنون التشكيلية وبدعم كبير من قبل وزارة الاعلام ، وهنا في الدوحة جاءت الاجتماعات المتتالية ، واقرار النظام الذي سوف تسير عليه خطط هذه المجموعة بعد أن لاقت صدى منقطع النظير من قبل المسئولين في وزارة الاعلام القطرية ، وذلك بتوفير كافة سبل النجاح لهذه الفكرة سواء الإمكانات المادية والمعنوية ، انطلاقا من إيمان وزارة الاعلام القطرية والمسئولين بها بتشجيع وتسخير كافة الإمكانات للعمل على تقارب شعوب منطقة مجلس التعاون في كافة المجالات العامة وبخاصة الفنية منها .

وقد ترتب على إنشاء هذه الجماعة : أولاً إرسال شحنة كهربائية في الفنانين وحثهم على العمل التشكيلي ومتابعة نشاط الاصدقاء .. وثانيا محاولات الانضمام إلى المجموعة بعد النجاح الذي حققته . ثم ثالثاً تنشيط الحركة التشكيلية العربية بصورة خاصة وعامة وإرساء قواعد صحيحة للعمل المستقبلي .

ولقد شارك في تأسيس هذه المجموعة كل من الفنانين : عبد الرسول سلمان وجاسم بوحمد وثريا البقصمي وسامية السيد عمر من الكويت ، ومن قطر يوسف أحمد وحسن الملا ومحمد علي ، ومن السعودية محمد موسى السليم ، وعبد الرحمن السليمان وفؤاد مغربل ونبيل نجدي ومنيرة الموصلي وفهد الربيق ، ومن البحرين محمد صالح خميس ، ومن الامارات عبد الرحمن سالم ووفاء الصباغ ، ومن عمان رابحة محمود ، ولقد عرض كل من هؤلاء الفنانين مجموعة من لوحاته عكست تجارب الفنان الخاصة سواء بتناوله للموضوع المحلي أو العالمي وبمحاولات تقنية فريدة .

لا تلوميني..

شعر: عبدالمنعم الأنصاري

أسعى اليكِ.. وقُدّامي قرابيني
على طريق إلى مغناكِ يدنيني
لكنني كُلّما أفلتُّ من شَبَحٍ
يلوحُ لي شبحٌ أعتى فيقصيني
ياويلتي: لا حياتي اليوم مُنجيتي
من الهوانِ.. ولا حتى قرابيني

* * *

جَوْعَانُ.. من لي سواكِ الآن يطعمني
ظمآنُ.. من لي سواكِ الآن يسقيني
وليس إلاّ إزارٌ منكِ يسترني
إذا رياحُ الأسى هبّت تعرّيني
ثُمَّ انتهيتُ بأحزاني إلى جبلٍ
وليس يعصمني مما يلاقيني

* * *

حين ارتحلتِ وأغوتني شياطيني
وكاد جوعي إلى نُعماكِ يرديني
أكَلْتُ من خُبْزِ أعدائي فأورثني
جُبْنَ العبيد وإقدامَ المجانين
ورحتُ أختالُ في قيدي فيلعنني
والعارُ يَنْشُرني جَهْراً.. ويطويني
حتى هَتَفتُ: وأوزاري على كتفي
من أي منعطفٍ ياموتُ تأتيني
تأتي كما أشتهي في زيِّ غانيةٍ
تَبُثُّ سُمَّ لَماها في شراييني؟

* * *

أفديكِ ياحقُّ لكنْ مَنْ سيفديني
من قاتلي حينَ يأتي؟ من سيفديني
من حقكم أنْ تُغالوا في تنابذكم
وتنعموا بقيودِ الذُّلِ والهونِ

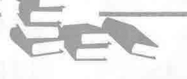


من حقكم ـ لو أردتم ـ بَيْعَ انفسكم
لمن تشاءون.. هذا ليس يَعْنِيني
لكنْ إذا عربدت في الأفقِ أغنيتي
وفجَّرت حولكم صَمْتَ البراكين
فليسَ من حقكم أنْ تقطعوا شفتي
وتمسحوا بتراب الأرض عِرْنيني

* * *

تشابَهَ الدربُ في عينيَّ.. دُلّيني
فومضةٌ من جبينِ الطهرِ تكفيني
حتى أُميِّزَ ما بين الصقور وما
بين البغاثِ وبين الضَّعفِ واللينِ
وأستشفَّ الذي وارثهُ أقنعةٌ
وما وراء احتراق النورِ في الطينِ
وأستعيدَكِ من قاع المنونِ فإن
لم تستجيبي لصوتي.. لا تلوميني

* * *



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي



البَيِّنَة

• يعبر القرآن الكريم باسم : البينة .. في آياته عن : الحجة ، والدليل والأمارة التي يحملها الرسول ــ أي رسول ــ عليه الصلاة والسلام . إلى الناس وبعضها موضع الاختبار في الايمان والكفر بالله .

فهو يقص قصة صالح إلى ثمود ، وما يحمله من أمارة الرسالة ، ويكون تقبل هذه الأمارة علامة الايمان بالله ، بينما رفضها يكون دليلاً على الكفر به ، في قول الله تعالى : « وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ــ قد جاءتكم بينة من ربكم (أي حملت لكم حجة وامارة على الرسالة من عند الله) . هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم » (الأعراف : ٧٣) .. فالحجة التي أرسل بها صالح إلى ثمود من عند الله ، وتعتبر آية صدقه على الرسالة ــ وفي الوقت نفسه تعتبر مجالاً لاختبار الايمان والكفر في قومه ــ هي : الناقة التي صحبها معه ، وطلب من قومه أن تأخذ قسطها في الرعي في المراعي والشرب من الآبار ، أسوة بأنعام الأغنياء وأرباب السطوة في ثمود ، الذين احتجزوا الرعي في الكلأ ، والشرب في الآبار العامة لابلهم وحدهم ، دون الفقراء والضعفاء . فإن تركوا ناقة صالح تفعل كما تفعل إبلهم كانوا عندئذ مؤمنين برسالة الله ، وهي رسالة : العدل والمساواة في الحقوق بين الناس جميعاً : لا فرق بين كبير وصغير ، وبين قوي وضعيف ، وإن هم منعوها من قسطها في الرعي والشرب كانوا كافرين بالرسالة الالهية . وبقوا على عتوهم واستكبارهم في الأرض ، واستحقوا من أجل ذلك .. عقاب الله . فناقة صالح هي بينة وحجة .. وهي دليل الإيمان والكفر .. وبها يعرف المؤمن بالله من الكافر في ثمود .

.. ويقص أيضاً قصة شعيب إلى أهل مدين على الجانب الشرقي من خليج العقبة وما أتى به من أمارة الرسالة ودليل الايمان والكفر بالله ، فيقول : « وإلى مدين أخاهم : شعيباً ، قال يا قوم : اعبدوا الله ، مالكم من إله غيره . قد جاءتكم بينة من ربكم (أي حجة ، وأمارة ، وشاهد على الايمان والكفر) : فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا الأرض بعد اصلاحها ، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين » (الأعراف : ٨٥) .. فبينة شعيب وحجته إلى قومه في أهل مدين : كانت طلب الوفاء في المعاملات التجارية .. طلب العدل وعدم بخس الناس أشياءهم في الكيل والميزان فيما يتقوتون به .. كانت طلب الكف عن العبث والفساد في استغلالها المال وانتهاز حاجة المحتاجين من الناس . فإن قبلت هذه الحجة وهذا الدليل على رسالة شعيب من أهل مدين كانوا مؤمنين به وبرسالته ، وهذه البينة أو هذه الحجة مجال الاختبار في الايمان والكفر بالله ، لأن الاستغلال السيء والضار للمال كان ظاهرة تسود مجتمع مدين ، وهو مجتمع تجاري كان يتعامل بالخصوص في الحبوب المستوردة من مصر ، ويختلف بذلك عن مجتمع ثمود الذي كان مجتمعاً زراعياً يعيش على تربية الحيوان . والضرر الذي كان شائعاً في مجتمع ثمود هو الضرر الناشيء عن احتكار الزعماء والأقوياء فيه للمراعي العامة والآبار العامة للمياه لما يملكون وحدهم من أنعام ، دون بقية الناس . وهم سوادهم وكثرتهم من الفقراء والضعفاء .

.. ويقص كذلك قصة موسى مع فرعون وزملائه عندما جاءه ببينة من ربه ، ويشير القرآن إليها على سبيل الاجمال في قول الله تعالى : « وقال موسى يا فرعون : إني رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم (أي بحجة ودليل ومخبر على الايمان والكفر بالله) ، فأرسل معي بني اسرائيل » (الأعراف : ١٠٥) .. وهنا أيضاً تختلف بينة موسى عن بينة صالح في ثمود ، وبينة شعيب في أهل مدين . لأن الظلم الشائع في مجتمع فرعون وكبرائه وأعوانه لم يكن ظلماً ناشئاً عن اقطاع في المراعي وآبار المياه ، ولا ناشئاً عن استغلال سيء لرأس المال ، بل كان ناشئاً عن استعباد وإذلال لقوم هاجروا إلى مصر ودخلوا على أهلها ، وشاركوهم في مجال الزراعة والتجارة ، واستقروا معهم عدة قرون على هذا النحو ، وهم قوم بني اسرائيل أي أولاد يعقوب من اليهود . أي كان قائماً على التفرقة العنصرية وكانت من أجل ذلك بينة موسى إلى فرعون هي ، طلب فك الحصار عنهم ، والإذن لهم بمغادرة مصر والعودة إلى مكانهم الذي هاجروا منه من قبل .. أي كانت بينة العمل على تحقيق الحرية السياسية .

وعن بينة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه : وهذا كتاب ــ أنزلناه ــ مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . أن تقولوا (أيها المشركون) انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا (ويقصد بهما : اليهود والنصارى) وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا : لو أنزل علينا الكتاب (أي بدلاً من اليهود والنصارى من قبل) لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم (أي حجة وأمارة على الرسالة ، ومجال اختبار للإيمان والكفر بالله ــ ويقصد بها القرآن) وهدى ورحمة (أي ومع كون القرآن بينة على الرسالة فهو في الوقت نفسه كتاب للسلوك المستقيم والعقيدة الصحيحة ، ورحمة في الدنيا والآخرة لمن يؤمن به . (الأنعام : ١٥٥ ــ ١٥٧) .. وكانت بينة الرسول عليه الصلاة والسلام وحجته في الرسالة ، ودليله على الايمان والكفر .. تختلف عن سنة الرسل الآخرين قبله . ولأن الظاهرة التي كانت تسيطر على مجتمع مكة ومجتمع العرب بصفة عامة كانت ظاهرة الأسلوب والقول في فصاحته وبيانه ، ولذا كان أسلوب القرآن هو مجال الاختبار في الايمان والكفر لدى العرب عند بعثته عليه السلام .

والبينة إذا كانت حجة الرسول ــ أي رسول ــ في رسالته .. فهي المدخل في الوقت نفسه للايمان بمضمون الرسالة كلها : وبالأخص إذا كانت رسالة عقيدة ، وشريعة معاً ، كما : في القرآن ، والتوراة قبله « فقد جاءكم بينة من ربكم ، وهدى ، ورحمة » .. يعبر القرآن عن رسالته ..





كيف نتعرّف عليها.. وكيف نستغلها؟

بقلم : الدكتور عز الدين فـــراج

العباقرة قلائل ، ولكن العبقرية كثيرة . ذلك أن كثيرا ممن أوتوا ملكات الذكاء والنبوغ ، لم تتح لهم الفرصة الملائمة لابداء مواهبهم وتنميتها واستثمارها . ومرجع الخطأ فى هذا . فى غالب الأمر ، إلى الآباء والمربين الذين يعجزون عن تبين سمات العبقرية فى أبنائهم وتلاميذهم ، فيهملون ملكاتهم فتذبل وتذوي ، بدلا من أن يتعهدوها بما يذكيها وينميها .

ولهذا كان من واجب الآباء والمربين والمدرسين أن يدرسوا العلماء والعباقرة فى أدوار حياتهم الأولى ، ليتبينوا ما امتازت به من بشائر العبقرية وبوادرها ، فإذا وجدوا ما يشبهها فى أبنائهم وتلاميذهم . عنوا بتوجيههم إلى حيث تؤتي ملكاتهم ثمارها .

والواقع أن العبقرية ، إن كانت غير محدودة إلا أن لها بشائر تبدو منذ الصغر .

عبقرية موزارت الموسيقى

كتب أول أعماله الموسيقية قبل أن يجاوز سبعة أعوام . وقد أخرجت أولى أوبراته وهو فى سن الرابعة عشرة . ونالت نجاحا باهرا . وبدأ فى هذه السن يطوف عواصم أوروبا ويعزف فى دور الأوبرا الكبرى بها ، فيقر له أساتذة الموسيقى ونقادها بالتفوق والنبوغ . بل إن المجامع العلمية فى إنجلترا شغلت بأمره منذ كان طفلا ، فقد ألف أربعا من أغانيه وإحدى سيمفونياته وهو فى سن الثامنة .

عبقرية لونجفلو الشاعر

كان يتذوق الغناء والموسيقى وله من العمر ثمانية أشهر . وكان فى طفولته تلميذا نابها . فكان فى سن السابعة يتفوق فى دروسه وتفكيره على من بلغوا من العمر خمسة عشر عاما . وكان يؤثر القراءة على الألعاب الرياضية . وقد طبعت أولى قصائده ومازال فى الرابعة عشرة .

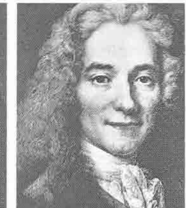
عبقرية أديسون المخترع الكبير

كان الطفل أديسون دائم الأسئلة يسأل عن كل شيء يراه ... لماذا يحدث كذا .. ومتى يحدث .. الخ . كانت له أسئلة كثيرة لا تنقطع . وكان يحاول أن يختبر بنفسه صحة ما يقرأ أو يسمع . وفى العام السابع ذهب الى مدرسة البلدة .. وفى يوم من الأيام قالت له مدرسته : « أنت غبى لا فائدة منك » . وعاد الى أمه غاضبا حزينا . فشجعته وراحت تقوم بتعليمه بنفسها . شعر أديسون بتشجيع أمه . فوثق بنفسه . ومضت الأم تشجع ميله للقراءة والبحث عن كل شيء ، وكان أبوه يقدم له كتب المخترعات وعمل الآلات .. وراح يقرأ .. ويقرأ حتى قال : « بالقراءة تعلمت كل شيء ، وبعملى الدائم أنجزت كل شيء » ، فاخترع المصباح الكهربي وأضاف الكثير إلى تحسين التليفون والبرق والتلغراف .

عبقرية جون ستوارت ميل

هو الفيلسوف الاقتصادى ، الذي بلغت قوته العقلية رقما قياسيا إذ قدرت بمائة وتسعين درجة ، بدأ دراسة اللغة الاغريقية وهو فى سن الثالثة ، ثم راح يتعلم اللغة اللاتينية ومازال فى الثامنة . وكان يبدو أنضج وأعقل من أقرانه فى السن ، فلم يكن يصاحب إلا من يكبرونه سنا ، وكان يناقش أباه كل يوم ، ومازال فى الثانية عشرة من عمره ، فى مسائل المنطق والفلسفة . وبعد ذلك بعام واحد درس مقررا كاملا فى مادة الاقتصاد السياسى . وأعجب من ذلك كله أن تاريخ روما ، الذى كتبه وله من العمر ست سنوات فحسب ، يعد من الكتب المعتمدة فى هذا الموضوع ، بل إنه استطاع قبل ذلك بسنة أى عندما كان فى الخامسة أن يتحدث إلى ليدى سبنسر زوج وزير البحرية حينذاك مقارنا بين مارلبرو وولنجتون فى منطق مرتب وتفكير بديع . ولكن أقوى ملكات الصبى بدت فى دراسة المنطق ، وفى مقدرته على نقد الأسس التى يقوم عليها علم الجبر .

● طفل يتكلم وعمره أربع سنوات ويدخل الجامعة في التاسعة!




فولتير



جيمس وات

تحذير

● إذا لم ننتبه لمواهب الأطفال ونعمل على تنميتها فمن الممكن أن يتحوّل الموهوبون إلى مجرمين ومنحرفين



فيكتور هوجو



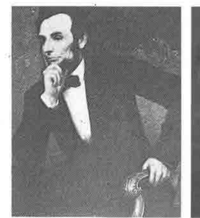

موزارت في السابعة من عمره

عبقرية فولتير

الكاتب الفرنسي المعروف ، أنشد الشعر ومازال طفلا ، ففي سن الثالثة حفظ قصيدة طويلة من نظم روسو . وكتب تراجيديا شعرية ومازال في عامه الثاني عشر ، ولكنها لم ترقه فأحرق مسودتها . وقد تجلت مواهبه الأدبية وهو في طور الدراسة ، حتى كان يتفوق على كثير ممن يدرسون له مادة الأدب واللغة . ولما بلغ السابعة عشرة أخذ يدرس القانون في باريس . وفولتير من حيث القوة العقلية هو ثاني رجال هذه القائمة من العظماء ، إذ تبلغ قوته العقلية مائة وثمانين درجة ، ولا يتفوق عليه سوى جون ستوارت بعشر درجات .

عبقرية ابراهام لنكولن

وهو الزعيم الأمريكي الذي ألغى الرق وأمضى طفولته وصباه منصرفا إلى القراءة ، وكان مما قرأه في بدء حياته الانجيل . وعندما كان يتعذر عليه الحصول على كتب جديدة يمضي وقته في قراءتها ، كان ينكب على قاموس اللغة يستظهر



ابراهام لنكولن

جون ستوارت ميل



مفرداته . وكان تلميذا نابها مجدا ، وقد كتب فصولا امتازت بجدها وعمقها ومازال في الرابعة عشرة من عمره . وكان معروفا بين أقرانه الطلاب باستقامة الفكر والخلق ، فكانوا يختارونه حكما يفصل بينهم فيما يجد من الخلاف .

عبقرية جيمس وات

كان هذا المخترع الكبير منصرفا عن دروسه إلى اشباع رغبته فى علوم الميكانيكا والرياضيات ، حتى أنه قرأ فى صغره كثيرا من كتبها ، ولم يبلغ الخامسة من عمره حتى قرأ كل كتاب وصلت اليه يده . وكان يقضى الساعات يراقب إناء الشاى على النار والماء فيه يغلى .. ليراقب بخاره المتصاعد ، وهو يرفع غطاء الإناء ويخفضه .. وقوة الملاحظة هذه هى التى دفعته الى استغلال البخار وقوته .

عبقريات أخرى

ومثال آخر « وليم سيديز » طفل الولايات المتحدة الامريكية العجيب أمكنه أن يقرأ ويكتب وهو فى الثانية من عمره ، وحين بلغ الثامنة تكلم الفرنسية والروسية والانجليزية والألمانية وبعض اللاتينية .

والأديب « فيكتور هيجو » مؤلف رواية « البؤساء » حصل وهو فى الثالثة عشرة من عمره على جائزة الأكاديمية الأدبية فى فرنسا .

أما الطفل الذي حير الجميع فهو « كينيث » من مدينة أوهايو بأمريكا ، فقد تكلم بطلاقة وعمره أربعة شهور فقط ، واستطاع أن يقرأ وعمره سنة واحدة ، ثم أصبح طالبا فى الجامعة وعمره تسع سنوات .

والأطباء يفسرون النبوغ المبكر عند الأطفال بأنه حصيلة نشاط شاذ للغدد ، مثل الغدة النخامية ، والغدة فوق الكلية ، وتلك الغدة الغامضة بالغة الصغر المسماة بالغدة الصنوبرية ، إذ أن هذه الغدد هى التى تسهم فى تنمية القدرة العقلية أو تعطيلها .

كيف نتعرف على الموهوبين من أطفالنا ؟

وتنبه العلماء إلى نقطة هامة جدا ، وهى أن الطفل الموهوب يجب أن يحظى برعاية خاصة بحيث لا تطمس موهبته ، وتكونت الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين بانجلترا عام ١٩٦٦ وأعضاؤها من كبار رجال الأعمال والمخترعين والعلماء والفنانين والمدرسين ، ومن آباء الصغار الموهوبين أيضا ، وقررت الجمعية أنه إذا لم يتمكن المجتمع من استغلال موهبة الصغار الخلاقة لصالحهم ، فإن هؤلاء الصغار يمكن أن يصبحوا من كبار الخارجين على القانون والمجرمين العتاة . وقد أشارت هذه الجمعية الى عدة ملاحظات يمكن عن طريقها معرفة الطفل الموهوب وتتلخص فى النقاط الآتية :

• الطفل الذي ينام لفترة قصيرة ويبدى اهتماما ملحوظا بكل ما حوله ويبدأ الكلام مبكرا أو المشي مبكرا ويسأل دائما : « كيف يعمل هذا الشيء ؟ » و « كيف عرفت ذلك ؟ » .

• الصغير الذي يحاول أن يعلم نفسه قبل أن يصل إلى سن المدرسة ولديه قدر كبير من حب الاستطلاع .

• الطفل الذي لديه قدرة غير عادية على التركيز ويميل إلى العمل بشكل ملحوظ من باقى زملائه .

• الطفل الذي لديه طاقة زائدة باستمرار ..

• الطفل الذي عنده كتلة من النشاط وقوة الملاحظة بكل شيء حوله .

• الطفل الذي لديه المقدرة على الصبر والتسامح وعدم التعصب ، والذي يملك الشجاعة فى الحديث حوله دون كل من والديه ومدرسيه وزملائه فى المدرسة .

• الطفل الذي يكون أوفر صحة وأكثر طولا ممن هم أقل منه موهبة .

كل هؤلاء يكون تطورهم سريعا بسهولة وبلا أزمات انفعالية أو عقد نفسية .. وأحيانا يتمتع مثل هؤلاء الصغار بالحب والشعبية بين زملائهم ، وعادة ما يصبحون قادة طبيعيين لهم . وإذا ما أصيب أحدهم باحباط ، أو خيبة أمل ، أو خانته شجاعته فى بعض المواقف ، فإنه عادة ما يلجأ إلى نفسه يعالج بها ما جدث له حتى يعود إلى حالته الطبيعية .

● لماذا لا ننشئ جمعية وطنية لرعاية الأطفال الموهوبين ؟

من كل الطبقات

لقد ثبت أن مثل هؤلاء الصغار الموهوبين موجودون فى كل طبقات المجتمع وبصرف النظر عن المؤثرات الاقتصادية أو الاجتماعية ، وأنه تربطهم نفس الملاحظات السابقة .

وهناك اتجاه عام يميل إلى معارضة تجميع الأطفال الموهوبين فى مدارس خاصة بهم فى الموسيقى أو الباليه ، فهؤلاء لهم مواهب خلاقة من الضرورى تنميتها بتجميعهم فى جو واحد وتحت مؤثرات وتوجيهات موحدة .

ويقول اللورد بويل اوهاندروورت من المتخصصين فى التربية إنه كان من أوائل الأعضاء فى الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين ، وإن أولياء الأمور هم من العناصر الهامة جدا فى حياة الصغير الموهوب ، لأنهم أول من يشعر به أو بموهبته وعن طريقهم سوف يصل أو يضيع لو لم تلتفت إليه الأسرة .

العبقرية والبيئة

نجد ثمة اتفاق على أن العبقريات نشأت فى بيئات امتازت بالإثارة الذهنية والعقلية . ومن المرجح أن يكون ذلك من الأسس التى ساعدت العبقرى فيما بعد على الابداع والاخلاص لعمل علمى أو أدبى .

وكثيرا ما تمتاز الأسرة بتشجيعها لصغارها على الإثارة الفعلية بمظاهر منها : شيوع اهتمامات ثقافية أو علمية أو وجود أحد أفراد الأسرة المقربين ممن برزوا فى هذه الاهتمامات الثقافية والعلمية .

ذكر « برتراندرسل » أن والده كان يميل للفلسفة والدرس وكان متحرر الفكر ، وكان يملك مكتبة غنية ، وكانت أمه بالمثل تفيض بالحيوية والقدرة على الابتكار .

أما « جوته » الشاعر والمفكر الألمانى الكبير فقد اعتادت أمه أن تقرأ له بصوت عال فى طفولته المبكرة . وبهذه الطريقة استطاع « جوته » أن يلم بالأدب الانجليزى إلماماً كبيراً فى السنوات الأولى من عمره ، فقرأ معها شكسبير وملتون وكذلك مؤلفات « جين أوستن » وغيرهم .

والحافز الثقافى قد لا تمتد جذوره لأعمق من وجود كتب أو مثقفين فى الأسرة ، بل إن الخبرة كثيرا ما تعلمنا وهى غير خاطئة أن هناك نماذج من العباقرة نشأت فى أسر مختلفة عن ذلك اعتمدت على التشجيع العام للعبقرية المبكرة واحترام أفكارها مهما كانت تافهة ، وإبداء التفهم وتقديم التوجيه إن كانت فى حاجة إلى هذا التوجيه والتشجيع والمدح والثناء بين حين وآخر .

الوصايا الثماني لمعاملة الطفل الموهوب

إن البيئة ، ونعنى بها المنزل والمدرسة والمجتمع ، تؤثر فى تنمية ذكاء الانسان باعتبارها مصدر التعليم والتنبيه والإثارة . فهناك فرق بين بيئة منعزلة أمية جاهلة وبين بيئة متحضرة متمدينة . والبيئة تؤثر من جهة أخرى من خلال تكييفها لشخصية الانسان وطباعه وأخلاقه وسلوكه وعاداته . وحب التعلم واكتساب المعارف والاستزادة منها يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية المرء . فهناك فرق كبير بين نمو أطفال العائلة السعيدة المحبة المتفهمة ، وبين أطفال العائلة المتفككة الأواصر والتى تسودها الشحناء والبغضاء . وهذا ما جعل الدكتور داتسون الانجليزى زعيم المدرسة السلوكية يقول : اعطنى اثنى عشر طفلا وأنا كفيل بأن أجعل منهم ـ بلا تعيين أو انتقاء ـ واحدا طبيبا وآخر مهندسا وثالثا محاميا ورابعا موسيقيا ، أو إن شئت أجعل لك منهم لصا أو متشردا أو قاطع طريق . وهو يؤمن بأن للبيئة أكبر الأثر فى تطوير ذكاء الطفل وشخصيته وسلوكه .

والحرمان ـ وخاصة إن كان شديدا وطويلا ـ يعوق التطور والنمو . والحرمان الغذائى مثلا والحرمان العاطفى يؤديان إلى التأخر العملى والنفسى بل والجسمى ، ويطبع سلوك الطفل بالعدوانية والأنانية والاضطرابات السلوكية الأخرى . والحرمان من التنبيه والإثارة ووسائل التعلم يؤدى إلى تأخر نمو الجملة العصبية والتطور العقلى .

دور المدرسة فى تعهد بشائر العبقرية

لابد أن نقف قليلا ونتساءل : كم هناك من الأطفال النجباء أمثال الذين مر ذكرهم أهملتهم بيئتهم وغفل مربوهم فى البيت أو فى المدرسة عن اكتشاف قابلياتهم الوراثية فضاعت عبثا دون أي توجيه . وكم كانت خسارة المدنية والعالم أجمع لو أضاعا طفلا كأديسون ؟ ذلك الطفل المعوز الذي لم يتمكن أبواه من إرساله الى المدرسة لأن الفقر ـ وهو عامل من عوامل البيئة ـ كان السبب فى تغيير وجهة أديسون عن الدرس وكان يحصل على معاشه من بيع الجرائد . ولو لم تساعده الصدف فى إنقاذ ابن أحد موظفى البرق من تحت عجلات القطار ومكافأة الأب له على صنيعه ، لما أصبح أديسون زعيم المخترعين الكهربائيين فى التاريخ .

ومن أخطاء المدرسة ، كما يراها علماء الوراثة ، أنها لا تهتم بوراثة الطفل وما فيها من التباين العظيم بين مواهبه ومواهب غيره ، وأن جل خطتها غض النظر عن التباين الفردي وصهر الطلاب فى بوتقة واحدة ليخرجوا على شكل واحد من حيث العمل واستنباط النتائج والتعليل . وهذا عكس الطبيعة التى من شأنها أن يدخل الأطفال المدرسة وهم متباينون فى مواهبهم العقلية والعملية ، ويتخرجون منها وهم أكثر تباينا .

ويمثل أحدهم المدرسة من هذه الناحية بطاحونة توضع فيها أنواع مختلفة من جيد القمح ورديئه ، فتطحن المزيج ، ويخرج منها طحين من نوع واحد ولون واحد . نقول : إن الوراثة الصالحة عند الطفل وديعة بأيدى المربين ، فعليهم أن يتعهدوها ، ويجدوا فى كشف ما انطوت عليه من ميول ويوجهوها فيما يفيد الناس ، ففى صلاحها صلاح الأمم وفى رقيها رقى الشعوب .

إن التبعة الملقاة على المدرس عظيمة جدا ، لأننا نعلم أن من واجبات المدرس الأساسية أن يفهم طلابه فردا فردا وأن يعالجهم كما يعالج الطبيب مرضاه . ولا نغالى إذا قلنا إن واجب المدرس أكثر صعوبة من واجب الطبيب ، لأن المدرس يعالج الأرواح ويعالج العقول .

تشجيع بشائر العبقريات

من هنا تنبع أهمية بعض المبادىء التربوية كالتشجيع التلقائى للطفل ، واحترام إثارة الأسئلة والأفكار بدلا من الرفض أو الصد أو التهرب . ويأخذ التشجيع أشكالا مختلفة منها التشجيع المعنوى والتشجيع المادى . ومن مظاهر التشجيع المعنوى : التأييد اللفظى ، والتقبل ، والحماس للفكرة والاضافة اليها ، أما التشجيع المادى فيتضمن المكافآت والهدايا المختلفة . وتبين البحوث أن التدعيم المعنوي ذو فعالية أقوى من التدعيم المادى فى إثارة بعض الدوافع التى ترتبط بالابداع . فالثواب واظهار الاهتمام وكلمة مديح عندما يتصرف الطفل بطريقة مرغوبة تعتبر حافزا قويا للتفكير المستقل والتميز .

ولعل من أكثر الأخطاء التى يرتكبها الآباء هي تعمدهم واقتصارهم على إدراك أوجه القصور أو الضعف فى أفكار الأبناء ، فيعمدون إلى النقد والسخرية متناسين أنه ما من عمل من الأعمال أو فكرة من الأفكار تخلو فى بدايتها من نقطة ضعف أو جانب من جوانب القصور . والنقد الحاد الذي قد يوجه لنشاط الأطفال قد يجعل الطفل يتخلى عن أوجه الصواب ومواضع القوة متوقفا عن الاجتهاد وممارسة النشاط ربما كلية ، ولهذا يجب أن يكون موضع حب وتقدير وثقة من الموهوب حتى يؤمن بكل ما يقدم له من توجيه .

ومن الخطأ أيضا أن نتصور بأن المبدع والموهوب انسان لا يحتاج للتوجيه والارشاد لكى ينمى مواهبه ويطورها .. ومن الخطأ أن نتصور بأن الموهبة وحدها تقود الموهوب إلى أهدافها . وأن المبدع قادر أن يختار بنفسه المصادر التى ستساعده على التعبير عن إبداعه مسترشدا بقوة الموهبة الطبيعية .

تشجيع الأطفال على الابداع والابتكار

موهبة الابداع والخلق والابتكار عند الأطفال يجب أن تلقى تشجيعا عند الوالدين والمربين ، بجانب إعداد الجو المناسب لإظهار مواهبهم وتنميتها وإبراز ما عندهم من مهارات يدوية وعقلية باتباع ما يأتى :

أولا : إظهار اهتمامنا بهوايات وابتكارات أطفالنا ومداومة تشجيعهم .

ثانيا : فى عيد ميلاده وفى أعياد الطفولة وعند كل نشاط بيديه نحرص على تقديم هدية ترتبط بهواياته ومشروعاته الصغيرة ، وهذه الهدايا لا تكلف شيئا مقابل تنمية مواهبه واشعاره بالحب والتقدير لأفكاره وهواياته .

ثالثا : احرص على الاجابة على أسئلته وربطه بالخبراء والعلماء من أقاربك وأصحابك للإجابة على أسئلته إذا كانت أسئلته خارجة عن حدود ثقافتك .

رابعا : احترم آراء ولدك الصغير ، وعامله على أنه شخصية لها حقوقها الخاصة ، واحذر من خلق اليأس عنده والسخرية بأفكاره .

خامسا : شجع غريزة الابداع من غير ضغط على ميوله ، فإذا وجدت أنه يميل إلى الموسيقى أو أى نوع من الفنون شجعه على ممارستها ، ولا تجبره على القيام بأعمال لا يهواها .

سادسا : شجع أطفالك على أن يناقشوك حتى تشعرهم بالاحترام والثقة بأنفسهم .

سابعا : على المربى أو المدرس ألا يهزأ بأفكار تلاميذه .. بل يستمع إليهم باحترام ويشجع هواياتهم وميولهم العلمية والفنية .

ثامنا : على مدرسي الطفل أو التلميذ أن يسجلوا تقريرا فى نهاية العام عن حالته ومواهبه البارزة ، وأن يجتمع هؤلاء المدرسون بكتابة تقريرهم النهائى . وعندما يجمع المدرسون على هذه المواهب توضع فى ملف التلميذ أو الطفل .. مع إبلاغ آباء الأطفال بملاحظاتهم .. والخير أن يجتمع فى آخر العام أولياء الأمور مع مدرسي الأطفال الموهوبين للتعاون فى تشجيع هذه المواهب والبشائر .

عز الدين فراج



نسخة نادرة من القرآن الكريم

استطاعت مجلة «الدوحة» الحصول على الصورتين الوحيدتين من نسخة القرآن الكريم المعروفة باسم «نسخة قوصون» وهى نسخة فريدة من نوعها ، وقد وصلت الى احدى الدول العربية ، ورفض مشتريها الاعلان عن اسمه وجنسيته والمبلغ الذى دفعه ثمناً لهذه النسخة النادرة من القرآن الكريم

و«نسخة قوصون» تنسب الى الأمير سيف الدين قوصون الذى أتى الى القاهرة من منطقة تسمى «البركة» ومعه خوناد ابنة يزبك زوجة الحاكم الناصر محمد بن قلاوون . وكان هذا يوم ٢٣ من ربيع الآخر عام ٧٣٠ هـ . وقد خطط ليأخذ السلطة لنفسه بعد أن انضم الى قوات المماليك السلطانية . وجعله السلطان أميراً على عشرة أفراد ، ثم على مائة ، ثم على ألف . وواصل ترقيته حتى وصل الى أعلى الرتب . وأرسله السلطان الى بلدته . ليستدعى أخوته واخواته وأقارب آخرين ومنحهم جميعا رتبة الامارة . . .

واستطاع «قوصون» فعلا أن يستولى على السلطة من أبي بكر المنصور الذى لم يستمر فيها أكثر من شهرين ، بعزله ونفيه فى مدينة قوص بصعيد مصر . ولكن أحمد بن السلطان المخلوع استطاع أن يجمع عدداً من الأمراء حوله . وفوتوا على قوصون فرصة إلقاء القبض عليهم . ودخلوا فى حرب ضده ، محاصرين القلعة التى كان يقيم فيها . وفعلا نجحوا فى القبض عليه ، وفى الليلة الأخيرة من شهر رجب عام ٧٤٢ هـ قاموا بنهب بيته وبيوت وأملاك أتباعه وأخذه الأمير قبلاى الى الاسكندرية .

هذه لمحة سريعة عن حياة قوصون التى سميت النسخة النادرة من القرآن الكريم . باسمه . وقد عرف بالكرم . حتى أنه كان يذبح ألف شاه وثلاثمائة بقرة فى عيد الأضحى ، وكان يوزع ثلاثين مقياسا من الذهب . وكان يتبرع بأملاك كثيرة كل عام . تقدر قيمة بعضها بثلاثين ألف درهم . وقد ترك قوصون عددا من الأبنية فى مصر من بينها معهد دينى . بخلاف مسجده المعروف باسمه والموجود خلف باب زويلة فى القاهرة ، والذى شرع قوصون فى بنائه عام ٧٣٠ هـ .

نسخة مملوكية

وهذه النسخة من القرآن الكريم كما يقول عنها ديفيد جيمس أمين المتحف الاسلامى بدبلن «مملوكية» وتاريخها يرجع في الغالب إلى القاهرة (٧٢٩ هـ) . وقد طمس التاريخ عليها وأعيدت كتابته . ولكن هذا التاريخ صحيح من وجهة نظر أمين المتحف . فقد رأى عددا من النسخ المماثلة



على هاتين الصفحتين نرى الصورتين الوحيدتين من نسخة القرآن الكريم « نسخة قوصون » وقد استطعنا الحصول عليهما.

للقرآن الكريم ترجع الى فترة ١٣٣٠ م . أما اسم الخطاط على النسخة فقد أصابه التلف ، لكن يظهر أن اسمه الأخير هو « المندومي » وهو غير معلوم تماما . لكن من النادر العثور على أكثر من نسخة من القرآن المملوكي بخط شخص واحد . لذا فاحتمال اشتراك أكثر من خطاط في كتابة هذه النسخة النادرة وارد وقائم . وعلى كل حال فالخط من نوع جيد . أما الزخرفة والنقوش فلها صلة بزخارف ونقوش مخطوطات عديدة ..

ويرى أمين المتحف الاسلامي بدبلن أن هذا المخطوط أكثر قيمة من مخطوط آخر هو نسخة القرآن الكريم المسماة قرآن « قايتباي » ، والتي بيعت مؤخرا بمبلغ ضخم ، وهي موجودة في مسجد ريجنت بارك بلندن . إن هذه النسخة النادرة ، نسخة قوصون ، مرتبطة بسلطان وكاتبها مذكور في « مفاكهات الخلان » لابن طولون ، مما زاد من قيمتها ، وبرغم أنها تحتاج الى بعض الترميمات البسيطة جدا إلا إنها تعد مخطوطة هامة من نوعية جيدة حيث أنها مؤرخة وموقعة .. .

تقييم آخر

واذا كان هذا التقييم للنسخة يعطيها أهمية خاصة ، فان هناك تقييما آخر لها ، صادراً من مانيويل كين زميل ومدير متاحف زائر بدار الآثار الاسلامية . بمتحف الكويت الوطني . إنه يرى أن مثل هذه النسخ الضخمة والفخمة نادرة جدا خارج المكتبة القومية في القاهرة . ويضيف انه لم ير سوى نسختين فقط من هذه النوعية طوال عمله في هذا المجال . ويقول أيضا إن هذه النسخة من القرآن الكريم تحتوى على نص يفيد بأنها وقف لجامع قوصون والذى لايزال جزء منه قائما في شارع محمد على بالقاهرة . أما التعبير المستخدم في هذا النص وهو « وقف جامع قوصون بالشارع » فيوضح تماما أن جامع قوصون هو المقصود ، فاستخدام كلمة « بالشارع » تميزه عن الجوامع الكثيرة الأخرى ضمن انشاءاته العديدة (مازالت معظم هذه الانشاءات قائمة ومدرجة ضمن سجل آثار القاهرة) .

كما يبدو أن الهدف من هذا التمييز هو التفرقة بين الجامع وبين الخانكة الموجودة في مقابر القاهرة الجنوبية والتي كان من الأرجح تمييزها بتعبير مثل (الصحراء) أو بالقرافة ، أما معلومة أن قوصون كان أعظم أمراء هذه الفترة وانه كان زوج ابنة السلطان محمد بن قلاوون ، وهى المعلومة التي وردت على النسخة ، فهي عادية ومعروفة .

ولكن يبقى مع ذلك أن هذه النسخة من القرآن الكريم نادرة كما يبدو من الصور التى استطعنا الحصول عليها ، وهى تعد من النسخ التي يجب المحافظة عليها ، والاهتمام بها ، لأنها تحمل بين دفتيها كلام الله ، إضافة الى الشكل المميز ، والخط الذى يشهد ببراعة الخطاطين ، والزخارف الاسلامية الفريدة .

مجدى نصيف

التعرض لدخان السجائر لا يقل ضرره بأى حال من الأحوال عن الممارسة الفعلية للتدخين... ترى كم سيجارة يدخنها طفلك الرضيع الذي ينام معك في حجرتك ؟

لماذا تدخن ؟

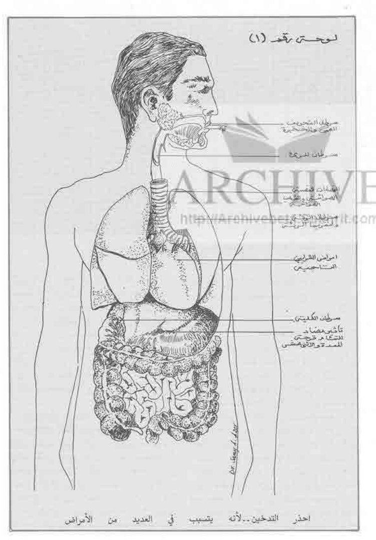
وأي نوع من المدخنين أنت ؟

هل لك رغبة قوية في ترك التدخين ؟

كمْ سيجارة يدخِّنها طفلكِ يوميًّا ؟!

بقلم: الدكتور سامي عزيز

● أكثر من ٤٠٠٠ مادة كيميائية تمّ عزلها مؤخّرًا من دخان السجاير!



احذر التدخين.. لأنه يتسبب في العديد من الأمراض

● التدخين مسئول عن ٣٠٪ من حالات تصلب الشرايين و ٧٠٪ من حالات التهاب الشعب الرئوية و ٨٠٪ من حالات أمفزيما الرئة

توجد علاقة وثيقة بين التدخين والعديد من الأمراض . ويكفي أن تعرف أن أكثر من ٤٠٠٠ مادة كيميائية تم عزلها مؤخرا من دخان السجائر للتأكيد على الآثار البيولوجية الضارة التى تنتج عن التدخين . ودخان السجائر ما هو إلا خليط دخاني متغاير الخواص ينتج عن الاحتراق غير التام لورقة التبغ . ويتكون أساسا من أبخرة وغازات (مثل أول أوكسيد الكربون ، وغاز الهيدروسيانيد ، والأكرولين ، والاستالدهيد ، والأمونيا) . وتنتشر في هذه الغازات والأبخرة العديد من المواد الكيميائية كالقطران وبعض المواد الأروماتية والهيدروكربونية والنيكوتين والفينول والكريسول .

ويمكن تقسيم دخان السجائر إلى تيار أساسي يخرج من الطرف الفمي للسيجارة أثناء نفث الدخان ، وتيار جانبي يخرج من طرفها الخارجي (القلب المحترق) في الفترات التي تعقب نفث الدخان . وتتأثر مكونات الدخان بالعديد من العوامل مثل : نوع التبغ ، درجة حرارة الاحتراق ، طول السيجارة ، نوع المرشح الطرفي ، وجود مواد أخرى مضافة للسيجارة ، نوع الورق الداخل في صنع السيجارة . أما أهم مكونات ورقة التبغ فهي : مواد كربوهيدراتية ، أحماض عضوية غير دهنية ، مركبات يدخل في تكوينها عنصر النيتروجين وبعض الراتنجات . وتختلف درجة حرارة السيجارة من ٣٠ درجة مئوية عند الطرف الفمي إلى ٩٠٠ درجة مئوية عند القلب المحترق (الطرف الخارجي للسيجارة) . ومع الارتفاع الشديد لدرجة الحرارة تتحلل بعض مكونات التبغ إلى مواد طيارة تنتشر ذراتها في الأبخرة ، كما أن جزيئات المركبات غير الثابتة تعود مرة أخرى للاتحاد بغيرها ، مكونة بذلك العديد من المركبات الجديدة ويلاحظ أن بعض المواد الداخلة في تكوين التبغ تخرج كما هي بدون تغير وتنتشر في دخان السجائر .

وينتج عن السيجارة الواحدة ما يقرب من ٥٠٠ ملليجرام دخان (٩٢٪ غازات و ٨٪ جزيئات غير غازية) ، ويكون النيتروجين والأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون ٨٥٪ من وزن الدخان المتصاعد . أما الغازات والأبخرة والجزيئات غير الغازية المتبقية فتمثل الجانب ذا الأهمية الطبية (جدول رقم ١) .

وتجدر الإشارة إلى أن المدخن الذي يستهلك ٢٠ سيجارة يوميا يكون في نهاية العام قد تعرض ٥٠،٠٠٠ مرة إلى نفث دخان السجائر في جهازه التنفسي معرضا بذلك أغشية الفم والأنف والبلعوم والقصبة الهوائية وشعبها إلى الغازات والأبخرة والمواد الكيميائية التى تنتج عن احتراق التبغ غير التام وبعض هذه المكونات يحدث تغيرات مباشرة في هذه الأغشية والبعض الآخر يمتص في تيار الدم أو يذوب في لعاب المدخن .

الأرقام تؤكد

ترتفع نسبة الوفيات بين الرجال المدخنين ــ في معظم الدول المتقدمة ــ بمعدل ٣٠ إلى ٨٠٪ بالمقارنة إلى غير المدخنين . وبالنسبة للسن وجد أن معدلات الوفيات ترتفع بين المدخنين في سن ٤٥ إلى ٥٤ سنة . وتعتبر أمراض الشرايين التاجية من أهم العوامل لارتفاع معدلات الوفيات بين المدخنين ، كما وجد أن الأمراض الرئوية المزمنة التى تنتج عن التدخين تؤثر على قدرات العامل الانتاجية ، إذ ارتفعت نسبة انقطاع العامل المدخن عن عمله ٤٥٪ بالمقارنة إلى زميله غير المدخن . وفي دراسة أجريت مؤخرا في انجلترا على الأطباء أنفسهم وجد أن ٤٠٪ من المدخنين بمعدل ٢٥ سيجارة يوميا ، ماتوا قبل سن ٦٥ سنة بالمقارنة إلى ١٥٪ فقط بين غير المدخنين .

وبالنسبة للسيدات تشير تقارير المركز القومي لأبحاث السرطان بالولايات المتحدة الأمريكية إلى ارتفاع معدلات التدخين بين السيدات الأمريكيات بالمقارنة إلى نسبتها سنة ١٩٥٥ (جدول رقم ٢) ، كما تقدر وفيات الأطفال المولودين قبل تسعة أشهر (الطفل الخديج) في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بحوالي ٣٢٥،٠٠٠ سنويا بسبب التدخين .

احذر التدخين ... لماذا ؟

بلغت وفيات سرطان الرئة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو ١٠٥،٠٠٠ حالة سنة ١٩٨١ . وتشير التقارير الطبية إلى أن التدخين مسئول عن ٨٠٪ من هذه الحالات . أيضا ثبت حديثا أن التدخين مسئول عن ٣٠٪ من حالات تصلب الشرايين ، و٧٠٪ من حالات التهاب الشعب الرئوية ، ٨٠٪ من حالات الامفزيما (الانتفاخ الرئوي) (لوحة رقم ١) .

أمراض الشرايين التاجية

غالبا ما يؤدي التدخين إلى القصور المبكر للشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب . والدليل على ذلك أن ٥٤٠ و٦٤٨ ماتوا سنة ١٩٧٥ في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بسبب قصور الشرايين التاجية ، واتضح أن التدخين مسئول عن ٣٥٪ من هذه الحالات .

وتشير الدراسات إلى أن التدخين يزيد من احتمالات الاصابة بقصور الشرايين التاجية ويتضاعف هذا الاحتمال في المدخنين المصابين بارتفاع ضغط الدم ، وزيادة نسبة الكوليسترول في الدم ، ومرض السكر (لوحة رقم ٢) .

كماثبت وجود علاقة بين معدل وفيات أمراض الشرايين التاجية ومتوسط عدد السجائر التي اعتاد المدخن على استهلاكها يومياً ، وغالبا ما تظهر هذه الوفيات في صورة موت مفاجيء بدون أي انذارات . (لوحة رقم ٣) .

التدخين والسرطان

تشير الأبحاث الطبية إلى وجود علاقة وثيقة بين التدخين وسرطان الرئة ، وسرطان التجويف الفمي والحنجرة ، وسرطان المرىء . كما أن تناول المشروبات الكحولية إلى جانب التدخين يضاعف من هذا الخطر . واثبتت الدراسات والأبحاث العلمية مؤخرا ارتباط التدخين بالعديد من السرطانات الأخرى كسرطان المثانة البولية ، وسرطان الكلية ، وسرطان البنكرياس .

ويهمنا أن نؤكد على خطورة التعرض لدخان السجائر أو التواجد في مكان مغلق مع المدخن بدون ممارسة فعلية للتدخين .. هذه الخطورة ثبت علميا أنها لا تقل عن ممارسة التدخين فعليا . من هنا يتضح مدى الضرر الذى يسببه المدخن لأسرته وأصدقائه والمقربين إليه ، إلى جانب ضرر نفسه . ويرتبط حدوث سرطان الرئة بكمية الدخان التي يتعرض لها الفرد ، فالشخص الذي يدخن ٢٠ سيجارة يوميا ترجع إصابته بسرطان الرئة ١٠ مرات بالمقارنة إلى غير المدخن . أما تدخين ٤٠ سيجارة يوميا فيزيد



احتمالات الإصابة إلى ٢٥ مرة بالمقارنة إلى غير المدخنين ، كما أن التعرض للأسبستوس أو اليورانيوم بالإضافة إلى التدخين يزيد احتمالات الإصابة إلى ٤٠ مرة . وتؤكد التقارير إلى ارتفاع معدلات التدخين بين السيدات الأمريكيات بالمقارنة إلى نسبتها سنة ١٩٥٥ كما أن وفيات سرطان الرئة ارتفعت معدلاتها بين السيدات بالمقارنة إلى نسبة حدوثها في الرجال . ويتوقع العلماء مع مجيء سنة ١٩٨٦ أن يصبح سرطان الرئة السبب الرئيسي لوفيات السرطان بين السيدات الأمريكيات . ولما كانت معدلات الحياة لخمس سنوات بعد الإصابة بسرطان الرئة ، أقل من ١٠ في المائة .. من هنا كانت حتمية نشر برامج الوقاية . فالتوقف عن التدخين يصاحبه انخفاض تدريجي في معدلات الإصابة بسرطان الرئة ، وبعد ١٥ سنة تصبح احتمالات الإصابة بسرطان الرئة متساوية مع غير المدخنين .

الجهاز التنفسي والتدخين

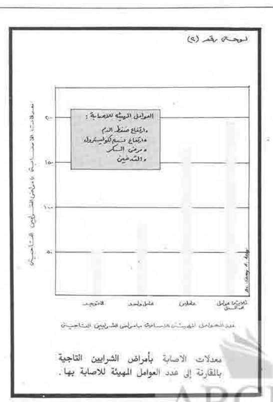
يعتبر التدخين المسئول الأول عن معظم الأمراض الرئوية المزمنة المصحوبة بضيق التنفس مثل الالتهابات الشعبية المزمنة وامفزيما الرئة فمن بين ٥٠,٠٠٠ حالة وفاة سجلت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٣ بسبب الأمراض الرئوية المزمنة ، وجد أن ٧٠ ٪ منها ترجع إلى التدخين . كما يصاحب التدخين ارتفاع معدلات الإصابة بالتهابات الجهاز التنفسي المختلفة وأهمها التهابات الحلق والفم المزمنة والتهابات الشعب الهوائية والالتهابات الرئوية .

أقراص منع الحمل والتدخين

أما بالنسبة للسيدات اللاتي اعتدن تناول حبوب منع الحمل ، فإنه ثبت ارتفاع معدل الإصابة بأمراض الشرايين التاجية بينهن عند تدخين نحو ١٥ سيجارة يوميا .. وهذا التأثير الضار الناجم عن التدخين وأقراص منع الحمل المحتوية على هرمون الاستروجين يبدو واضحا في السيدات اللاتي استخدمن الحبوب لفترات طويلة وخاصة بعد سن ٣٥ سنة . كما ثبت أيضا أن التدخين مسئول عن ارتفاع معدلات الإصابة بجلط الأوردة ومضاعفاتها في السيدات اللاتي اعتدن تناول أقراص منع الحمل المحتوية على هرمون الاستروجين . (جدول رقم ٣) .

الحمل والتدخين

تشير الدراسات إلى أن المواليد الجدد لأمهات اعتدن على التدخين أثناء الحمل غالبا ما يكونون أقل وزنا بحوالي ١٧٠ جراماً عن المعدلات الطبيعية . كما أن التدخين أثناء الحمل مسئول عن بعض المشاكل كالإجهاض التلقائي ، وموت الجنين داخل الرحم ، وفيات المواليد الجدد .. ويزيد خطر هذه المشاكل عند توافر العوامل الأخرى المهيئة لحدوثها بالإضافة إلى التدخين ، وقد وجد حديثا أن التدخين أثناء الحمل يؤثر بطريقة ضارة على النمو الجسماني والعقلي لهؤلاء الأطفال فيما بعد .



معدلات الاصابة بأمراض الشرايين التاجية بالمقارنة إلى عدد العوامل المهيئة للاصابة بها .

التدخين والجهاز الهضمي

ترتبط قرحة المعدة والاثني عشر بالتدخين ، كما أن مضاعفات القرحة ترفع من معدلات الوفيات بين الذكور المدخنين عن غير المدخنين . وللتدخين تأثير مضاد لالتئام القرحة كما أنه يثبط من إفراز غدة البنكرياس ذات التأثير القلوي ويقلل من فعالية الصمام الفسيولوجي الموجود بين نهاية المريء والمعدة مما يتسبب في ارتجاع العصارة المعدية الحامضية إلى المريء .

مشاعرك نحو التدخين

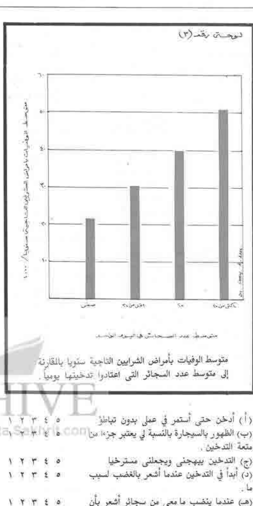
لماذا تدخن وأي نوع من المدخنين أنت ؟

الاختبار التالي ابتكرته ، الجمعية الاسكتلندية للصحة والتعليم ، وسوف يساعدك كثيرا في الإجابة على هذه الأسئلة .

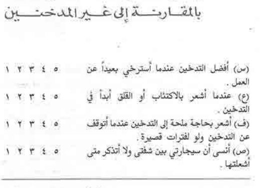
يتكون الاختبار من عبارات مختلفة ، وعلى المدخن أن يختار منها ما يجده يعبر عن مشاعره نحو التدخين . ولكي تقوم باختبار نفسك ، فقط ارسم دائرة حول الرقم الذي يقابل كل عبارة والذي في نفس الوقت يعبر عن مشاعرك نحو التدخين :

الرقم (٥) يعني دائما .
الرقم (٤) يعني كثيرا .
الرقم (٣) يعني أحيانا .
الرقم (٢) يعني نادرا .
الرقم (١) يعني أبدا .

والآن تذكر أن كل الأسئلة إجبارية ، ولا مجال للاختيار .



متوسط الوفيات بأمراض الشرايين التاجية سنويا بالمقارنة إلى متوسط عدد السجائر التى اعتادوا تدخينها يومياً.



(أ) أدخن حتى أستمر في عملي بدون تباطؤ. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ب) الظهور بالسيجارة بالنسبة لي يعتبر جزءاً من متعة التدخين. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ج) التدخين يبهجنى ويجعلنى مسترخيا ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(د) أبدأ في التدخين عندما أشعر بالغضب لسبب ما. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(هـ) عندما ينضب ما معي من سجائر أشعر بأن الحياة لا تطاق وينتهي شعوري هذا عندما أبدأ في التدخين. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(و) أدخن بطريقة تلقائية وبدون أى تفكير. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ز) أدخن حتى أنبه نفسي وأشعر بالبهجة. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ح) تعتبر عملية اشعال السيجارة بالنسبة لي جزءا من متعة التدخين. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ط) التدخين عندي متعة. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ي) عندما أشعر بعدم الارتياح أو الضجر لسبب ما، أشعل سيجارتي. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ك) أشعر أن الوقت يمر بصعوبة عندما أتوقف عن التدخين. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ل) أشعل سيجارة جديدة دون أن أدرك أن سيجارتي الأولى مازالت مشتعلة في المرمدة. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(م) أدخن السجائر حتى أبدو من طبقة راقية. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ن) النظر إلى الدخان المتصاعد يعتبر جزءاً من متعة التدخين عندي. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(س) أفضل التدخين عندما أسترخي بعيداً عن العمل. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ع) عندما أشعر بالاكتئاب أو القلق أبدأ في التدخين. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ف) أشعر بحاجة ملحة إلى التدخين عندما أتوقف عن التدخين ولو لفترات قصيرة. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ص) أنسى أن سيجارتي بين شفتي ولا أتذكر متى أشعلتها. ٥ ٤ ٣ ٢ ١

كيف تحسب رصيدك ؟

إبدأ أولا في كتابة الأرقام التى اخترتها في الأماكن المناسبة الخالية التي تعلو كل حرف (رقم السؤال)، ثم أجمع رصيدك في كل صنف. مثلا رصيدك في الصف الأول الذى يشتمل على الحروف (أ)، (ز)، (م) يعني: «التدخين بالنسبة لك منبه أو مثير لأجهزة جسمك». ورصيدك في الصف الثاني (ب)، (ح)، (ن) يعني: «أنت تدخن بغرض الظهور بالسيجارة في يدك أمام الناس» وهكذا.

والآن أى رصيد يصل إلى ١١ أو أكثر = رصيد مرتفع

وأى رصيد يصل إلى ٧ أو أقل = رصيد منخفض

___ (أ) + ___ (ز) + ___ (م)	= التدخين بالنسبة لك منبه أو مثير لأجهزة جسمك.
___ (ب) + ___ (ح) + ___ (ن)	= أنت تدخن بغرض الظهور بالسيجارة فى يدك أمام الناس.
___ (ج) + ___ (ط) + ___ (س)	= التدخين متعة واسترخاء
___ (د) + ___ (ي) + ___ (ع)	= التدخين يحد من قلقك
___ (هـ) + ___ (ك) + ___ (ف)	= أنت مدمن تدخين (حالتك خطرة)
___ (و) + ___ (ل) + ___ (ص)	= التدخين بالنسبة لك عادة.

من هنا يتضح أن هذا الاختبار يهدف إلى تقييمك كمدخن على أساس أن هناك ستة أسباب أو عوامل تجعلنا ندخن. وتستطيع في النهاية أن تعرف لماذا أنت تدخن؟ وماذا يعني التدخين بالنسبة لك؟ وربما تجد نفسك تدخن لأكثر من سبب.

ويلاحظ أن الأسباب الثلاثة الأولى تمثل انفعالات إيجابية يشعر بها المدخن.

فالسبب الأول: التدخين منبه ومثير للجسم.

كم سيجارة يدخنها طفلك يوميا ؟!

والسبب الثاني : التدخين بغرض الظهور بالسيجارة أمام الناس .
والسبب الثالث : التدخين بغرض الشعور بالمتعة والاسترخاء .

أما السبب الرابع : فيمثل انفعالا سلبياً كالتخلص من القلق وهموم الحياة . ويمثل السبب الخامس أخطرها ، إذ أن التدخين هنا وصل إلى درجة الادمان ولا يمكن ببساطة التوقف عنه . وأخر الاسباب : التدخين كعادة تلقائية نقبل عليها بدون سبب . ويلاحظ أن أي رصيد يصل إلى ١١ أو أكثر يؤكد أهمية التدخين بالنسبة لك لهذا السبب .. وكلما ارتفع رصيدك كلما تأكدت أهمية هذا السبب في استمرارك في التدخين .

ولمواجهة التدخين أمامك طريقان .. إما أن تعود نفسك على الحياة بدون تدخين ، أو أن تجد حلا يعطيك نفس المتعة التي تجدها في التدخين .. وفي السطور القادمة ستجد العديد من الحلول التي يمكن أن تجربها بنفسك للتخلص من التدخين وبالطبع كل طريقة ترتبط برصيدك الذى خرجت به من الامتحان السابق ، واكتشافك للسبب المباشر في استمرارك كمدخن . ويمكنك بعد ذلك أن تختار الحلول التى تناسبك وتضيف إليها خبرتك ومحاولاتك الشخصية في العلاج .

جدول رقم (١)

بعض مكونات دخان السجائر :

المـــادة	تـــأثيـــرهـا
(أ) مواد غير غازية :	
• القطران	تأثير سرطاني
• مواد أروماتية هيدروكربونية	تأثير سرطاني
• نيكوتين	تأثير منشط ومثبط للمشتبكات العصبية .
• فينول	تأثير سرطاني
• كريسول	تأثير سرطاني .
• بيتا نفثيل أمين	تأثير سرطاني .
• بنزوبيرين	تأثير سرطاني .
• بعض العناصر النادرة كالنيكل والبولونيوم ٢١٠	تأثير سرطاني .
• اندول	تأثير معجل بالنمو السرطاني .
• كربازول	تأثير معجل بالنمو السرطاني .
(ب) مواد غازية :	
• أول أكسيد الكربون	يؤثر على نقل الدم للأوكسجين وانتفاع أنسجة الجسم به .
• حامض الهيدروسيانيك	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• استالدهيد	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• أكرولين	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• أمونيا وفورمالدهيد	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• اكاسيد النيتروجين	تأثير مهيج للاغشية المخاطية .
• نيتروز أمين	تأثير سرطاني .
• هيدرازين	تأثير سرطاني .

طريقك للتخلص من التدخين

(١) التدخين منبه لأجهزة جسمك :

ارتفاع رصيدك في هذا المجال (١١ أو أكثر) يؤكد أن التدخين بالنسبة لك منبه ومثير لأجهزة جسمك وأنك تشعر به يساعدك على الاستمرار نشيطا ، ويزيد من طاقاتك وقدراتك على العمل . لذلك عندما تشعر بحاجتك الشديدة للتدخين لماذا لا تحاول الحلول البديلة الآتية .

١ ــ حاول أن تمشى لفترة .
٢ ــ أو تقوم بعمل بعض التمرينات البسيطة .
٣ ــ أطلب أحد المشروبات المنبهة كالشاي أو القهوة .
٤ ــ خذ نفسا عميقا ببطء شديد ، وعندما تشعر بأن رئتيك ممتلئتان بالهواء ، اسكن لفترة ثم أخرج ما بهما من هواء ببطء شديد وكرر هذه الدورة ببطء شديد خمس إلى ست مرات .

(٢) الظهور بالسيجارة :

إذا حققت رصيداً مرتفعا في هذا المجال (١١ أو أكثر) فاعرف أنك من المغرمين بحمل علب السجائر القيمة ، وتجد لذة في اخراج السجائر واشعالها أمام الناس ، وتأمل الدخان المتصاعد منها وتحريكها بين أصابعك .
والحلول البديلة التى نعرضها عليك :

١ ــ أمسك قلمك وحركه بين أصابعك عند شعورك بالحاجة إلى التدخين .
٢ ــ أو أرسم به ما شئت من خطوط .
٣ ــ اخرج قطعة نقود معدنية وحركها بين أصابعك .
٤ ــ استخدم غليونة التدخين (البيبة) بدلا من السجائر لأنها تناسب احتياجاتك .. فالتدخين بالبيبة يتطلب تنظيفها وحشوها بالتبغ وإعدادها الاعداد الجيد للتدخين ثم الاشعال الذى قد يتطلب بعض المهارة وما إلى آخر ذلك .
٥ ــ ضع سيجارتك بين شفتيك واتركها بدون اشعال .

(٣) التدخين متعة واسترخاء :

ليس من السهل عادة تحديد ما إذا كنت تدخن لتشعر بالمتعة أم لتجنب نفسك الشعور بالضيق وعدم الارتياح . والحقيقة أن ما يقرب من ثلثي المدخنين يحققون رصيدا مرتفعا في هذا المجال . لذلك إذا كنت بالفعل تشعر أن التدخين سبب متعة بالنسبة لك .. لماذا لا تحاول هذه الوسائل البديلة ..

١ ــ تناول بعض الأطعمة بدون إكثار .
٢ ــ أو تناول شراباً مثلجا .
٣ ــ شارك في بعض الأنشطة الاجتماعية .
٤ ــ اعمل على تغيير ما اعتدت عليه يوميا .. مثلا توقف عن التدخين بعد الوجبات أو اقرأ كتابا بدل الجريدة اليومية .. توقف عن مراقبة برامج التليفزيون لفترة وهكذا .

جدول رقم (٢)

نسبة المدخنين بين الذكور والإناث في الولايات المتحدة الأمريكية من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٨٠ (تبلغ سن المدخنين ١٧ سنة فأكثر) .

السنة	ذكور	إناث
١٩٥٥	٥٢,٦	٢٤,٥
١٩٦٥	٥١,١	٣٣,٣
١٩٧٠	٤٣,٥	٣١,١
١٩٧٤	٤٢,٧	٣١,٩
١٩٨٠	٣٦,٧	٢٨,٩

جدول رقم (٣)

معدل الوفيات بين السيدات اللاتي اعتدن استخدام حبوب منع الحمل وتأثير التدخين في ارتفاع هذه المعدلات :

العمر (بالسنين)	معدل الوفيات بين السيدات اللاتي استخدمن حبوب منع الحمل لكل ١٠٠,٠٠٠ سيدة	
	حبوب منع الحمل فقط	بالاضافة إلى تدخين ١٥ سيجارة يوميا
٣٠ ــ ٣٤	٢	١٦
٣٥ ــ ٣٩	٤	٢٣
٤٠ ــ ٤٤	٧	٨٣

٥ ــ دخن سبع أو ثماني سيجارات في نفس الوقت وبسرعة حتى تفقد متعة التدخين .

(٤) التدخين يحد من قلقك :

غالبا ما يلجأ معظم المدخنين إلى الإكثار من التدخين عند الشعور بالضيق والقلق .. وبطبيعة الحال لن يغير التدخين من شيء ، كما أنه طريقة غير صحية لحل المشاكل ، ويمكنك التخلص من هذه العادة السيئة باتباعك الأساليب الآتية :

١ ــ ضع بعض أقراص النعناع عند شعورك بالقلق .
٢ ــ تناول بعض الأطعمة ذات السعرات الحرارية المنخفضة .
٣ ــ مرن نفسك على الهروب من الغضب والاحباط .

(٥) إدمان التدخين :

تحقيق رصيد مرتفع في هذا المجال يؤكد أن اشتياقك المتزايد لتدخين سيجارة جديدة يبدأ مع اطفائك للسيجارة السابقة .. لذلك يتحتم عليك هنا أن تحطم هذه الرغبة المتزايدة نحو التدخين لأن الحلول الوسط هنا لن تفيد في شيء .. وتجدر الإشارة إلى أن أحد الأطباء النفسيين الأمريكيين كان يعاني من أدمان التدخين لعدة سنوات ، ويحكي في كتاب له نشر مؤخرا عن كيفية مواجهته لمشكلة التدخين من واقع تجربته الذاتية .. يقول الطبيب المؤلف :

٭ كيف تحطم الرغبة المتزايدة نحو التدخين .. وماهي الوسائل البديلة للتخلص من هذه العادة السيئة ؟

لقد مكثت في دار السينما ثلاثة أيام متواصلة أشاهد ما تعرضه من أفلام في حفلاتها المختلفة بدون تدخين سيجارة واحدة .. لأن التدخين ممنوع أثناء العرض .. واستطعت بعد ذلك أن أتوقف تماما عن التدخين .

ومدمنو التدخين عادة يجدون صعوبة ومرارة في التوقف عن التدخين ولو للحظات . ولكنهم لو تمكنوا من التوقف لعدة أيام نادرا ما يعودون مرة أخرى للتدخين .. لذلك ننصحك إذا ما كنت مدمنا أن تتبع أحد الوسائل الآتية :

١ ــ حاول أن تنمي في نفسك الشعور ببغض التدخين ومقته كأن تقرأ كتابا عن أضراره أو تشاهد فيلما في ذلك .
٢ ــ استخدم نوعا آخر من السجائر التي لا تفضلها .
٣ ــ اعزل نفسك بدون سجائر لمدة يوم أو يومين .

(٦) التدخين بالنسبة لك عادة :

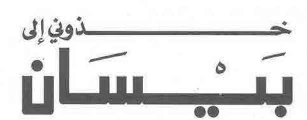
التدخين هنا مجرد عادة لا تتبعها أى متعة ، فالمدخن مثلا يشعل سجائر كثيرة بدون أى ادراك لما يفعل ، والتوقف عن التدخين في هذه الحالة يحتاج إلى كسر هذه العادة أو استخدام بديل عنها ويمكن اتباع الوسائل الآتية :

١ ــ عندما تشعل سيجارة جديدة حاول أن تسأل نفسك : « هل أنا حقا في حاجة إلى هذه السيجارة ؟ » .
٢ ــ حاول أن تضع علبة سجائرك في جيب آخر ، أو تفرغ ما بها من سجائر وتكتفي بسيجارة أو اثنتين .
٣ ــ إذا ما كنت معتادا على تناول القهوة مثلا مع السيجارة .. استبدل القهوة بأي مشروب آخر .
٤ ــ لا تحمل معك عيدان ثقاب أو ولاعة .
٥ ــ حاول أن تضع في ذهنك دائما هذه العبارة : « التدخين يدمر صحتي ويتسبب في موتي » .

الاقتراحات السابقة قد تفيد كل من يرغب بعزيمة قوية التوقف عن التدخين .. أما إذا كنت تفكر في التخلص من التدخين بطريقة تدريجية فيمكنك اتباع الوسائل الآتية :

١ ــ لا تكمل تدخين السيجارة حتى نهايتها .
٢ ــ لا تستنشق الدخان بعمق .
٣ ــ استخدم السجائر التي تحتوى على أقل نسبة من القطران والنيكوتين .
٤ ــ تذكر يوميا أهمية تأجيل إشعال أول سيجارة لأطول فترة ممكنة .
٥ ــ إبدأ في استخدام ماركات أخرى من السجائر التي لا تعجبك . أما إذا فشلت معك كل الوسائل السابق طرحها فلا تيأس .. حاول مرة أخرى واستمر في محاولاتك ، فلابد أنك ستنجح في انقاذ نفسك من دخان السجائر القاتل طالما تسعى لحياة أفضل لك وللآخرين .

سامي عزيز



خـذوني إلى بَيْسَان

بقلم : يوسف الخطيب



تتجمع بعض مياه الأمطار ، والأودية والسيول الصغيرة ، من شعاب جبل « الدحي » المطل على « مرج ابن عامر » من شماله الشرقي ، لكي تشكل نهر « جالود » الصغير هذا ، شاقاً طريقه من شمالي قرية « زرعين » ، فمخترقاً سهل بيسان ذاتها ، جاعلاً جسد المدينة المأهول عن يمينه ، « وتل الحصن » الأثري المطل عليها عن يساره ، لينتهي أخيراً بانصبابه في مجرى نهر الأردن في قلع الغور ، دون أن يتعدى طوله الثلاثين كيلومترا في أقصى امتداد له في فصل الشتاء ..

وعلى مقربة من نهير « جالود » هذا ، تقع قرية « عين جالوت » الفلسطينية ذات الخصوصية التاريخية والاستراتيجية المتميزة .. وإذا كنا لا نعلم أياً من تسمية النهر ، أو تسمية القرية ، هي الأصل في الثانية ، فإن ما هو أدعى من ذلك بكثير لأن يقع في عالمنا ، هو أن « عين جالوت » هذه تعلم الزاوية الجنوبية لمثلث صغير جداً ، ومتساوي الأضلاع تقريباً ، كثيراً ما أشرت إليه في بعض كتاباتي الأخرى بـ « مثلث الأمجاد » ، لأن على زواياه الثلاث المتقاربة ترتكز أقدس أقداس التاريخ العسكري العربي ، في ثلاث معارك مفصلية حاسمة غيرت مجرى التاريخ الإنساني الوسيط برمته .. فعلى زاويته الشرقية وقعت معركة « اليرموك » التي طردت الاحتلال البيزنطي من بلاد الشام ، وشقت الطريق أمام الفتوحات العربية الإسلامية ، من شطآن بحر الظلمات في الغرب ، حتى سور الصين العظيم في الشرق .. وعلى زاويته الشمالية دارت رحى معركة « حطين » التي حسمت موجة الطاعون الصليبي عن ربوع المشرق العربي .. ثم أخيراً على زاويته الجنوبية هذه في « عين جالوت » سحق الظاهر بيبرس ـ تحت إمرة السلطان قطز ـ الهجمة التتارية الكاسحة ، واستنقذ دمشق وبلاد الشام كلها من يد هولاكو وجراده الزاحف من الشرق .. ألا وهي المعركة الحاسمة الثالثة التي قد لا يتصور المرء أن رحاها الطاحنة قد دارت على ضفاف هذا النهير الفلسطيني الرائق ، المفعم بالعبير ، وزقزقة العصافير .

كنت في عهد فتوتي في الأربعينات أطبق التعبير الفلسطيني الساخر في قولهم : « كمصطاف أريحا » !! .. فما كانت تجيء عطلة الصيف الدراسية إلا ويستبد بي الحنين إلى الإقامة عند أخي الأكبر « أبي غسان » ، هاهنا في قيظ بيسان .. فكنت أبرح جبل الخليل ، بأعاليه ودواليه ، وخمائله وعنادله ، وأندائه الصيفية ، ونسائمه البحرية التي أشهد أمام الله والناس أن رئتي لم تتنفسا فوق أية أرض ، أو تحت أية سماء ، ما هو أطيب منها ، ولا أعذب ولا أرطب ، شاقاً طريقي على خط شمالي مستقيم عبر بيت لحم ، فالقدس ، فبيرة رام الله ، فنابلس ، فجنين ، فالعفولة ، فمنعطفاً بعد ذلك بانكسار حاد إلى الجنوب الشرقي ، على موازاة هذا النهير ـ الذي يتراءى لي الآن مجرد قطرة دمع كبيرة مسفوحة على خد فلسطين ـ لأنتهي أخيراً إلى قلب أتون بيسان الملتهب صيفاً في وهدة الأردن ..

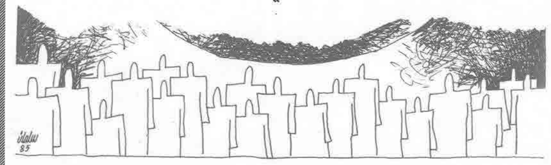
وأما عن مدينة بيسان ذاتها ، فزبدة ما كتبه عنها المقدسي ، والبكري ، والإدريسي ، وياقوت الحموي ، وأبو الفداء ، في مصنفاتهم البلدانية ، هي أنها باختصار بلدة النخيل ، والماء الثقيل ، والحر الوبيل .

ألا أعادنا الله لبيسان ، وأعادها إلينا ..



هَرَمُ النِّيل.. وأُورَاسُ الجزائر

شعر: فتحي سعيد



لستُ عبداً .. لست مغلولَ الفمِ
أنا إنسانٌ ولي روحٌ وعقلْ
وصناعاتٌ وحقلْ
وانتفاضاتُ دمي
لست وحدي بل معي كلُّ البشرْ
لي أرض وسماءٌ وقمرْ
لي قلب ..
فيه للآمال دربْ
ومواويلٌ وحبْ
فيه من أهوى ومن تسكبُ في روحي الضياءْ
لفْتةُ العصفور عيناها .. وعيناها سماءْ
فيهما أبصرُ قلبي طائراً دون جناحْ
يتملّى الكون أفراحاً وأعيادَ كفاحْ
لي أطفالٌ لهم حقُ الحياه
وابتساماتُ الشفاه
أنا إنسانٌ وحرْ
أنا عند الخير خيرْ
ولقاءُ الشر مُرّْ
أنا عزمٌ قد تحجّرْ
أنا أكبرْ
من صواريخ الطغاه
أنا أكبرْ
من رصاص البندقيه
أنا صاعدٌ .. أنا صاعدْ
بقلوبٍ وسواعدْ
محرقه .. من ثقه .. صاعقه
ترفع الساعد تُفْني كل قوه
تقذفُ الجلّاد في أعمقِ هُوّه
فاذا خرّ شهيدٌ قامَ آخرْ
وإذا قيل شهيدٌ : فالجزائرْ
نصفُ مليونٍ ومليونُ شهيدْ
من دماهُمْ أوْرقَ الفجرُ الجديدْ
أطْلعَ الليلة عيد
موكباً للمجدِ سائر
أولُ الفاتح تشْرينُ الكواسرْ
عيدُ ميلادِ الميامينِ الجبابرْ

* * *

كلُّنا في الجرح شرقْ
نَبْضُ عرقْ
بيننا ألفُ أواصرْ
هرمُ النيلِ .. وأوراسُ الجزائرْ
علمَ اللهُ بما تطوي السرائرْ
وبما تحوي الضمائرْ
فإذا ما هامَ شاعرْ
يتغنّى بالأماني والبشائرْ
ومشى العيدُ على وقعِ المزاهرْ
هاتفاً : مصرُ الجزائرْ

الحياة والناس والأدب

في رأيه المتواضع



بقلم : عبد الله الشيتي

هو رأى سديد مفيد ، ساقه صاحبه الشاعر الدكتور غازى القصيبي على مدى ٩٢ صفحة من الحجم المتوسط وحمل كتابه الأنيق هذا العنوان المهذب ــإن جاز التعبيرــ (في رأيي المتواضع) ..

وفي ذهني حكمة تقول :

ــ التواضع يرفع رأس الانسان والتكبر يخفضه !

ويشتمل كتاب القصيبي ستا وعشرين مقالة وخاطرة ورؤية فنية ، وتخللتها مقابلتان صحفيتان « شاعريتان » مع .. أبى الطيب المتنبي !

ويسارع المؤلف فيعلن في مقدمته المقتضبة السبب الذي حفزه إلى اختيار (التواضع) عنواناً لكتابه ، وسبيلاً لرأيه ، وهوية لذاته . هو ذا يؤكد :

ــ « عندما اخترت لهذا الكتاب اسم (في رأيي المتواضع) لم أفعل ذلك عبثاً أو حياء كاذباً أو استفزازاً .. بل ان ما أعرضه هنا هو مجرد رأي ، وهو رأي متواضع لأنه رأي شخصي لم يسبقه كثير أو قليل من البحث التطبيقي أو الميداني » .. ويستطرد قائلا : نحو مزيد من نقد الذات أو مواجهتها بحملة من الحقائق الدامغة :

« إننى أقول بملء فمي ، ان كل ما كتبته في هذه المقالات من قبيل الرأي الشخصي لا النظريات الدقيقة ، ولا الأبحاث العلمية وهو رأي يجري عليه ، ما يجري على آراء البشر جميعاً من خطأ وصواب !

« ويزداد تواضعاً فيرجح عنده كفة الخطأ على كفة الصواب ... ولسان حاله : قل كلمتك وامش ..!

بذلك يكون الدكتور الكاتب ــ لا الشاعر هنا ــ قد جنح إلى احترام وعي وإدراك القارئ وأوحى إليه بشكل مباشر أو غير مباشر ، أن يكون حرا طليقاً في أن يتبنى فكرة له أو رأياً ، أو يرفض ! وذلك من حقه .. إنما السؤال المطروح على دكتورنا الشاعر « المعترف » بين يدى قارئه : هل تراه يعود عن الخطأ ..! أم ان الأمر قناعات حتى ولو جاز فيها التأويل ؟ وسبق لهذه المقالات أو الخواطر أن نشرت في مجلة (اليمامة) السعودية تباعاً ، ولم يخل بعضها من طرافة وممازحة وحكايات صغيرة فيها عبرة وفيها متعة وفيها تأملات في الناس والفن والحياة ..

وانظر هذه الحكمة عنده ، « تنسف » مناسف الكرم حين يدلنا المؤلف على ماهية الكرم الحقيقى ، نسبياً وممارسة وفطرة فيقول ص ١٨ :

ــ ان الشخص الذي يتبرع لجمعية خيرية بألف ريال ، أكرم في نظرى بكثير من الشخص الذي يدفع عشرة الآف ريال فاتورة فندق لصديق ثري لا يحتاج هذا المبلغ ! ولا ينسى أن يعقب على ذلك ساخراً : مع الاعتذار لأحفاد حاتم الطائى !

وبين تلافيف الكتاب ، تفاجئك بعض (التعليقات) السياسية الساخرة والساخنة من خلال معاناة الكاتب والقارئ معاً ، مما يدور حوله أو أمامه أو داخل رأسه المثقل بالهم والغم واليأس القتال نتيجة لاستشراء أوضاع كثيرة متهرئة ، نتيجة ما حل في هذه الأمة من تفكك وتشرذم ونفور ..

وثمة ومضات « شاعرية » بمثابة مصابيح صغيرة ، أو نغمات قلب ودفقة وجدان .. فتحت عنوان (تذكرى) يقول القصيبي :

« تذكرى ، أن الجرح عندما يتعب من البكاء يبدأ في الغناء !..

تذكري أن اليأس في سبيل الانسان أعلى مدارج الأمل .. » !

وتذكري ، أخيراً ، أن الجسد عاطفة قديمة ، ولكنها ــ لا تزال ــ عاطفة رخيصة !

« وانها لطريفة لطيفة تلك المقابلة الصحفية المستفيضة التى يسائل الشاعر خلالها أبا الطيب المتنبى على هذا النحو :

« من أنت ياسيدى ؟

ــ أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ..!

« من هو أبوك ؟

ما بقومي شرفت ــ بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي !

وحين يستفسر منه ، عمن يعجبه من الشعراء ــ قدامى ومحدثين ــ يجيب المتنبي أو أننا نتخيله يجيب :

ودع كل صوت غير صوتى فإننى
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى !

ويستنصحه لشبابنا العربى اليوم ويهدر صوت المتنبى من قبل ألف عام يقول :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينةً
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

سلام على المتنبي ، وسلام على الصحفى الشاعر حفيده القصيبي ..

ويقبس القصيبي بدوره ، من حمزه شحاته بعضاً من حكمه وأقواله المعبرة تكريماً وتخليداً وإعزازاً له :

« الجمل حيوان مجتر .. وكذا الشاعر .

« ان أية امرأة واعية تهزأ بأن تضع فيها شعراً .

« دور الشعر انتهى قبل أن يخوض معركة وجوده .

وبعد

فإن « سندويشات » الدكتور القصيبي هي ولاشك بمثابة (وجبات) دسمة مع انها خفيفة .. رشيقة .. و « مهضومة » .

ومن مثل رأيه المتواضع ، نتواضع بدورنا ، ونستزيد ..

فهل من مزيد ، نحن الجياع و .. العطشى !



د . غازى القصيبي

خطة بعيدة المدى

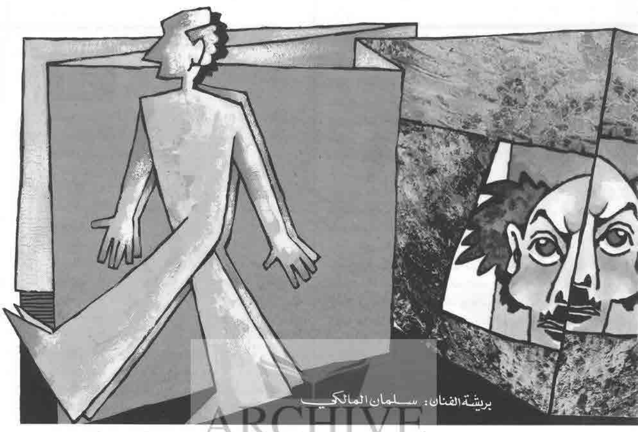


قصة جديدة

بقلم الكاتب الكبير

نجيب محفوظ

بالأمس تحديات الجوع والصعلكة واليوم تحديات الثراء الفاحش . بيت عتيق بنصف مليون ، خلق عصام البقلى من جديد ، خلق من جديد وهو فى السبعين من عمره . تملَّى صورته فى المرآة القديمة . صورة بالية ، تكالب عليها الزمن والجوع والحسرات . الوجه قالب من العظام البارزة والجلد المدبوغ الكريه ، جبهة ضيقة غائرة وعينان ذابلتان ورموش قليلة باقية . أسنان سود بلا ضروس ولغد من التجاعيد . ماذا يبقى من الحياة بعد السبعين ؟ . ولكن بالرغم من كل شئ فللثروة الهابطة سكرة لاتتبخر . أمور لاحصر لها يجب أن تنجز . المليونير عصام البقلى بعد الصعلوك المتسول عصام البقلى . كل من بقى على قيد الحياة من الأصدقاء القدامى هتف « أما سمعتم بما حصل للبقلى ؟ » ، « ماذا حصل للصعلوك ؟ » ، « البيت القديم اشترته شركة من شركات الانفتاح بنصف مليون ! » ، « نصف مليون ! ! » ، « وكتاب الله » . وينتشر الذهول ما بين السكاكينى والقبيسى والعباسية كإعصار . البيت كان يمتد بفنائه الواسع بشارع قشتمر ، ورثه عن أمه ، رحلت منذ عشر سنوات بعد أن حولها العمر إلى حطام ، تعلقت بالحياة بإصرار حتى تهتكت الخيوط فهوت ، لم يحزن عليها ، عودته الحياة على ألا يحزن على شيء . لم يكن للأسرة إلا معاش أمه الصغير والمأوى ، لم يحرز أي نجاح فى المدرسة ، لم يتعلم حرفة ، لم يؤد عملا أبدا ، صعلوك ضائع ، قد يربح قروشا فى النرد مع الغش بفضل تسامح الأصدقاء ، أصدقاء كثيرون جادت بهم المدرسة والجوار على أيام الطفولة والصبا والشباب ، فى روحه خفة كفرت عن سيئات كثيرة وغفرت أخطاء ، دائما يحظى بالعطف لشدة بؤسه وانغلاق مستقبله . الأب كان موظفا بالبريد وأمه ورثت بيت قشتمر بطابقه الواحد الصغير وفنائه الواسع المهمل ، فحق له أن يقول إنه ابن ناس طيبين ولكنه سيئ الحظ . الحقيقة انه كان بليدا تنبلا وقليل الأدب فسرعان ماطرد من المدرسة . عاش حياته تقريبا فى مقهى ايزيس مدينا أو مسددا دينه بالغش وكرم الأصدقاء . فكر صديقه المحامى عثمان القلة أن يلحقه بمكتبه الكائن بميدان الجيش فأبى لأنه كان يكره العمل كره العمى . وفى وحدته عند مايغيب الأصدقاء فى أعمالهم يمضى وقته فى الكسل وأحلام اليقظة . يبتل ريقه بشئ من اليسر فى مواسم الانتخابات والأفراح والمآتم . عاش دهره بفضل خفة روحه وكرم أصدقائه ، واحترف



التهريج ، يغنى ويرقص وينكت ليفوز بأكلة فول أو قطعة بسبوسة أو نفسين حشيش ، وظلت غرائزه مكبوتة جائعة مجنونة . بيت قشتمر لا يعرف من ألوان الطعام إلا الفول والطعمية والباذنجان والعدس والبصارة والنابت ، أما أحلامه فتهيم دائما فى وديان من الولائم الغامضة والجنس المكبوت . وكانت له أساطيره عن غراميات مع أرامل ومطلقات ومتزوجات أيضا فلم يصدقه أحد ولم يكذبه أحد . طبع بصورة المتسول منذ شبابه الأول ببدلته المشتراة من سوق الكانتو وصلعته المبكرة وشحوبه الدائم . لم يصدق أساطيره أحد سوى مغامرة مع خادمة أرملة تكبره بعشر سنوات ، سرعان ما انقلبت إلى شقاق ونزاع عندما تبين له أنها تروم الزواج منه . بل اشترطت أيضا أن يجد لنفسه عملا لأن اليد البطالة نجسة ، ووقع الانفصال من خلال معركة تبودلت فيها الضربات على الوجه والقفا . تلك كانت المغامرة الوحيدة الحقيقية والتى شهدها جاره الأستاذ عثمان القلة فحدث في المقهى قائلا :

ــ فاتكم مشهد ولا السيرك ، امرأة مثل زكيبة الفحم ، فرشت الملاية لعزيزنا البقلي في فناء بيته الكريم ، على مسمع ومرأى من أمه الكريمة المذهولة ، ولم تفض المعركة إلا بطلوع الروح وتدخل أولاد الحلال ، وسرعان ما نشبت معركة جديدة مع أمه ..

عدا تلك التجربة الفاشلة جحظت عيناه من طول التطلع النهم إلى السائرات في الطريق واحترق قلبه كما احترقت معدته من الجوع . ولم يجد إلا أمه ليصب عليها جام غضبه وإحباطه رغم حبها الشديد له . حب عجوز لابنها الوحيد . وكلما حثته على العمل أو الاستقامة سألها متحديا :

ــ متى ترحلين عن هذه الدنيا ؟

فتقول باسمة :

ــ الله يسامحك ، وماذا تفعل إذا انقطع عنك معاشي ؟

ــ أبيع البيت .

ــ لن تجد من يشتريه بأكثر من خمسمائة جنيه تبددها في شهرين ثم تحترف الشحاذة ..

لم يسمعها كلمة طيبة قط ، ونصحه أصدقاؤه بتغيير سياسته معها حتى لا يقتلها هما وكمدا ويعرض نفسه حقا للشحاذة . وذكروه بما قال الله وما قال الرسول ولكن ضياعه اقتلع جذور الإيمان من قلبه المفعم بالجوع والحسرات . والتزم بموقفه الساخر الساخط من الأحداث التي تمر به كالمعارك الحزبية والحرب



العالمية ، بل دعا على الدنيا بالمزيد من الهلاك والفناء ، وتمادى في السخرية والاستهتار . ويئست أمه منه تماما وسلمت أمرها لله ، ويغلبها الأسى أحيانا فتسأله :

ـ لماذا تقابل حبي بالعقوق ؟

فيقول ساخرا :

ـ من أسباب النحس في هذه الدنيا أن يمتد العمر بالبعض أكثر من الضروري !

ومضت تكاليف الحياة في صعود . هل ثمة مزيد من الحرمان ؟ واقترح على أمه أن يسكّن فردا أو أسرة في حجرة نومه على أن ينام هو على الكنبة في حجرتها . فقالت المرأة في حيرة :

ـ نفتح بيتنا للأغراب !

فصاح بها :

ـ خير من الموت جوعا ..

وألقى نظرة على فناء البيت وتمتم :

ـ كأنه ملعب كرة ولكن لا خير فيه !

وجاءه سمسار بطالب ريفي فاستأجر حجرته بجنيه . وتندر الأصدقاء بالواقعة فقالوا إن بيت قشتمر أصبح بنسيونا . وأطلقوا على أمه «مدام البقلي» ولكن لم يكن يعتق نفسه من السخرية أمامهم ويغني :

وأيام تيجي على ابن الأصول يندل

واستهان بالغارات الجوية بخلاف الكثيرين ، لم يستجب لزمارة الانذار أبدا ، ولم يغادر مجلسه بالمقهى ولا عرف طريق المخبأ . لا يهمه هذا ، ما يهمه أن العمر يجري وأنه يشارف الأربعين دون أن يهنأ بلقمة لذيذة أو امرأة جميلة . حتى الثورة لم يهتز لقيامها وقال ساخراً :

ـ يبدو أن هذه الثورة ضدنا نحن أصحاب الأملاك !

وهو لم يقرأ في حياته جريدة ويتلقى معلوماته دون اكتراث في مجالس الأصحاب . ويتقدم به العمر حتى يتجاوز الخمسين ، وطعنت أمه في السن ، وركبها الضعف وأخذت تفقد الاهتمام بالأشياء ، ومرت بها أزمة فتطوع صديق طبيب بفحصها ، وشخص علتها بالقلب ونصح بالراحة والدواء . كانت الراحة مستحيلة والدواء متعذرا ، ومضى يتساءل كيف يتعامل مع الحياة اذا حرم من معاشها . وراحت تقترب من الموت ساعة بعد أخرى حتى استيقظ ذات صباح فوجدها ميتة ! . نظر اليها طويلا قبل أن يغطي وجهها . خيل اليه أنه يتذكر قبسات من ماض بعيد وأنه يتوقف مرغما عن السخرية وأن تلك اللحظة من الصباح كئيبة حزينة . وقصد من توه أغنى أصدقائه السيد نوح تاجر العمارات فتكفل الرجل بتجهيز المرأة ودفنها . وحذره من بيع البيت ان يجد نفسه بعد حين مشردا في الشارع . ترى هل يكفي الغش في النرد وايجار الحجرة ؟! .. أوليس لكرم الأصدقاء حد ؟.. وغامر بتجربة الشحاذة في بعض أطراف المدينة ولم تكن تجربة عقيمة . وتتابعت الأيام فمات زعيم وتولى زعيم وجاء الانفتاح وهو يستقبل عامه السبعين ، عامه السبعين من الضياع واليأس . تمادى الغلاء حقا وعربد ، وزلزلت الموازين . لم يعد التسول بنافع وكرم الأصدقاء انحسر وتهاوى في بئر التلاشي ، رحل منهم نفر واسفاه ، وآوى الباقون الى شيخوخة هادئة تقنع بالسمر . ياله من عجوز بائس يائس وتنقشع ظلمات الوجود ذات يوم عن وجه السمسار وهو يهبط بأجنحة ملائكية من كبد السماء ! . وفي حضرة صديقيه المحامي وتاجر العمارات تمت الصفقة وأودع المبلغ الخرافي في البنك . وجلس الثلاثة في مقهى بلدي بشارع الأزهر يتوافق تواضعه مع منظر المليونير التعيس . تنهد عصام البقلي في ارتياح عميق يغني عن أي كلام . إنه سعيد سعادة كاملة لأول مرة في حياته ، ولكنه قال في حيرة :

ـ لا تتركاني وحدى

فقال عثمان القلة المحامي ضاحكا :

ـ لاحاجة بك لانسان بعد اليوم .

ولكن السيد نوح قال :

ـ إنه مجنون وفي حاجة الى مرشد في كل خطوة .

فقال البقلي بامتنان :

ـ وأنتما خير من عرفت في حياتي .

فقال السيد نوح :

ـ هنالك أولويات قبل الشروع في أي عمل ، غير قابلة للتأجيل ، في مقدمتها أن تذهب الى الحمام الهندى لتزيل القذارة المتراكمة وتكشف عن شخصك الأصلي ..

ـ أخاف ألا يعرفوني في البنك ..

ـ وتحلق رأسك وذقنك ، ونشترى لك اليوم بدلة جاهزة وملابس فيمكنك الاقامة في فندق محترم دون إثارة للريب ..

ـ هل أقيم في الفندق بصفة مستديمة ؟

قال المحامي :

ـ إذا شئت ، ستجد خدمة كاملة وكل شيء ..

فقال السيد نوح :

ـ الشقة لها مزايا أيضا ..

فهتف البقلي :

ـ والشقة لاتكتمل إلا بعروس !

ـ عروس ؟ !

ــ لم لا ؟ .. لست أول ولا آخر عريس فى السبعين !

ــ إنها مشكلة !

ــ تذكر أن العريس مليونير ..

فقال المحامى ضاحكا :

ــ إغراء شديد ولكن لأولاد الحرام ..

فقال البقلي باستهانة :

ــ حرام أو حلال ، كله واحد فى النهاية !

فقال نوح :

ــ لا .. قد ترتد الى التسول بأسرع مما تتصور ..

وقال عثمان المحامى :

ــ فلنؤجل ذلك الى حين

فقال عصام البقلي :

ــ مسألة المرأة غير قابلة للتأجيل ، هي أهم من البدلة الجاهزة ..

ــ الفرص كثيرة والملاهي أكثر من الهم على القلب ..

ــ حاجتي اليكما في هذا الطريق أشد ..

ــ ولكنا ودعنا زمن العربدة منذ أجيال ..

ــ وكيف أسير وحدي ؟

ــ من ترافقه النقود لا يعرف الوحدة ..

وقال السيد نوح :

ــ لنا جلسة أخرى فيما بعد للتفكير في استثمار الثروة فمن الحكمة أن تنفق من الريع لا من رأس المال ..

فقال البقلي محتجا :

ــ تذكر أنني في السبعين وبلا وريث !

ــ ولو !

فقال المحامي :

ــ المهم أن نبدأ .

وعندما اجتمعوا مساء تبدى عصام البقلي في بشرة جديدة وبدلة جديدة . تلاشت القذارة ولكن بقيت تعاسة الكبر والبؤس القديم . وقال المحامى ضاحكا :

ــ فالنتينو ورب الكعبة !

ولما كان الأستاذ عثمان القلة على مودة وتعامل مع مدير فندق النيل فقد استأجر له حجرة ممتازة بالفندق ، وسرعان ما دعاهما البقلي للعشاء على مائدته . ودارت كئوس قليلة لفتح الشهية ، وجلسوا معا بعد العشاء يخططون للقاء الغد ، وأوصلهما حتى سيارة السيد نوح ولكنه لم يرجع الى الفندق . استقل تاكسيا الى شارع محمد علي ومضى من توه الى محل الكوارع المعروف . لم يعترف بذلك العشاء المرهف فاعتبره فاتحا للشهية ، وطلب فتة ولحمة راس وأكل حتى استوفى المزاج . وغادر المحل ليرمرم ما بين البسيمة والكنافة والبسبوسة وكأنما أصابه جنون الطعام . وعاد الى الفندق قبيل منتصف الليل وقد سكر بالطعام حتى كاد يفقد الوعي . وأغلق حجرته وثقل غير متوقع يزحف على روحه وأعضائه . خلع الجاكتة بمنتهى العناء ثم عجز عن الاتيان بأي حركة . استلقى فوق الفراش بالبنطلون والحذاء وحتى النور لم يطفئه . ماذا يجثم فوق بطنه وصدره وقلبه وروحه ؟ . ماذا يكتم أنفاسه ؟ . من يقبض على عنقه ؟ . يفكر أن يستغيث ، أن ينادى أحدا ، أن يبحث عن موضع الجرس ، أن يستعمل التليفون ، ولكنه عاجز تماما عن أى حركة . كبلت يداه وقدماه واختنق صوته . يوجد علاج ، يوجد إسعاف ، ولكن كيف السبيل اليهما ؟ . ماهذه الحال الغريبة التي تستل من الانسان كل إرادة وكل قدرة وتتركه عدما فى عدم ؟ . آه ، انه الموت ، الموت يتقدم بلا مدافع ولا مقاوم . ونادى بخواطره المحمومة المدير .. نوح .. عثمان .. الثروة .. العروس .. المرأة .. الحلم .. لاشيء يريد أن يستجيب .. لم كانت المعجزة اذن ؟ .. غير معقول .. غير معقول يارب ..

نجيب محفوظ

يقول الدم العربي..

شعر: فاروق شوشة

أخيراً
يقول الدم العربيُّ : تساويتُ والماء
أصبحتُ :
لا لونَ ،
لا طعْمَ ،
لا رائحه !
أخيراً ..
يقول الدم العربيُّ : رخَصْتم
وأرخصتموني ..
أسيلُ ..
فلا يتداعى ورائي النخيلُ
ولا ينبتُ الشجرُ المستحيلُ ،
ولا يتراءى السبيلُ ..
أسيلُ ..
أُروّي الشقوق العطاشَ ،
وأسكب ذاكرتي للرمالِ ،
فلا يتخلّق وجهُ المليحةِ ،
أو وجه فارسها المستطارِ ،
وأنزفُ حتى النُّخاعِ ،
وينحَسِرُ المدُّ ،
تَنبتُ فوقي حجارتكُمْ ،
مُدناً تتمدَّدُ ،
أو تستطيلُ ..
ولكنها أضرحه !

* * *

أخيراً ..
يقول الدمُ العربيُّ : اكتفيْتُ ،
تجاوزتُ جِسرَ الشرايينِ
أسرجتُ خيلي بقلب العراء ،
خيَّمتُ في نقطة الجدْبِ ،
أحكمْتُ أغنيتي
وانتشيتُ لنفسي
وقلتُ :
أطاولُ كلَّ الدماء التي أنضجتْها الحرائقُ ،
كلَّ الدماء التي أهرقتْها الملاحمُ ،
كلَّ الدماء التي اعتصرتْها المآدبُ ،
فاخرتُ أنّي الوحيدُ الذي جعلوا من بقاياهُ
خاتمةً للبكاء
وفاتحةً للغناء
ومن رئتي مذبحه !

* * *

أغوصُ بذاكرة الرملِ ،
وجهي عروسٌ تخطّفها الموتُ ، والقاتلُ الهمجيُّ ، تغيبُ ملامحها ،
ويغيبُ الهوى العربيُّ
وقاوْمتُ ..
فانفلتت فيَّ فقاعةٌ ،
وانطفأتُ
تشاغلْتُ ،
أحكمتُ فوق ملامحها قبضتي ،
وارتخيْتُ



أغوصُ بذاكرةِ الرعب ،
وجهي سحابةُ يُتْمٍ تُعشّشُ في كلّ بيتٍ
وتتركُ بعض عناكبها في تُرابِ الملامحِ ،
وجهي الذي يتشكلُ في كلّ حالٍ مُسوخاً
ويلبس أقنعةً لا تبوحُ
وينظرُ في رحمِ الغيب :

ماذا تُجنُّ الغيومُ ؟
وماذا تقول البروقُ ؟
وماذا تخبىء عاصفةٌ في العروقِ ؟
ودمدمةٌ في الرءوسِ ؟
وأشبهتِ الليلةُ البارحه !

° ° °

أخيراً ..
يقول الدم العربيُّ المسافرُ عبْرَ العواصمِ ،
والمتجمعُ خلْفَ الحواجزِ
والمتناثرُ في كلِّ أرضٍ :
تعبْتُ ،

وهذي بقيةُ لحْمي
وهذي هُوِيةُ جلدي
وبعضُ ملامحِ أرضي التي سكنت في العيونِ
تعبْتُ ،
فمن يحمل الآن عنيّ بقية يومي ؟
وأشلاء حُلْمي
ويمضي ،
تعبْتُ ،
الدروبُ يلاحقُها الموتُ ،
يسكُنها الصمتُ ،
والقلبُ يملؤهُ القهرُ ،
والشاحناتُ الرجيمةُ ترتدُّ عبْرَ الزوايا
شظايا ..
تعبْتُ ،
المدى .. لا يُبينُ
الصدى .. لا يُبينُ ،
ووجهي ما زال منسحقاً في جبين المرايا
تلاحقه اللعْنةُ الجامحه !

من وحي الحكايات الشعبية

سعد كامل
رائد الاتجاه الشعبي في الفن العربي

بقلم: صبحي الشاروني


الفنان سعد كامل

قبل أن يتجه سعد كامل إلى استلهام الفن الشعبي، لم يكن هناك من المثقفين من يعبأ بهذا الفن أو يلتفت إليه، فالذين ينتجونه غير مثقفين أو دارسين، وهم ضمن الفقراء الذين يستخدمون أبسط الخامات وأرخصها. وعبر تجربته الرائدة التي بدأها منذ أربعين عاماً أثبت الفنان سعد كامل أن الفنان العربي يستطيع أن يصنع ما هو أفضل من الأشياء الجميلة، يستطيع أن يكون روحاً مرشدة للبيئة المحيطة به ولمجتمعه، بايجاد مجالات جديدة تنمو فيها الفنون الشعبية وتتطور وتزدهر.. مما يحقق لنا فناً ناضجاً، ذا طابع مميز وشخصية واضحة.

هناك موقفان من الابداع الشعبي .. الأول ينظر إلى الفنون الشعبية باعتبارها كنزاً تراثياً ثميناً يجب المحافظة عليه وتشجيعه ليواصل البقاء ، وحمايته من فنون المدينة الأوسع انتشاراً والأعلى صوتاً والأقوى تأثيراً ، والتي تهدده بالإختفاء ..

أصحاب هذا الموقف ينعون على الإذاعة أغانيها التي أصبح أهل الريف وسكان الأحياء الشعبية يرددونها عوضاً عن أغانيهم الشعبية المتوارثة ، ويهاجمون التلفزيون الذي شغل سكان المناطق البكر بإعلاناته الملونة .. فضلاً عن الإنتاج الصناعي الذي جعل العديد من الحرف والصناعات والفنون الشعبية اليدوية تتحول إلى منتجات سياحية ظريفة تستخدم في تزيين بيوت القادرين اقتصاديا ، وتشاهد بكثرة كجزء من ديكور المطاعم والفنادق ..

هذا الفريق الأول من المهتمين بالفنون الشعبية يعمل على جمع التراث الشعبي لوضعه في المتاحف ودراسته مقارناً بنظيره في البلاد أو المناطق الأخرى ، إنهم يعتبرونه مادة أكاديمية للدراسة النظرية ، ويعاملونه كتراث متحفي وينادون بحمايته أو جمعه وحسب .

أما الموقف الثاني فهو ينظر إلى الابداع الشعبي باعتباره تعبيراً فنياً متكاملاً عن سكان الريف والأحياء الشعبية في المدن خلال مرحلة من مراحل التحضر ، وأن واجب الفنانين ودارسي الفنون الشعبية هو العمل على الارتقاء بها وتطويرها بعد جمعها ودراستها وتصنيفها .. وذلك باكتشاف وانتخاب أفضل مستويات المبدعين وإعطائهم فرصة تقديم انتاجهم من خلال قنوات الاتصال الحديثة كالإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما والكتاب ... بهدف دمجها في فنون المدينة ، وتزويد الفنانين الشعبيين بخبرات ترتقي بانتاجهم وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة ، مما يتيح لهذه الفنون الشعبية أن تحقق تأثيرها على فنون سكان المدن ، فيسير التفاوُل والتطور بنفس معدل عمليات تطوير وتحديث الريف والارتقاء بالمستوى الاقتصادي والثقافي في جميع المناطق الريفية والشعبية .

وكان الفنان الراحل زكريا الحجاوي أشهر المتحمسين للموقف الثاني في مجال فنون الغناء والموسيقى ، لأنه كان يعلن دائماً أنه من المستحيل الوقوف في وجه تطوير الريف ، بل على المثقفين أن يساهموا في الارتقاء به باكتشاف ما به من مواهب والتدخل في صقلها ثم تقديمها لسكان المدن في نفس الوقت الذي تنتقل فيه فنون المدينة إلى سكان الريف والأحياء الشعبية .

وفي ميدان فنون التشكيل الشعبية تبرز تجربة الفنان سعد كامل الرائدة ، التي بدأها منذ أربعين عاماً حتى أصبح مدرسة وعلماً على هذا الطريق ، رغم الهجوم الذي تعرض له من أصحاب الموقف الأول في بداية الطريق .

إن عدداً كبيراً من المثقفين في بلادنا العربية يعتبرون الفنون الشعبية أقل مرتبة من الفنون الرسمية ، والمقصود بالفنون الرسمية تلك التي كان يرعاها الحكام والأثرياء ، ويقابلها في عالمنا المعاصر فنون الرسامين المؤهلين أكاديمياً .. بينما الفنون الشعبية على مر التاريخ وحتى عصرنا الحاضر ينتجها حرفيون مجهولون يجملون بها منتجاتهم التي يستخدمها عامة الشعب .. وقبل أن يتجه سعد كامل إلى استلهام الفن الشعبي لم يكن هناك من المثقفين من يعبأ بهذا الفن أو يلتفت إليه ،فالذين ينتجونه غير مثقفين أو دارسين وهم الفقراء الذين يستخدمون أبسط الخامات وأرخصها .

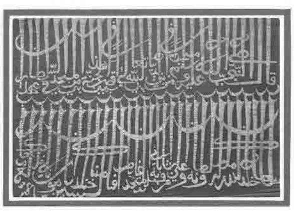
لكن سعد كامل كشف عما في هذه الرسوم من طاقة تعبيرية وانفعالية هائلة ، بالإضافة إلى عمق تأثيرها في نفسية المشاهد الذي ينظر إليها متعاطفاً ، لامتدادها الطويل والمتواصل عبر التاريخ .. حتى نستطيع أن نلحظ تشابها بين رموز الفنان الشعبي وأساليب عدد من الفنانين التعبيريين المشهورين .

إنه من طليعة الفنانين العرب الذين يستلهمون التراث الشعبي في إبداعهم الفني ، وهو يستخدمه استخداماً عصرياً ناضجاً ، فهو لا ينقل أو يقلد ، وإنما يطور ويضيف ، وهذا ينطبق على الوحدات التي يستلهمها ، كما ينطبق على الأسلوب الذي يستخدمه في تنفيذ هذه الوحدات مما يجعلها تبدو في مظهر سيريالي لاقترابها من عالم الأساطير الشعبية التي تعبر عن الأعماق الفكرية المتوارثة .

كما قضى سنوات مع الحرفيين يعلمهم ويشرف على تنفيذهم لتصميماته على النسيج فاكتسب العديد منهم الخبرات التي نقلها إلى صبيانه ليرتقي بهذه الحرفة ويسير بها خطوات إلى الأمام .

والآن يضم بيت الفنان سعد كامل في قلب


لوحة إلى المعركة (١٩٥٦)



من وحي الخط العربي

الزير سالم

رائد الاتجاه الشعبي في الفن العربي

القاهرة متحفاً يحوي العديد من النماذج النادرة للفن الشعبي، إلى جانب نماذج من فنون مختلف الحضارات وخاصة الحضارة الاسلامية . من بينها ــ على سبيل المثال ــ أكبر مجموعة من الخزف الإسلامي الموقع بأسماء الفنانين الذين أبدعوه ، وهذه المجموعة تزيد في عددها وقيمتها الأثرية عن مجموعة أي متحف في العالم ، بالإضافة إلى الرسوم الشعبية التي جمعها من مختلف الأماكن والمناطق وقطع النسيج الأثرية التي يرجع تاريخها إلى عصر إزدهار فن (القباطي) في مصر ، وغير ذلك من التحف الأثرية من إنتاج الفنان الشعبي .

وإلى جانب هذا المتحف نجد مرسم الفنان يضم مصنعاً يدوياً صغيراً للسجاد والكليم مع أدوات فن الجرافيك والطباعة ، بالإضافة إلى أحواض الصباغة الخاصة بفن (الباتيك) وغير ذلك من أدوات ، بينما تنتشر على جدران مسكنه نماذج لأعماله الفنية من السجاد والنسيج المرسوم ولوحات (الجرافيك) المطبوعة يدوياً ..مع لوحات فن (الباتيك) . أما نوافذ مسكنه فهي من الزجاج الملون المولف بالجبس وكل هذه الأعمال تعبر عن فلسفته وغرامه بالفن الشعبي كقيمة جمالية يستلهمها الفنان المعاصر في إنتاج أعماله الفنية ، وهو يستخدم نفس الخامات والأدوات التي يستخدمها الفنان الشعبي والحرفي بعد تطويرها وتطعيمها بالخبرات الفنية الحديثة .

إنه يرى أن اللوحة الزيتية هي شكل أوربي مستورد ، لا يمت بصلة إلى أصالتنا في المنطقة العربية ، فالفنون الإسلامية وما قبلها خلال حضاراتنا المتعاقبة لم تعرف اللوحة الزيتية التي ترسم على حامل الرسم ، إنما حضارتنا أبدعت فنها على العمارة وفي أدوات الاستعمال اليومي التي تملأ المتاحف العالمية .. وهكذا كان طريقه إلى تحقيق الأصالة الفنية هو الإندماج في الأشكال الفنية الشعبية والتراثية بنفس خاماتها وطريقة إنتاجها .

ولنبدأ قصة هذا الفنان من بدايتها ...

الغضبان

كان محمد عبيد ضابطا في جيش أحمد عرابي الذي هزم عام ١٨٨٢ أمام قوات الاحتلال الانجليزية . وعندما تم تسريح جيش الثورة العرابية ، حصل محمد عبيد من حكومة « الخديوي » على قطعة أرض في محافظة القليوبية قرب الطريق الزراعي المؤدي إلى مدينة الاسماعيلية ، وكان هذا هو المتبع مع الضباط المسرحين منذ ولاية (محمد علي باشا الكبير) على مصر .. لكن الضابط السابق وجد أن هذه الأرض أقل خصباً مما توقع ، وبعيدة إلى حد ما عن قريته ، فغضب عليها وامتنع عن تفقدها .. فاطلق عليه سكان المنطقة لقب (الغضبان) .

ابنه كامل ورث الأرض واللقب ، وتولى منصب العمدة في قريته التي اشتهر بين أهلها بسرعة الثورة والغضب .. لكن ابنه (محمد) عمل على التخلص من هذا اللقب ، فدرس الهندسة ، وهجر القرية ليعمل بالمساحة في مدينة شبين الكوم .

كانت هواية المهندس محمد كامل تتركز في كتابة لوحات الخط العربي الذي عشقه حتى أجاده ، وقد ابتكر طريقة عجيبة ربما كانت منتشرة في عصره ، لكن ما تبقى من لوحات مكتوبة بهذه الطريقة نادر للغاية ، وهي الكتابة بواسطة طوابع البريد المستعملة (الكولاج) .. لقد أنشأ منها لوحات مقروءة ، لكنك إذا اقتربت منها تجدها مكونة من مئات الطوابع البريدية الملونة المتجاورة التي تستغرق المتأمل في الفرجة على جزئياتها .

وفي عام ١٩٢٤ أنجب محمد كامل ابنه سعداً الذي عرف في الحركة الفنية باسم (الفنان سعد كامل) ، واشتهر بتمرده على أساليب الرسم التقليدية ورفضه التبعية للأساليب الفنية الأوربية بعد أن أجادها إجادة تامة ، وهكذا أصبح حفيد الضابط الوطني محمد عبيد رائداً للاتجاه الفني الذي يستوحي المنابع الشعبية الأصيلة في الفن العربي .

في طفولته عاش في مباهج روضة الطفل الانجليزية التي أرسل إليها حيث وجد الأقلام الملونة وورق الرسم المتعدد الأشكال ، لكن هذه المباهج لم تمنعه من السعي الدائم لاقتحام حجرة الهوايات التي تحوي الكثير من الأشياء العجيبة . إن الفضول كان يدفعه إلى انتهاز فرصة انشغال أبيه بعيداً عن حجرة (الهوايات) ، فيتسلل إليها متطلعاً إلى الأدوات التي كان الوالد يستخدمها في إنشاء لوحات الخط العربي .. وحاول ذات مرة أن يتسلق إلى سطح المنضدة ليصل بنظره إلى ما عليها من أقلام وفراجين ومقصات ضخمة ، فتميل المنضدة ويتساقط ما فوقها من أدوات وأحبار في ضجة مفزعة تستدعي أهل الدار وما تلا من صراخ وتأنيب وعقاب .

في السادسة من عمره التحق بالمدرسة الإبتدائية



عروسة البحر

فأحس أنه قزم بين عمالقة : لقد كان أصغرهم سناً وأدقهم حجماً ، ولم يكن أمامه من طريق لمنافستهم سوى التفوق في دروسه .

ورغم هذا فكانت سنوات الدراسة الابتدائية هي سنوات التفوق في دروس الرسم حيث انتسب إلى جمعية الرسم التي كان يرأسها « سرور أفندي » كما انضم إلى القسم المخصوص الذي يتيح لأعضائه العديد من الأنشطة الرياضية والرحلات ، وكان يقضي مع بقية أعضاء جمعية الرسم وقتاً طويلاً بحظيرة الدواجن بالمدرسة بعد انتهاء الدروس ، يرسمون ما بها من بط وأوز ودجاج .

بعد انتهاء المرحلة الابتدائية كان تفوقه يتيح له التمتع بمجانية التعليم الثانوي ، لكنه فاجأ أسرته برفضه الالتحاق بالتعليم الثانوي ، وإصراره على دخول المدرسة الصناعية .. وكانت صدمة لأبيه وكل أفراد العائلة ، فمدرسة (الصنائع) كان يلتحق بها من لا يطيقون تكاليف الدراسة الثانوية ، وهي لا توفر لخريجيها غير العمل الحرفي . لهذا كان اختيار سعد وإصراره ، فضيحة بالنسبة لهذه العائلة التي يتمتع عائلها بوظيفة محترمة وأرض يملكها بالقليوبية .

أما الفتى فقد وضع خطته على أساس ما عرفه من زملائه : إن طريق الفن يتحقق من خلال الالتحاق بمدرسة عليا اسمها (الفنون التطبيقية) ، وأن الالتحاق بهذه المدرسة يقتصر على خريجي المدارس الصناعية وبالتحديد قسم النقش والزخرفة .. وبالطبع لم يكن (سعد كامل) قد سمع في ذلك الحين عن مدرسة الفنون الجميلة العليا .. ولا لتتنازل عن عناده وإصراره في وجه رغبة الأسرة .

ويستمتع الفتى بدراسته الصناعية ويتفوق حتى يحصل على الدرجات التي تؤهله للالتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية التي حلم بها ..

وخلال انتظاره رد مدرسة الفنون التطبيقية التي تقدم إليها عام ١٩٣٩ ، تنشب الحرب العالمية الثانية وفي نفس الوقت ينقل الأب إلى مصلحة المساحة بأسيوط ، فترفض العائلة اقامته بمفرده في القاهرة خلال مدة الحرب .

وعندما يصل رد مدرسة الفنون التطبيقية بالقبول يخفي الأب الخطاب عن ابنه ، فيحس سعد بالمرارة تملأ نفسه كلما تصور أن مدرسة الفنون التطبيقية قد رفضت قبوله .. ولم يبق أمامه سوى أن يلتحق بالمدرسة الصناعية بأسيوط مستكملاً دراسته في طريق لم يفكر فيه من قبل .. واكتفى بالسمعة الواسعة التي حظي بها في مدرسته وبين جيران الحي كرسام ناجح ، يرسم صوراً مكبرة لوجوه الأشخاص بالفحم ويتقاضى الهدايا والمكافآت في مقابلها .

النسيج في أسيوط

خلال سنوات الإقامة في أسيوط ظهرت مجلة (مجلتي) التي كان يصدرها أحمد الصاوي محمد ، وكان الوالد يواظب على شرائها بانتظام فيقرؤها سعد كامل بنهم وخاصة الموضوع الثابت في كل عدد عن الفنون الجميلة .. ولا يزال يحتفظ الفنان بجميع أعداد هذه المجلة من بداية صدورها حتى توقفها ، ويذكر باعتزاز أنه تعرف من خلالها على فناني الجيل الأول والثاني أمثال : أحمد صبري ، وراغب عياد ، وجورج صباغ ، وهدايت ، وايمي نصر ، ومارجريت نخلة ... كما كانت تنشر « مجلتي » صوراً لبعض أعمالهم الفنية فشغف سعد بفن الرسم وراح يحلم أن يكون مثلهم في يوم من الأيام .

بالاضافة إلى ذلك كانت زيارته للحرفيين في أسيوط مصدر متعة وسعادة لا حدود لها ، كان يقضي الساعات الطوال متنقلاً بين صناع الأشكال المختلفة من العاج والعظم وسن الفيل ، منبهراً بأشكالها الزخرفية ، وبين صناع النسيج من الصوف والكتان الذين اشتهرت بهم أسيوط .

ويحصل سعد كامل على دبلوم المدارس الصناعية بتفوق ، ويقرأ ذات يوم بالجريدة الصباحية خبراً عن افتتاح قسم الدراسات الحرة بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، الذي يقبل الموهوبين بغض النظر عن مؤهلاتهم ، ولا يعطي شهادات لمن يتم دراسته به . فيسرع بالتقدم إلى هذه الدراسات الحرة متحدياً مخاوف الأسرة من ظروف الحرب التي لم تكن قد انتهت بعد .

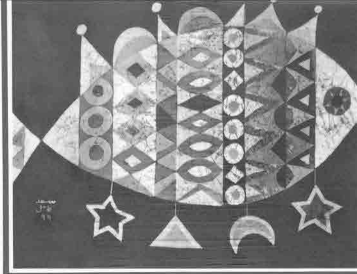
يرافق الأب ابنه راضخاً ، ويسافران إلى القاهرة ، ثم يتوجهان إلى الفنان « فوزي حسين » رسام الكاريكاتير بمجلة « روز اليوسف » في ذلك الحين ، وهو صديق للأب من مدينة شبين الكوم ، كما كان مدرساً لسعد كامل . يقيم بالقاهرة ويسافر كل يوم خلال العام الدراسي إلى عمله ثم يعود في نفس اليوم .

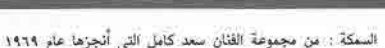
وتلقى سعد كامل تدريباته على يدي هذا الفنان استعداداً لامتحان القبول بقسم الدراسات الحرة التي كان يتولاها الفنان الراحل « أحمد صبري » ــ أحد الفنانين الرواد السبعة الذين أسسوا حركة الفنون الجميلة العربية في مصر ــ وقد نجح سعد كامل ضمن خمسة فنانين في الالتحاق بالدراسات الحرة الصباحية ، وكان ذلك عام ١٩٤٢ عندما شعر لأول مرة أنه وصل إلى الدراسة التي كان يبحث عنها منذ سنوات طويلة .

وكان من زملاء الدراسة في « القسم الحر » الفنانون « سيد عبدالرسول » و « محمد صبري » و « وديع المهدي » وقد هاجر الأخير إلى كندا منذ سنوات طويلة حيث يعيش هناك كفنان ناجح .

واستمرت هذه الدراسة سبع سنوات أقبل خلالها على عمله بحماس وتلذذ ، حتى أتقن الأسلوب الكلاسيكي وتمكن من قواعده الأكاديمية .. ثم بدأ يتردد على مكتبة الكلية التي ظلت حتى منتصف الخمسينات أكبر وأشمل مكتبة في الفنون الجميلة بالشرق الأوسط ، فهي زاخرة بالمراجع الفنية لمختلف المدارس والاتجاهات . وتجتذبه (المدرسة التأثيرية) ، وفي محاولة للتحرر من الأسلوب الأكاديمي يبدأ في رسم لوحاته بهذا الأسلوب . لكنه لم يكن يجرؤ على عرضها أمام أستاذه « أحمد صبري » الذي عرف بحرصه على التقاليد الأكاديمية ورفضه مثل هذا التجاوز .

وفي عام ١٩٤٧ اشترك مع زميله الأرمني (هاجوب) في إنشاء مكتب خاص لتصميم





السمكة : من مجموعة الفنان سعد كامل التى أنجزها عام ١٩٦٩

الطائر الخرافى

رائد الاتجاه الشعبي في الفن العربي

الإعلانات والملصقات ، وذلك ليحققا دخلاً يتكسبان منه .. فحققا نجاحاً لم يتوقعاه ، حتى وصل ايراد كل منهما إلى أكثر من ١٥٠ جنيهاً شهرياً ، وقد كان هذا المبلغ كبيراً جداً في ذلك الوقت ، وهو يوازي أكثر من عشرة أضعافه الآن ، . ويتصور سعد كامل أن مصيره قد ارتبط بهذا العمل الناجح ، لكن الظروف تتغير ويبدأ المشروع في الخسارة والكساد .

في هذا الوقت خاض الفنان مسابقة « مختار » حيث قدم لوحة تصور « زفة العروس » ، ففاز عنها بالجائزة الأولى ،وهكذا تأكد أن مستقبله في الانتاج الفني الخالص . وترك تصميم الإعلانات ليسعى لاستكمال دراسته في أوربا .

إلى روما وباريس

عمل رساما بقسم الآثار العربية ، فكانت مهمته زيارة المساجد والمباني القديمة لتسجيل زخارفها ونقوشها بأمانة .. في هذه الفترة استوعب جوهر الفنون الاسلامية وتعرف على خصائصها .

في عام ١٩٥٠ مرض الفنان بعد حادث وفاة والدته ، وما أن تماثل للشفاء حتى اتخذ قراره بالسفر إلى ايطاليا . وأيد الطبيب هذا القرار لأنه أرجع سبب المرض إلى الأزمة النفسية أكثر من أي سبب عضوي .

وكان سعد كامل قد تقدم للالتحاق « بمرسم الأقصر » وهي بعثة داخلية لمدة عامين يحصل عليها المتفوقون في دراستهم بكلية الفنون الجميلة ، سواء الدارسين بالقسم النظامي أو بقسم الدراسات الحرة .. وكان يتحتم على الراغبين في الحصول على هذه البعثة الداخلية عمل لوحة أو عدة لوحات تسمى مشروع المرسم ،ويتقدم المتسابقون بهذا المشروع لتقرر لجنة التحكيم فائزا واحدا بهذه الجائزة مرة كل عامين .. وقد تقدم الفنان سعد كامل بمشروع عن الحدادين فلم يفز في المرة الأولى بالجائزة ، فتقدم مرة أخرى عام ١٩٥٠ بمشروعه عن احتفالات الربيع « شم النسيم » ... وعندما اجتمعت اللجنة برئاسة الفنان الرائد راغب عياد كان سعد كامل قد سافر إلى روما مع مجموعة من زملاء الدراسة بالقسم الحر .. وقررت اللجنة فوزه بالجائزة الأولى والتحاقه بمرسم الأقصر كعضو بعثة .. وقررت أيضاً تحويل مكافأة عضو المرسم إلى إدارة البعثات لمدة عامين لكي تصله في روما .. وكان هذا القرار يمثل تقديراً خاصاً للفنان دفعه إلى المزيد من الجهد والتحصيل .

وقد التحق بأكاديمية روما بالسنة الثالثة نتيجة لمستواه الفني المرتفع .. وتتلمذ على يدي الأستاذ الشهير « فراتسي » الذي تخصص في الرسوم الحائطية « الفرسك » ، وبالإضافة إلى هذه الدراسة التحق بدراسة مسائية ليتعلم « فن تصميم الميدالية » ، هذا فضلاً عن زيارة متاحف إيطاليا ومعارضها وآثارها الفنية متأملاً ودارساً ، حتى حصل على دبلوم أكاديمية روما للفنون الجميلة عام ١٩٥٣ في قسم التصوير الزخرفي .. واختيرت أعماله التي حصل عنها على درجة الدبلوم لتكون ضمن المعرض السنوي لأوائل خريجي أكاديميات الفنون الجميلة الايطالية ، والذي يطوف على مدى سنة كاملة في جميع أنحاء إيطاليا .

عقب ذلك انتقل الفنان إلى باريس لزيارة متاحفها والتعرف على فنانيها .. وهناك شاهد متحف ومصنع « جوبلان » للسجاد الحائطي .. ووقع في غرام هذا النوع من الفن لأنه أعاد إلى ذاكرته فترة معايشته للحرفيين في أسيوط وطريقتهم في النسيج المملوء بالزخارف باستخدام الخيوط الملونة ، واعتبر أن هذه هي اللغة الفنية التي يستطيع من خلالها أن يعبر عما يريد ، فكان يقضي معظم أوقاته بباريس في مصنع (جوبلان) يقضي الساعات الطوال بين الفنانين والحرفيين ، يرقب الفنان الذي يعمل على نول النسيج ليحول أعمال كبار الفنانين إلى سجاجيد مرسومة زاهية الألوان .. لقد قرر أن يمزج بين هذا التقدم الصناعي الذي شهده في باريس وبين صناعة الكليم الشعبي في مصر والذي يتميز بألوانه الصريحة الحمراء والخضراء والزرقاء والبرتقالية .. في هذه الفترة حدد طريقه بوضوح ، وهو الرجوع إلى فنون أبناء الشعب العريقة ، وقرر أن يدرسها ويطورها وينفذها بعد الاستفادة بالتجربة المتقدمة التي شاهدها وعايشها في مصنع (جوبلان) .

النول في « الجاراج »

ويعود الفنان سعد كامل إلى مصر ليجد أن أسرته قد اتخذت لها بيتاً بمنطقة (العمرانية) على الطريق إلى أهرامات الجيزة .. وأسعده أن تتضمن الفيلا الأنيقة « جراجاً » في أقصى الحديقة يقع بابه على شارع جانبي ..وبدأ يخطط ليستغل هذا الجراج ويحوله إلى مصنع صغير للنسيج ، بأن يضع فيه نولاً ويجري تجاربه على انتاج الكليم المرسوم .

وانزعج الأب لما وصل إليه ابنه العائد من بعثته في إيطاليا وفرنسا الذي كان يتوقع له مكاناً مرموقاً بين فناني القاهرة ، ولم يتصور أنه سينزوي في الجراج أمام النول ووسط مجموعة من النساجين الشعبيين يقضي جل وقته معهم .

لقد عاد الفنان إلى عمله بمصلحة الآثار ، لكنه كان يسرع بعد انتهاء ساعات العمل إلى مصنعه الصغير يتابع رسومه وهي تتحول إلى سجاد ملون

جميل . أما تلك الرسوم فقد أمضى عاماً كاملاً يجمعها ويسجلها خلال جولاته في الأحياء الشعبية بالقاهرة ، التي كان يقصدها راكباً دراجته البخارية الصغيرة .

ومن الرسوم التي يزين بها الحجاج واجهات منازلهم ، ومن الرسوم التي جمعها من محترفي الوشم الذين يعرضون خدماتهم على المترددين على سوق أمبابة ، بدأ يكون لوحاته المنسوجة .. لقد اختار لرسومه خامة جديدة عملية ونافعة ،لها امتدادها في تراثنا ، لهذا تتميز بأصالتها ، ولم يتأثر الفنان بردود الفعل الرافضة لتجربته من زملائه وأصدقائه ، وواصل الطريق مقتنعاً أنه يسير في اتجاه سليم .

ويتضاعف حماس الفنان ، فيشتري صفقة ضخمة من صوف الصعيد الملون ، وعندما تصل يخشى أن تتبدد أو تسرق لو تركها في الجراج ، ويطلب من الحمالين ادخالها إلى البيت ، ويأتي الوالد عندما يسمع ضجيج الحمالين أثناء عملهم فيثور ويغضب ويطردهم مع ابنه الذي خيب أمله .

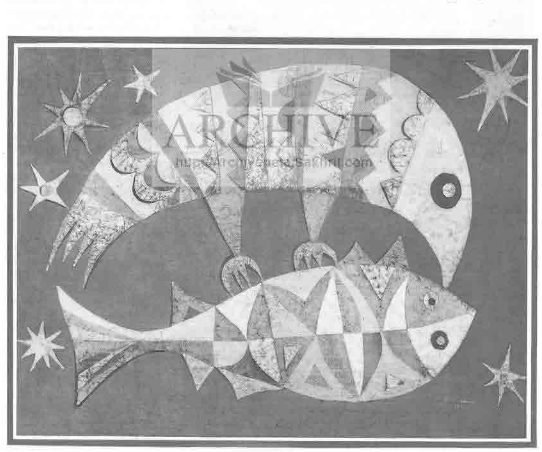
ويرد سعد كامل على هذا الغضب بمقاطعة البيت والاقامة في الجراج مع خيوط الصوف التي كان يبسطها على الأرض كحشية تقيه برودة البلاط ، ويغطي نفسه بلوحات النسيج التي اكتملت .

وكان الفنان يخفي عن جيرانه أمر اقامته في الجراج ، لذا كان يبكر في الخروج متوجهاً إلى عمله قبل أن يستيقظ سكان الحي ، حتى تدخل إخواته ، يتوسطون بينه وبين والده الذي أدرك خطأ ثورته بعد أن رأى الأثر الواسع للمعرض الناجح الذي أقامه ابنه الفنان .

لقد أقام سعد كامل معرضه الأول عام ١٩٥٤ الذي افتتحه الدكتور عبدالرزاق صدقي وزير الزراعة في ذلك الوقت ، وهو أحد المهتمين بالفنون الشعبية ومن أنشط أعضاء (جمعية الفنون الشعبية المصرية) .. ويحظى المعرض باهتمام النقاد والفنانين وتقدير المتخصصين في الفنون والصناعات الريفية ، وكان هذا المعرض بمثابة اعتراف بتفوق الفنان .

التفــوق

ويتم نقله ـ نتيجة لهذا المعرض ـ من عمله في مصلحة الآثار إلى « مؤسسة الثقافة الشعبية » ، ليعمل مفتشاً وموجهاً للصناعات والحرف الشعبية في فروع المؤسسة بالمحافظات .. خلال هذا العمل تعرف بدقة على الفنون الشعبية بكل أنحاء مصر ، فزادت معارفه وأضاف الجديد إلى منسوجاته التي واصل إنتاجها بعد ذلك ، وكانت تثير إعجاب كل من شاهدها ، فأقبلت المحال والفنادق على اقتنائها ، كما شارك بها في المعارض العامة بمصر والخارج ابتداء بالمعرض المصري الإيطالي الذي أقيم بالقاهرة عام ١٩٥٤ ثم معرض الفن المصري في بكين



الطائر والسمكة

رائد الاتجاه الشعبي
في الفن العربي

عاصمة الصين عام ١٩٥٥ ، وفي عام ١٩٥٨ شارك في معرض (الارتيجيناتو) الدولي بفلورنسا حيث حصل على دبلوم شرف وشهادة تقدير عن معروضاته ، ثم في بينالي الاسكندرية الدولي الثالث لدول حوض البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٥٩ حيث فاز بالجائزة الأولى في فن الجرافيك على القسم المصري .. ثم المعرض التطبيقي العربي المتنقل الذي أقيم بموسكو وبراغ وبكين عامي ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ .

وقد أقام الفنان معرضاً لأعماله بمتحف بروكلين بنيويورك عام ١٩٦٤ ثم شارك في بينالي (لوبليانا) الدولي في يوغوسلافيا عام ١٩٦٧ ، وفي بينالي فينسيا الدولي عام ١٩٦٨ ثم معرض الفن المصري بباريس عام ١٩٧١ ، ثم أقام معرضاً خاصاً متجولا لأعماله في فن الحفر والباتيك بعدد من مدن ألمانيا الغربية عام ١٩٧٢ ، وفي عام ١٩٧٦ أقام معرضاً لأعماله في فينسيا بايطاليا ، كما شارك في مهرجان الفنون الإسلامية المعاصر الذي أقيم بلندن في نفس العام .

أما الجوائز التي حصل عليها فكانت أولها جائزة مختار المقدمة من (مسيو فيس) عام ١٩٤٩ . كما حصل في نفس العام على جائزة « مرسم الأقصر » التي حولت إلى بعثة في روما ، كما فاز عام ١٩٦٢ بجائزة الإبداع للفنون الشعبية من وزارة الثقافة ، ثم الميدالية الذهبية من معرض الفن التطبيقي الذي كانت تنظمه « جمعية محبي الفنون الجميلة » عام ١٩٦٣ والجائزة الثانية من بينالي الاسكندرية الخامس عام ١٩٦٣ .. وقد حصل على منحة التفرغ للإنتاج الفني من وزارة الثقافة لمدة عامين ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، كما فاز بالميدالية الذهبية عندما شارك بأعماله في بينالي فلورنسا الدولي الثالث بإيطاليا عام ١٩٧٢ . وقد مثل « الاتحاد الدولي للفنون بنيويورك » في مصر منذ انشائه عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٨١ . كما أنه عضو شرف باتحاد فناني الجرافيك الايطاليين ، وهو ممثل مصر الدائم في مجلس الحرف الدولي بجنيف منذ عام ١٩٦٢ . بينما تقتني أعماله الفنية الكثير من المتاحف العالمية وتنتشر في المجموعات الخاصة بالعديد من البلاد العربية والأوربية والولايات المتحدة وكندا ، كما عمل خبيراً في صناعة النسيج المرسوم وتولى إدارة دار (النسجيات المرسمة) بحلوان عند انشائها ، وهو عضو بلجنة « الفنون الشعبية » بالمجلس الأعلى للثقافة منذ عام ١٩٨٣ . وله دراسات مطولة حول فنون النسيج الشعبية والقبطية والإسلامية نشرت معظمها ، كما نشرت عدة مجلات عربية صور لوحاته على أغلفتها ، ومن بينها مجلة الدوحة التى نشرت أيضا صور العديد من لوحاته .. وفق الموضوعات التي تتعرض للفنون الشعبية .. وهو يشارك تحت إشراف الدكتور عبدالحميد يونس في تحرير موسوعة الفنون الشعبية بتكليف من الهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة .

وهو يدير حالياً قاعة « مشربية » في قلب القاهرة التي يمتلكها ، وهي قاعة عرض تتكون واجهتها من مشربية واحدة كبيرة وتعرض أعمال كبار الفنانين المعاصرين والراحلين ..

ويستطيع المشاهد أن يتعرف على أعماله بسهولة .. وذلك من خلال العناصر الشعبية والتراثية التي تميزها .. ففيها نرى الأسد يمسك سيفا ، والفارس له شارب ضخم ويركب حصاناً أو أسدا له شوارب ضخمة تشبه شوارب الفارس .. كما نرى رقص الخيل ، وعرائس المولد .. والزير سالم وأبو زيد الهلالي والسمكة والحمامة والعصفور والنخلة .. مع حيوانات زخرفية خرافية ، وراقصات وعازفين .. أما الخلفيات فتمتلئ بالخطوط والأشكال الهندسية الاسلامية . وهنا لابد أن نشير إلى وجود دلالات رمزية في القصص والحكايات الشعبية لكل عنصر من هذه العناصر ، وهي الرموز التي يفيض في شرحها المتخصصون في دراسة هذه الفنون .

يقول عنه (كمال الملاخ) إنه رائد الفن الشعبي لأنه انصرف عن أسلوب اللوحات التقليدية واتجه ليبدع مبتكراته على عناصر جديدة من نسيج وحصير وحفر وطباعة ، فيبتدع منها أشكالاً تصل عبق جمال الماضي بواقع الحاضر .

بينما يقول عنه ناقد آخر تعليقاً على إنشائه لمبتكراته ورسومه على الكليم والنسيج : « لقد أعاد سعد كامل الروح إلى جسم محنط ، فأصبح له نبض وشهيق وزفير » .

ويقول عنه الناقد راجي عنايت : « إنه فنان لا يرضيه الوقوف عند تجربة ناجحة ، بل يروح يبحث من جديد عن خامات مبتكرة وأساليب فريدة يعبر بها عن أفكاره الفنية الجياشة .. يقين فني ووضوح رؤية واستقرارعلى طريق الفن مع مساهمة نشطة في كافة المناسبات الفنية » .

أما سعد كامل فيقول عن تجربته : « إن الفنان العربي يستطيع أن يصنع ما هو أفضل من الأشياء الجميلة ، يستطيع أن يكون روحاً مرشدة للبيئة المحيطة به ولمجتمعه ، بإيجاد مجالات جديدة تنمو فيها الفنون الشعبية وتتطور وتزدهر .. وهكذا نستطيع أن نحقق فناً ناضجاً ذا طابع مميز وشخصية واضحة » .

صبحي الشاروني

حيوان أسطوري

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

• الفقه الإسلامي ورعاية الصالح العام • شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

« تنشر الدوحة في أوراقها الخضراء لهذا الشهر موضوعين هامين للعالم الإسلامي الكبير المرحوم محمد محمد المدني أستاذ الشريعة في الأزهر ، وقد كان إلى جانب أستاذيته في الشريعة كاتبا ومفكراً وداعياً إسلامياً من الطراز الأول ، والأفكار التي يطرحها المدني في هذين المقالين الهامين هي أفكار مثيرة وملفتة للنظر ، وآراؤه التي يطرحها في المقالين تصدر عن عقل واسع العلم وقلب عميق الإيمان ورؤية شديدة الجرأة مما يفتح أمام جمهور المسلمين كثيراً من الآفاق الواسعة الطيبة » .



الفقه الإسلامي ورعاية الصالح العام



بقلم : محمد محمد المدني

« الفقه الإسلامي » مستنبط من الشريعة الإسلامية ، وهذه الشريعة تمتاز بأنها شريعة الفطرة ، وشريعة العقل ، وشريعة الرحمة :

فهي تعترف بالحقائق ، ولا تحاول الخروج على السنن الكونية ولا تصطدم بالعلم ، ولا تضيق صدراً بالإصلاح ، ولا تكلف الناس ما ليس في استطاعتهم !

ذلك بعض ما كانت به الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وجعل لها هذا الاعتبار العام ، ولم يكن فقهها معه شخصياً ولا موضعياً .

وليس معنى هذه الصلاحية أن كل جزئية من جزئيات الفقه التى استنبطت لا تقبل التغيير ولا التعديل ، فإن ما صلح للأولين لا يعقل أن يكون هو بعينه ، وفي جميع جزئياته ، ما يصلح للآخرين ، ذلك أن شريعة العقل والرحمة لا تجهل أن الأحوال دائماً في تغير ، والدنيا في تقلب ، ولكل قوم عادة وعرف .

ولو كان هذا هو المعنى المقصود من قولهم : « إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان » ، لوقعنا منه في حرج عظيم ، وتكليف لا يحتمل .

أيجوز مثلاً أن نرجع بالمساجد إلى حالتها الأولى ، فنجردها من الفرش والبسط ، ونكتفي بأن نفرشها بالرمل أو الحصباء ، لأن سنة السلف في مساجدهم كانت كذلك ؟

أيجوز مثلاً أن نلزم القاضي بأن يكون له في المسألة الواحدة قضاء واحد من غير تفرقة بين أحوال المتقاضين وبيناتهم ؟

الفقه الإسلامي ورعاية الصالح العام

لقد سمعت أن قاضيا شرعياً عرضت عليه قضية أهان الزوج فيها زوجته بألفاظ جارحة ــ وهما زوجان من وسط راق ــ فطلبت الزوجة التفريق. فقضى لها به القاضي.

فهل يجوز للقاضي أن يقضي بمثل ذلك في قضية يكون الزوجان فيها من وسط قد ألف ذلك فيه. بل ألف فيه ما هو أشد منه كالضرب مثلاً ؟

أيجوز لنا مثلاً أن نلزم وزارة الدفاع أن تلبس جنودها العمامة البيضاء تحقيقاً للخبر الذى يروون: «تعمموا فإن الشياطين لا تتعمم» ؟

إن هذا وما يماثله هو الحرج الذى لا يرضى الله به. ولا يرضى به رسوله، ولا تقول به شريعة العقل والرحمة !

يقول ابن القيم «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها. ورحمة كلها، ومصالح كلها وحكمة كلها، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث. فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل !».

فالمعنى إذن في صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان. أن الشريعة قد بنيت أحكامها على رعاية المصالح. ولما كانت المصالح تختلف باختلاف الناس. وتتكيف بتكيف الظروف والبيئات، وتتغير بتغير العوائد، اعترفت الشريعة بذلك ففتحت باب الاجتهاد وأباحت للناس أن يستنبط أولو الرأى منهم ما يصلح لهم. وينهض بهم في حدود ما رسمت وبينت.

وآية ذلك أن الشريعة الإسلامية تركت كثيراً من الفروع من غير نص على أحكامها. وأنها تعنى ــ قبل كل شيء ــ بالأصول العامة والمبادئ الأساسية. دون التفاصيل والجزئيات !

وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها. وحد حدودا فلا تعتدوها. وحرم أشياء فلا تنتهكوها. وسكت عن أشياء رحمة بكم. غير نسيان. فلا تبحثوا عنها».

فهذه الأشياء هي موضع اجتهاد المجتهدين. وقوله «فلا تبحثوا عنها» أى فلا تطلبوا فيها نصا فتحرجوا أنفسكم. وهذا معنى قوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم، عفا الله عنها، والله غفور حليم. قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين».

وليس اعتبار الظروف والأحوال. ورعاية الصالح العام، في الفقه والأحكام، بالشيء المستحدث، فقد وجد منذ وجد التشريع، وكان حيث كان الفقه والاجتهاد.

وإننا نسوق أمثلة من أحكام الرسول، صلوات الله عليه، وأمثلة من أحكام الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والأمراء:

١ ــ في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشاً أهمهم أمر المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ؟ وهل يجترئ عليه إلا أسامة ؟ فلما كلمه أسامة قال: «أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه. وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذى نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها !».

٢ ــ وروى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى في الغزو.

فهذان حكمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء واحد هو الحد: تراه في الأول يصر على إقامته، ولا يقبل تعطيله، مع أن السارق امرأة من أكبر القبائل وأشرف البيوت، ومع أن أمرها أهم قريشاً وأزعجهم، ومع أن الشفيع صاحب من أحب أصحابه إليه !

وتراه في الثاني ينهى أن تقطع الأيدى في الغزو، فهل كان إصراره في الأولى إلا لأن أمراً كهذا لو دخلته الشفاعة، وقبلت فيه الوساطة، وفرق بين الشريف والوضيع، لضاعت الحكمة المقصودة فيه. وبطلت الغاية المرجوة منه !

وهل كان نهيه في الثانية إلا خشية أن يترتب عليه ما هو أضر على المسلمين، وأبغض إلى الله، وهو لحوق المقطوع بالعدو حمية وغضباً. ولكن التشديد في الأولى، والتسامح في الثانية، يدعو إليهما أمر واحد وإن اختلفا ظاهراً، وهو الحرص على أمور المسلمين، أن يفضى إليها الخلل، أو يلحقها الاضطراب والفساد.

وقد روى مثل ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١ ــ قال علقمة: كنا في جيش في أرض الروم ومعنا حذيفة بن اليمان، وعلينا الوليد بن عتبة، فشرب الخمر، فأردنا أن نحده، فقال حذيفة: أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم ؟

فهل ترى فهم حذيفة، ونصيحته للمسلمين حين فهم ونصح إلا فقها تمليه السياسة الرشيدة، والنظر الصحيح ؟

٢ ــ وشبيه بهذا ما روى من أن سعد بن أبي وقاص كان قائد المسلمين يوم القادسية، فأتى بأبي محجن، وقد شرب الخمر، فأمر به إلى القيد، فلما التقى الناس قال أبو محجن:

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقيا !

ثم قال لامرأة سعد: أطلقيني، ولك على إن سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد، فإن قتلت استرحتم مني. فحلت وثاقه، فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء، وكانت بسعد يومئذ جراحة فلم يخرج، ثم أخذ أبو محجن رمحاً وخرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم. وجعل الناس يقولون: هذا ملك ! لما يرون من صنيعه، وجعل سعد يقول وهو يرقب المعركة: الضبر ضبر البلقاء والطعن طعن أبي محجن وأبو محجن في القيد !! فلما هزم العدو رجع أبو محجن فوضع رجليه في القيد، وقصت امرأة سعد على سعد ما كان من الأمر. فقال سعد: والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى هذا البلاء للمسلمين، فخلى سبيله ! فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ يقام على الحد فأطهر منها، فأما إذ أبطلته عني فو الله لا أشربها أبداً.

قال في أعلام الموقعين «إن سعداً قد اتبع في ذلك سنة الله تعالى فإنه لما رأى من تأثير أبي محجن في الدين، وجهاده وبذل نفسه لله ما رأى درأ عنه الحد، لأن ما أتى به من هذه الحسنات غمر هذه السيئة الواحدة، لا سيما وقد شام فيه مخايل التوبة النصوح وقت القتال، إذ لا يظن بمسلم إصراره في ذلك الوقت الذى هو مظنة القدوم على الله وهو يرى الموت.

وأيضاً فهو بتسليمه نفسه. ووضع رجليه في

القيد اختياراً قد استحق أن يوهب له حده ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال له : يا رسول الله ، أصبت حدا فأقمه على ، فقال : « هل صليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فاذهب فإن الله قد غفر لك حدك ! » .

وهذا هو الفقه !

٣ ــ ولقد كان عمر بن الخطاب ، وهو في الفقه والعلم من هو ، يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى المؤلفة قلوبهم ، وأن أبا بكر كان يعطيهم ، وأن الله يقول : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم .... الآية » ولكنه مع ذلك كله لا يعطيهم ، ويقول لهم : إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم عليه ، وإلا فبيننا وبينكم السيف !

فهو قد علل الإعطاء بالمصلحة ، إذ كان الإسلام بحاجة إلى استرضاء هؤلاء وتأليف قلوبهم ، فلما ارتفعت هذه الحاجة بعزة الإسلام ، لم يبق إلى استمرار الحكم من سبيل .

يقول الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور .

وإنك لتجد في فقه المذاهب كثيراً مما علق الحكم فيه على العادة والعرف ، واعتبر فيه تغير الزمان :

١ ــ يقول المالكية : إن المرأة إذا مات عنها زوجها يستحب لها أن تلبس السواد زمناً ، رعاية لحقه ووفاء له ، ثم يقولون : إلا إذا كان السواد زينة قوم والبياض حدادهم ، فإن حدادها عليه حينئذ لبس البياض !

٢ ــ إن النبى صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من إقط ، وهذه كانت غالب أقواتهم بالمدينة . فأما أهل بلد قوتهم غير ذلك ، فإنما عليهم صاع من قوتهم ، كمن قوتهم الذرة أو الأرز أو التين أو غير ذلك . فإن كان قوتهم من غير الحبوب : كاللبن واللحم والسمك ؛ اخرجوا فطرتهم من قوتهم كائناً ما كان ، وهذا قول جمهور العلماء .

وقد اجتهد علماء الأحناف إلى أبعد من ذلك ، فنظروا إلى العلة التى من أجلها فرضت الزكاة في هذا اليوم ، وهى الترفيه عن الفقير وإغناؤه عن المسألة ، فأجازوا إخراج قدرها من المال ، لأنه أنفع له وأيسر لسد خلته !

٣ ــ وكثيرا ما تجد في كتب الحنفية قولهم هذا : تغير عصر وأوان ، لا تغير حجة وبرهان . يقولون هذا تعليلاً لاختلاف المروى عن أمامهم أو أحد أصحابه في المسألة الواحدة .

فالمسألة إذن مفروغ منها ، والأمر فيها بين واضح ، وأساسها المصلحة التى جعلها الله أساسا لكل شيء !

ولقد جنى على الشريعة الإسلامية حملتها في بعض ما مضى من الزمان ، فأظهروها للناس بمظهر الشريعة الجامدة في أحكامها التى يضيق صدرها بما يحدث للناس من نظم ، أو يرون الأخذ به من أسباب ، ولم يحاولوا أن يدرسوا هذه النظم والأسباب ليتبينوا أمرهما ، فإن وجدوا خيرا وصلاحاً فإن الله لا يأبى الخير والصلاح ، ولابد أن يكون في الشريعة السمحة منفذ إليهما ، وإن كانت الأخرى أنذروا قومهم ، وأقنعوهم بالضرر فيما هم عليه مقبلون ، أو به آخذون .

لم يفعلوا ذلك ولكنهم اكتفوا بالصياح والشغب على الناس ، وتنكبوا طريق أهل العلم في الإقناع أو الاقتناع ، والشغب والصياح لا يجديان شيئا في قضايا العلم ، ولا يصلحان أداة له في هذا الزمان !

على الأزهر الحديث إذن أن يرأب ما أثأت يد الغفلات إذا أراد أن ينظر الناس إلى الفقه فيما يأخذون به من تشريع ، ويسنون من قانون .

على الأزهر الحديث أن يلبى مطالب الزمن ، وأن يعرف مواضع الحاجة القومية فيجتهد في وضع حلول من الفقه الواضح الجيد لهذه المشاكل التى تعرض للناس في حياتهم الاجتماعية : في بيوتهم ، وتجارتهم واقتصادهم ، وقضائهم ، وعقوباتهم !

عليه أن ينظر فيما جد من الأقضية والأحداث والنظم ، فيعرض كل ذلك على الفقه ليعرف الوجوه التى كانت بها مخالفة له ، والوجوه التى يمكن بها أن توافقه أو يقنع الناس بأنها أشياء في غيرها غنى عنها وعوض منها .

وها نحن أولاء نشهد طلائع ذلك على يد طائفة من مفكرى الأزهر وبقيادة شيخه المصلح العظيم .

ولن يمضى زمان طويل حتى يكثر فينا هذا الصنف من الفقهاء ، المنتجين المجددين ، وحتى يسحب الزمان ذيل العفاء على « فقهاء بيزنطة » الجامدين !

محمد محمد المدنى

١٩٤٠

شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

كان الفقهاء الأولون من المسلمين مثلاً عليا في النشاط العلمى ، والتفكير العقلى ، والجرأة على الدراسة والشجاعة في مواجهة الحقائق . درسوا كتاب الله وسنة رسوله ، وفهموا مقاصد الشريعة ، وأدركوا أسرارها ، وعرفوا أحوال عصرهم ، وعادات قومهم ، واجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد ، ولم يقصروا في ناحية من نواحى النظر ، حتى ملأوا طباق الأرض علماً ، ووسعوا دائرة الفقه ، وجعلوا من مباحثه صوراً تمثل حياة الناس في عصورهم تمام التمثيل ، ونشروا علمه الخفاق على دور الحكم والولاية والقضاء ، ومراكز الإدارة والسياسة ودوائر الأموال والأعمال !

ثم دار الزمان دورته ، وجاءت من بعد ذلك عهود ركدت فيها ريح الفقه ، وغلقت أبواب الاجتهاد ، وأصبح الفقهاء رواة لمن كانوا قبلهم يرددون أقوالهم ، ويشرحون عباراتهم ، ويدرسون ألفاظهم ، ويتعصبون لمذاهبهم ، وابتعدوا بالفقه عن الحياة الواقعية ، واحتفظوا منه بصور أثرية تتحدث عن عصور منقرضة وتصف أحوالاً مندثرة ، وكان من آثار ذلك نفور أهل الحكم والسلطان منه لشعورهم بأنه على صورته التى صار إليها لا يلبى حاجات الأمم ، ولا يصلح عيوبها ، ولا يحل مشاكلها . وكان من آثار ذلك أيضا أن انقطعت الصلة بين أهله وبين المجتمع ؛ إذ أصبحوا غرباء عنه ، يعيشون في واد غير واديه ، ويدرسون أحوالاً غير أحواله . ثم كان من آثار ذلك أن دخلت التشريعات الأجنبية على بلاد

شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

المسلمين ، فأصبحت دستور الحكم ، وأساس الإدارة ، وقانون القضاء ، وعماد النظام في كل ناحية من نواحي الأعمال !

هكذا كان الفقه وهكذا صار !

* * *

كثيرا ما أسائل نفسي : هل كان الفقهاء الأولون طرازاً غير طراز سائر الناس ؟ هل منحهم الله ما لم يمنحه أحداً من بعدهم فآتاهم من العقل ما لم يؤت العقلاء ، ورزقهم من صحة الفهم وقوة الادراك ما لا ينبغي لأحد بعدهم من ذوي الفهم والادراك ؟ هل فتحت كنوز العلم والمعرفة والنظر عنصراً من الزمان ثم غلقت أبوابها وأحكم رتاجها فلن تفتح بعد ذلك لأحد من العالمين ؟

إني أحب هؤلاء الفقهاء وأجلهم ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أجيب عن هذه الأسئلة « بنعم » ، لأن فضل الله أوسع من أن يقصر على زمان دون زمان ، أو يختص بقوم دون آخرين .

لا أستطيع أن أجيب « بنعم » لأن كتاب الله خالد والخطاب به عام لجميع الناس سواء منهم المتقدمون والمتأخرون : كلهم مطالبون بأن يتدبروه ويعقلوا هدايته ، ويدركوا أسراره ، ويلقنوا (١) منه حجة الله على عباده ، وينتفعوا في دينهم ودنياهم . ولو جاز أن تقف العقول البشرية عن متابعة هداية الله ، وعن تدبر كلمات الله ، لما قامت حجة الله على المتأخرين من الناس كما قامت على المتقدمين منهم ، ولما كانت هناك فائدة عملية في أن يضمن الله الحفظ والخلود لكتابه الكريم !

إذن فما بالنا قد حرمنا أنفسنا هذا المتاع العقلي . وهذه اللذة الفكرية فلم ننظر كما نظروا ، ولم نجتهد كما اجتهدوا ؟ بل لماذا رضينا أن نكون صدى لهم في كل شيء ، حتى لنستشيرهم ولا نستشير عقولنا في أحوال شهدناها وغابوا عنها ، ورأيناها رأي العين وتوهموها ؟ !

« شروط الاجتهاد » هي التي قضت علينا بذلك ! نعم شروط الاجتهاد التي تصورها أهل العلم من المتأخرين شيئاً هائلاً رهيباً ، وأسرفوا في تقييد أنفسهم وتقييد الناس بها ، وأقاموا منها حجاباً بين العقول وما أوسع الله لها من مدى في التأمل والتفكير !

أبى المتأخرون إلا أن يجعلوا للاجتهاد شروطاً ، ثم زعموا للناس أن هذه الشروط صعبة لا يستطيعها أحد ، كثيرة متشعبة لا تكاد تجتمع لأحد ، فأغلقوا باب الاجتهاد ، وأوجبوا على الناس أن يقلدوا ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى أوجبوا عليهم تقليد فقهاء معينين ينتسبون لهم ، ويزعمون أنهم أولى بالاتباع من غيرهم ، ولكن أقوالهم اضطربت في ذلك اضطراباً يثير الظنون ، ويغري بالتهم : فقالت طائفة منهم : لا يجوز لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر . وقالت طائفة أخرى ، لا اختيار بعد الأوزاعي وسفيان . وقال قوم : ليس لأحد أن يختار بعد الشافعي ، وقال آخرون : ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة ، ولما اشتهرت المذاهب الأربعة المعروفة وكان لها أتباع ومتعصبون يخشى بعضهم كيد بعض ، اصطلحوا فيما بينهم على أنه لا يجوز تقليد أحد سوى هؤلاء الأئمة ، فجعلوا لحكمهم أثراً رجعياً ينسحب على جميع الفقهاء الذين اجتهدوا ، فلم يعد لأحد أن يأخذ بقول الليث أو سفيان أو غيرهما من أصحاب المذاهب التي لم ترزق من الجد وحسن الطالع ما رزقته هذه المذاهب المعروفة ، فانقرضت ولم يبق لها أنصار يدافعون عنها ، ويدعون إليها .

فعلوا ذلك كله ، وألقوه في روع العامة كأنه عقيدة من العقائد ، وشغبوا به على أصحاب العقول الراجحة ، والأفكار الحرة ، وأعلنوا عليهم حرباً طاحنة ، جيوشها العامة والدهماء ، وأسلحتها التكفير والرمي بالزندقة والخروج على إجماع الأمة ، والطعن في الأئمة الذين ارتضاهم المسلمون ... الخ ، ثم عكفوا على كتب بخصوصها لا يعرفون غيرها ، ولا يعتمدون على سواها ، ولا يتلقون شريعة الله إلا منها ، ذلك بأنها ألفت على هذه الشريطة في عصور التأخر الفقهي ، وزعموا أن الدنيا خلت ممن يستطيع أن يخرج على هذه الكتب ، أو يتكلم في العلم دون أن يعتمد عليها ، بل حرموا على الناس أن ينظروا في كتاب الله أو سنة رسوله نظر العلماء المستنبطين ، وأوجبوا على العالم ألا يقضي ولا يفتي بشيء منهما حتى يعرضه على ما تنقله هذه الكتب من أقوال مذاهبهم ، فإن وافقها جاز الحكم به ، وإلا وجب رده وعدم قبوله !

تلك آثار بعيدة المدى ، لا يزال الفقه الاسلامي يعانيها ويحمل إصرها وأغلالها ، ويتعثر في أشواكها وعقابها ، وهو الفقه الذي ورثناه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه من بعده ، وعن الأئمة المهتدين ، قوياً لا يعرف الضعف ، ناشطاً لا يعرف الجمود ، واسعاً لا يضيق صدراً بالنوازل والأحداث !

شروط ؟ ومتى كان للاجتهاد شروط ؟ هل ذكرت في كتاب الله أو في سنة رسوله ؟ هل كان الصحابة الذين اجتهدوا واختلفوا وتعددت آراؤهم يعرفونها ؟ وهل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهاهم عن الاجتهاد أو يشترط له شروطاً خاصة ؟

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم مع تفاوتهم علما وفهماً وإدراكاً لأسرار التشريع يجتهدون ويختلفون فيما بينهم ، وربما انفرد الواحد منهم بالرأي لا يراه غيره ، ولقد وجد من بعدهم عشرات بل مئات من المجتهدين ، وكانت لهم حرية فكرية واسعة المدى ، فأين في هذا كله خبر تلك الشروط وأين حسها ؟ وهل زعم أحد أنهم أعدوا أنفسهم أولاً لنيل شروط معينة ، وأشهدوا الناس على أنهم حصلوها ثم أخذوا بعد ذلك ينظرون ؟ كلا فليس الاجتهاد منصباً تمنحه الأمة وتمنعه ، وإنما هو رتبة علمية يشعر بها العالم من نفسه ، وليس كل أحد يدعي ذلك . ولم نسمع أن أحداً من أهل العلم قد التمسه أو أقدم عليه دون أن تكون له أداته الطبيعية ، وليس الناس ملزمين برأي من الآراء كأنه فريضة محكمة ، وإنما هو العلم أساسه الحجة والبرهان ، ولو اتفق الناس على أن رجلاً منهم صار من أهل الاجتهاد لما أعفاه ذلك من تمحيص العقول لآرائه ، والتثبت من حجته . ولو أنكر الناس على رجل منهم هذه المنزلة لما أعفاهم ذلك من الخضوع لرأيه حين تكون الحجة إلى جانبه .

فليس الأمر إذن أمر شروط تشترط ، وإنما هو العلم يجب أن تسمع كلمته من أي فم كان ، وأن تفهم وتقبل إذا كانت حقاً ، وأن ترفض وترد إذا كانت باطلاً ، والحق أحق أن يتبع !

* * *

ولكن ، لندع هذا كله جانباً ولننظر في نفس

هذه الشروط كما يصورها الذين خوفوا الناس بها ، وحجروا على العقول من أجلها !

تصفح ما شئت من كتب الأصول التى وضعها المتأخرون ، واقرأ ما شئت من هذه الشروط ، تجده يبدو لك أول الأمر عسيراً لا يستطاع تحقيقه ، فإذا راجعت فيه الشروح والحواشي والتقريرات ، وجدت الأمر على خلاف ما بدا لك ، ووجدته شرطاً هيناً سهل الحصول .

قالوا : أول شروط الاجتهاد أن يكون المرء عالماً بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم جعلوا يضخمون هذا الشرط ، فحكوا لنا خلاف العلماء فيما يجب علمه من السنة ، فقالوا : ألفان ، وقالوا عشرة آلاف ، حتى زعم بعضهم أنه سأل أحمد بن حنبل : كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي ؟ يكفيه مائة ألف ؟ قال : لا ، قال : ثلثمائة ألف؟ قال : لا ، قال : أربعمائة ألف ؟ قال : لا ، قال : أيكفيه خمسمائة ألف ؟ قال : أرجو !

لا تخف ـ أيها القارىء ـ ولا تستصعب الأمر ، فإن شارح التحرير يقول : « إن ذلك محمول على الاحتياط والتغليظ فى الفتيا (٢) » ، وإن الغزالى يقول : « لا يشترط معرفة جميع ما فى الكتاب ، بل ما تتعلق به الأحكام .. ولا يشترط حفظها عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عالماً بمواضعها بحيث يطلب منها الآية المحتاج إليها فى وقت الحاجة ، ولا يلزم حفظ السنة عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عنده أصل مصحح لجميع الأحاديث المتعلقة بالأحكام . ويكفيه أن يعرف مواقع كل باب فيراجعه وقت الحاجة (٣) » .

فانظر كيف بدأ هذا الشرط عسيراً هائلاً ، ثم عاد خفيفاً هيناً !

وقالوا : لابد أن يكون قادراً على التمييز بين الصحاح والحسان والضعاف من الأحاديث ، بحيث يعرف حال رجال الاسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث بأحد هذه الأوصاف ، والشوكانى يعلق على هذا الشرط فيقول : « وليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال (٤) » ، وكذلك يقول صاحب مسلم الثبوت : « مع العلم

● كان الصحابة يجتهدون ويختلفون فيما بينهم .. وقد يتفرد أحدهم برأى لا يراه غيره

بحال الرواة ، ولو بالنقل عن أئمة الشأن (٥) » .

وقالوا : لابد أن يكون عالماً بمسائل الاجماع ، وبالناسخ والمنسوخ . ويقيد الشوكانى هذا الشرط بقوله : « إن كان ممن يقول بحجية الإجماع ويرى أنه دليل شرعى (٦) » .

ويقول الغزالى : « وليس معنى ذلك أنه يلزمه أن يحفظ جميع مواقع الاجماع والخلاف بل فى كل مسألة يفتى فيها فينبغى أن يعلم أن فتواه ليس مخالفاً للاجماع . إما بأن يعلم أنه موافق مذهباً من مذاهب العلماء أيهم كان ، أو يعلم أن هذه واقعة متولدة فى العصر لم يكن لأهل الاجماع فيها خوض (٧) » .

أما الناسخ والمنسوخ فهذه كتب التفسير والحديث تعد بالمئات وقد تكفلت ببيان مواضع النسخ بياناً شافياً ، على أن جهابذة العلماء لا يرون القول بنسخ شيء من الكتاب الكريم .

شرطوا بعد ذلك أن يكون المرء عالماً بلسان العرب وعلم أصول الفقه ، ثم قالوا إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه الخ .

والأمر فى ذلك يسير وإن بدا متعسراً فعندنا من العلماء من يعرف لسان العرب كما كان يعرفه العرب أنفسهم ، ومن فاق الأولين بصراً بعلم أصول الفقه وقدرة على التصرف فيه ، وبين أيدينا جميع مؤلفات العلماء فى ذلك وفى قدرتنا أن نستخرج منها ما نريد ، وقد قربوها كما يقول الشوكانى أحسن تقريب !

هذه هى شروط الاجتهاد كما يراها المتأخرون ، وهى شروط فى المجتهد المطلق الذى ينظر ويستدل ويستنبط فى جميع أبواب الفقه ، فأما الذى ينظر فى باب دون باب ، أو فى مسألة دون مسألة فالأمر فيه أيسر ، وقد أجازوا له ذلك دون أن يشترطوا فيه إلا « أن يكون على بصيرة فيما يفتى » .

فأى شيء فى هذه الشروط يصعب تحقيقه ؟ وكيف يقال ذلك فى عصر العلم والمراجع والمكتبات والفهارس والمذياع وجمعيات المراسلات والمؤتمرات العلمية والصحف والمجلات والدراسات المنظمة ، وهو لم يقل فى عصور كانت العلوم فيها ناشئة ، وكان العلماء فيها يرحلون للحديث الواحد من بلاد إلى بلاد !

* * *

أما بعد فقد أتى على الناس حين من الدهر كان التدين فيه هو طابع الحياة ، وكانت مظاهر الورع والتقوى والصلاح تستطيع أن تغطى القصور والضعف وقلة الانتاج .

أما اليوم فإننا فى زمان هجمت علينا فيه الثقافات من كل جانب ، وأصبح الناس بحاجة إلى التوسع فى العلوم ، وتلبية مطالب الحياة ، وأصبح النضج الفكرى عنوان التقدم ووسيلة الاحترام .

فإذا التمس العلماء أن يعيشوا فى العصر الحديث بما كانوا يعيشون به فى العصر القديم فقد التمسوا المحال .

محمد محمد المدنى

المدرس فى كلية الشريعة

١٩٤٢

الهوامش

(١) لقن فلان الكلام من فلان : أخذه عنه مشافهة وفهمه .

(٢) شرح التحرير ج ٣ ص ٢٩٢

(٣) المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٣٥١

(٤) إرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٣٤

(٥) مسلم الثبوت ، نسخة الشرح ، ج ٢ ص ٣٦٣

(٦) إرشاد الفحول ص ٢٣٤

(٧) المستصفى ج ٢ ص ٣٥١

أزمة المسرح العربي

يوسف ادريس — سعد الدين وهبه — علي سالم — يسرى الجندى





شهادات حية يقدمها أربعة من كبار كتاب المسرح

رسالة القاهرة تكتبها : سارة

نشرت الدوحة في العدد الماضي الحلقة الأولى من هذا التحقيق الواسع حول أزمة المسرح العربي وهذه هي الحلقة الثانية التي يجيب فيها أربعة من كبار كتاب المسرح عن السؤال الأساسي : كيف ترون أزمة المسرح وما هو الحل ؟

يوسف إدريس

«٨ مسرحيات»



- الفرافير هي أول ظهور للمسرح العربي المتكامل .
- كُتّاب المسرح في تونس والمغرب يرفضون الاعتراف بحقي في الريادة المسرحية ويشاركهم كثير من النقاد والمخرجين في مصر
- كان يجب أن أظهر منذ ٥٠٠ سنة حتى يعترفوا بحقي في خلق المسرح الشعبي العربي المتكامل .

• بداية وجود المسرح الفعلي كمسرح مؤلف كانت على يد يعقوب صنوع ، ولكنه لم يكن مسرحاً متكاملاً ، ولكن نستطيع أن نؤرخ به لظهور المسرح كفكرة أو كمبدأ ، وتتالي بعد ذلك تطور المسرح من محمد تيمور وجورج أبيض ويوسف وهبي حتى فترة الثلاثينات عندما بدأ توفيق الحكيم يكتب مسرحه الفكري ، وكان تطور المسرح في تلك الفترة يعتبر انعكاساً للمسرح الأوروبي وظل هذا قائماً إلى أن ظهر جيل من كتاب المسرح بعد الحرب العالمية الثانية وبعد ثورة ٢٣ يوليو عندما قدم نعمان عاشور مسرحيته المغناطيس .

• في اعتقادي أنا كمؤلف مسرحي يحمل

نظرية مسرحية خاصة به والتي أصبحت عامة في العالم العربي ، أنني بعد كتاباتي للمسرحيات التقليدية : « ملك القطن ، وجمهورية فرحات ، واللحظة الحرجة » ، والتي توقفت بعدها عن الكتابة المسرحية لأنني اكتشفت أنني كنت أعكس أيضاً الشكل والموضوع الأوروبي المسرحي ، لذلك توقفت عام ٦٢ . ومنذ ذلك العام وحتى عام ٦٣ بدأت تنضج عندي فكرة ومحاولة العثور على المسرح العربي المصري الشعبي ، ولقد عارضني النقاد والكتاب بشدة ومنهم نعمان عاشور ، وقالوا إنه لا يوجد مسرح عربي أو مصري شعبي وإنما يوجد الشكل الأوروبي للمسرح والذي يتكون من ثلاثة جدران وخشبة وما علينا نحن إلا أن نصنع داخل هذا الإطار موضوعاً مصرياً ، ولكني رفضت كل هذه الآراء وأصررت على وجود شكل عربي للمسرح وقد اتخذ أشكالاً كثيرة منها الزار والعزاء في المآتم والسامر والأراجوز وأشياء أخرى كثيرة من الممكن استيحاؤها لخلق شكل مسرحي مصري عربي ، وعلى أساس نظريتي الخاصة كتبت مسرحية « الفرافير » عام ٦٣ ، وقدمت على المسرح عام ٦٤ ، وقد أحدثت ضجة كبيرة .

• إذن فإن مسرحية « الفرافير » هي أول مسرحية مصرية متكاملة . بعدها بدأ النقاد الاعتراف بوجود مسرح شعبي مصري ، وقال عنها توفيق الحكيم بأنها المسرحية المصرية الوحيدة في التراث المسرحي المصري ، وقال عنها أيضاً أحمد بهاء الدين بأنها جوهرة مسرح الستينات ، ولم أكتف بالبحث عن شكل ومضمون شعبي مصري وإنما ضمنت نظريتي في المسرح فكرة « التمسرح » والتي تعني إشتراك الجمهور داخل المسرحية .

• منذ ظهور « الفرافير » بدأ البحث عن أشكال مسرحية عربية في كل البلاد العربية وحتى في مصر ، وبعد عشر سنوات من نظريتي التي أثبتها في « الفرافير » بدأ « الطيب الصديقي » في المغرب يخلق ما سمي بمسرح التراث ، وبدأ مسرح « محمد الماغوط » « ودريد لحام » في سوريا ، ومسرح « تحية كاريوكا » في مصر ، والغريب أن إخواننا في المغرب وتونس ادعوا لأنفسهم حق الريادة في خلق المسرح العربي المحلي ، وتجاهلوا حتى مقالاتي التي كتبتها بعنوان « نحو مسرح مصري » والتي نشرت بمجلة الكاتب ، والتي احتواها كتابي « نحو مسرح عربي » .

• أستطيع أن أقول دون أن أتهم بالغرور والادعاء ، وبشهادة توفيق الحكيم أكبر كاتب مسرحي معاصر وبشهادة كبار النقاد د . الراعي ود . القط بأن الفرافير هي أول وجود للمسرح العربي المتكامل والتي لم تتكرر بعد ذلك إلا بأشكال استيحاء التراث والحواديت الشعبية في سوريا وتونس والمغرب ، وكذلك الكويت والعراق إلى حد ما .

• أنا لا أشكو من الجحود الذي بلغ إلى حد أنني لم أدع إطلاقاً إلى أي مهرجان أو مؤتمر مسرحي عربي ، لأن مشكلة الكتاب العرب والمشرفين على هذه المهرجانات أنهم دخلوا في تنافس شديد مع كل ما هو جديد في مصر بهدف إلغاء هذا الجديد ، وإلغاء الاعتراف به باعتبار أن القاهرة الثقافية قد اندثرت في اعتقادهم ، وتصور كتاب المسرح في تونس والمغرب أنهم حملة راية التجديد في المسرح العربي ، وتجاهلوا دعوتي خشية أن يتعرف الجمهور العربي على الأصل الذي تأثروا به ويرفضون الاعتراف به . والمؤسف أن كتابنا المصريين يشاركونهم في عدم الاعتراف بحقي في الريادة وكذلك عدد كبير من المخرجين وجيل النقاد الشباب ، يبدو كعادتنا نحن العرب ونظراً لقرب المسافة الزمنية كان يجب أن أكون قد ظهرت منذ ٥٠٠ سنة حتى يعترفوا بحقي في خلق المسرح العربي الشعبي المتكامل .

• ازدهار المسرح في الستينات يعود إلى أن تلك الفترة كانت بداية المجتمع الجديد في مصر ، ولذلك كان هناك أولاً إطمئنان على « أكل العيش » ، وثانياً تبني الدولة وإنفاقها بسخاء على المسرح ، وثالثا لم تكن هناك « موجة » الانفتاح . فاستطاع الكاتب أن يجد من الوقت ومن مناصرة رسمية للمسرح ما يستطيع به أن يخلق ويبتكر في عالم المسرح .

• أزمة المسرح المصري بدأت في منتصف السبعينات نظراً لتغير التركيب الطبقي للمجتمع المصري ، فظهرت طبقة الحرفيين وأصحاب الدخول غير المنظورة ، والذين يشكلون الآن غالبية رواد المسرح ، والذين رفضوا نظراً لعجزهم الثقافي ما يمكن أن نسميه بالمسرح الجاد ، حتى الكوميديا الجادة رفضوها ، وأحالوا مسرحنا إلى كباريه رخيص ، وهذا يؤكد نظريتي التي تقول إن الجمهور هو صاحب المسرح ، فبمقدار التغير الذي يحدث في نوعية الجمهور يحدث التغير في المسرح ، ولذلك ازدهر مسرح القطاع الخاص ازدهارا خطيراً وأصبح لدينا ما يسمى بالمسرح السياحي .

• بالإضافة لذلك هناك مشكلة أخرى أدت إلى تفاقم الأزمة وهي انتشار التليفزيونات والمسلسلات العربية ، والتي من باب التنافس أصبحت تدفع مبالغ خيالية للممثلين ، فتكالب ممثلونا على هذه المحطات وهجروا المسرح ، وهذا كفيل وحده بانهياره .

• التليفزيون مسئول مسئولية مباشرة عن تدني ذوق الجمهور منذ بدايته ، لخلقه ما يسمى بفرق التليفزيون العشر ، وهذه الفرق هي التي انحدرت بالمسرح إلى الحضيض ، وهي التي أنتجت لنا نجوماً وأصحاب مسارح « الكباريه » الخاصة ، وقد كان هذا مخططاً متعمداً لهدم فكرة المسرح القومي باعتبار أنه كان يشكل خطراً ثقافياً حقيقياً بما كان يتضمن من آراء وأفكار .

• عندما عين كرم مطاوع رئيساً لهيئة المسرح ، طلب مني أحد الأصدقاء أن أهنئه على هذا المنصب ، وكان ردي أنه يستحق أن أعزيه لأنه لا أحد يستطيع اتخاذ أي إجراء لإنقاذ المسرح من انهياره ، فالأزمة معقدة ومتشابكة تبدأ كما قلت في كيفية استعادة الجمهور ، وفي التراخي الشديد في هيئة المسرح وعدم القدرة على السيطرة على الممثلين وتنتهي بوضع الممثلين الإقتصادي .

• الحل المعقول في رأيي هو في تشكيل فرق مسرحية طليعية صغيرة في الجامعات وفي مسرح الطليعة تأخذ على عاتقها تربية جمهور جديد من المتعلمين أو حتى من الفئات الأخرى التي تحتاج فعلاً لمسرح جاد ولا تجده . المسرح الجديد الجاد يجب أن يقوم على أكتاف هواة لا يعبأون بالمادة كثيراً ، والذين يتجاوز طموحهم الفني طموحهم المادي ، وهذا هو الخلاص .

• لا توجد مسرحية جديرة بالتوقف أمامها خلال السنوات العشر الأخيرة ، بالنسبة لمسرحية « الوزير العاشق » لا يمكن أن تصنف كمسرحية لأنها عبارة عن خطب حماسية ، وأنا غير مغرم بمسرح نجيب سرور « منين أجيب ناس » لأن مسرحه مسرح خطابي أيضاً ، وأما مسرحية « عرابي » فهي مسرحية ملحمية ، وأنا غير مؤمن بالمسرح الملحمي والذي هو عبارة عن تقريظ مستمر للبطل ، فأنا لو كتبت مسرحية « عرابي » لاستخرجت بذور هزيمة عرابي من شخصيته وتكوينه الساذج الذي لم يرتفع لمستوى الثورة بدليل تردده في خلع الخديوي مما أدى إلى أن تدور الدوائر عليه وتفشل الثورة .

• لدينا عدد كبير من الممثلين الممتازين ، ولكن للأسف فإن فكرة الهواية وعشق المسرح قد اندثرت في أعماقهم ، وحلت محلها فكرة العائد المادي ، وكثير من الذين يدخلون معهد التمثيل اليوم يدخلون بحثاً عن النجومية والمكاسب المادية . لم يعد حب المسرح هو السبب الرئيسي لدخول المعهد كما كان يحدث في الماضي ، لأن مهنة « التمثيل » أصبحت تدر دخلاً خيالياً . يكفي أن ينجح ممثل في رواية ليصبح نجماً ويتقاضى في مسلسل واحد ضعف ما تقاضيته أنا ونعمان عاشور وتوفيق الحكيم طوال حياتنا !

• يسري الجندي وأبو العلا السلاموني وصلاح عبدالسيد مشاريع جيدة لكتاب مسرح جيد .

أزمـــة المسرح العربي

سعد الدين وهبة

"٢٠ مسـرحيــة"



■ الستينات كانت فترة ازدهار للمسرح وسائر الفنون.

■ السبعينات كانت مرحلة الأزمات السياسية والاجتماعية وقد انعكست هذه الأزمات على المسرح وسائر الفنون.

■ لم يلفت نظري أحد من كتاب الجيل الجديد بعد محمود دياب وعلي سالم.

• المسرح كما هو معروف فن غير عربي وليس له جذور عربية ، بمعنى أنه فن وافد ، بدايته كانت في القرن التاسع عشر ، وإن كانت القاهرة قد عرفت العروض المسرحية مع الحملة الفرنسية التي صاحبتها بعض الفرق الفرنسية ، وفي عهد محمد علي حضرت أيضا بعض الفرق الإيطالية وقدمت عروضها ، بعد ذلك ظهر يعقوب صنوع الكاتب المصري الذي يؤرخ بظهوره بداية المسرح المصري ، ثم تلا ذلك بعض الشوام الذين هاجروا إلى مصر مثل أبو خليل القباني وفرح انطون ، وباستثناء يعقوب صنوع كانت كل المسرحيات التي قدمت مترجمة أو معربة ، أما المسرحيات المؤلفة فكان أغلبها يدور حول أحداث تاريخية معارة من التاريخ سواء كانت حدثاً تاريخياً حقيقياً ، أو حدثاً تاريخياً متخيلاً مثل ألف ليلة وليلة كمصدر من مصادر الالهام لكتاب تلك الفترة .

• أستطيع أن أقول إن بداية المسرح المصري المتكامل الجاد كانت بوجود المؤلف والممثل والمخرج المصري ، وهي بالتحديد في ثلاثينات هذا القرن ، ولا أوافق على تحديد مسرح الستينات كبداية حقيقية متكاملة للمسرح المصري ، فقد سبق هذه المرحلة ، مرحلة الثلاثينات ، وكانت مرحلة ثرية ، كتب فيها توفيق الحكيم مسرحياته الممتازة مثل أهل الكهف وشهر زاد ، كما كان فيها مسرح شوقي وعبدالرحمن رشدي وعزيز أباظة ، ولا يمكننا تجاهل ثراء هذه المرحلة وغناها .

• مسرح الستينات اتخذ شكلاً خاصاً يختلف عن مسرح الثلاثينات ، ووجه الخصوصية أنه كان مسرح واقعية اجتماعية مثل مسرحي ومسرح نعمان عاشور ويوسف إدريس ، ومسرح الستينات ظهر في فترة تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وكان من البديهي أن تنعكس هذه التحولات على المسرح .

• الستينات كانت فترة ازدهار للمسرح وللفنون عموماً وحتى للسياسة والاقتصاد ، ففيها ظهرت مجموعة عدم الانحياز ، وزعامة عبدالناصر وتيتو ، وقامت ثورات في مناطق مختلفة من العالم ، واستقلت أكثر من ثلاثين دولة إفريقية وأكثر من ست دول عربية ، الستينات فترة خصبة في تاريخ إفريقيا والمنطقة العربية وهي فترة التحول الاجتماعي في مصر والقومية العربية وبداية تجربة الوحدة ، كل تلك الأحداث الكبيرة كان لابد من انعكاسها على الفن ،وأسرع الفنون إحساساً وتأثراً بالتغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هو المسرح ، إذن مرحلة الستينات حقبة خاصة في تاريخ العالم وليست فقط في تاريخ مصر أو في تاريخ المسرح المصري ، ولذلك ازدهر مسرح الستينات .

• مرحلة السبعينات كانت مرحلة الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي انعكست بدورها على المسرح والفنون عموماً ، السبعينات كانت فترة التمزق العربي وانعزال مصر ، والمشاكل الاقتصادية الداخلية والتي أعقبتها المشاكل السياسية ، وتلخصت كل هذه الأزمات في أحداث سبتمبر ١٩٨١ ، وكان من الطبيعي أن تنعكس كل هذه الأزمات على أوجه الحياة المختلفة ومساراتها بما فيها المسرح.





• منذ العام الماضي استعدنا تجربتنا الديموقراطية ، وهي الطريق الوحيد لتجاوز كل أزماتنا بما فيها أزمة المسرح ، إن سنواتنا القادمة ستكون أفضل من التي مضت على كافة المستويات ، لأن المجتمع تخلص من جزء كبير من مشاكله السياسية وإن كانت مشاكله الإقتصادية ما زالت معلقة .

• لا أوافق إطلاقاً على التهمة الموجهة للتلفزيون بإفساد ذوق الجمهور ، إن رغبة الجمهور بمشاهدة عروض المسرح التجاري أمر طبيعي ، ففي كل دول العالم يقبل المتفرج على المسرح الجيد كما يقبل على المسرحيات السوقية أو المضحكة ، يوجد في لندن المسرح السياحي بجانب مسرح شكسبير ، وفي فرنسا يوجد مسرح الكوميدي فرانسيز ومسرح البوليفار والتسلية ، ولا تعارض في ذلك ، وإقبال جمهورنا على المسرحيات الضاحكة ليست حالة فريدة تستحق الدراسة لأنها ظاهرة طبيعية كما قلت .

• البعض يعتبر أن جدية المسرح تعني « ثقل الظل » والكلام غير المفهوم ، ولا تناقض إطلاقاً بين المسرح الممتع والمسرح الجيد والمسرح الفكري ، والمسرح في كل دول العالم شيء جذاب أولاً ، وإنما لا يمكن أن آتي بفكرة عرجاء ثم أضعها في إطار مشوه وأقول إن الجمهور لا يقبل على المسرح الجاد .

• مسئولية الممثل تنحصر فقط في عدم تفرغه وتفضيله العمل التليفزيوني .

• في تاريخنا الأدبي منذ الستينات وحتى اليوم عدد من النقاد المتخصصين مثل لويس عوض والقط وعلي الراعي ، ومن الجيل الذي يليهم رجاء النقاش وأحمد عباس صالح وفؤاد دواره هؤلاء جميعهم نقاد مؤهلون لنقد المسرح لأنهم دارسون له : أما الانطباعات التي تكتب في صحفنا اليوم فلا علاقة لها بالنقد ، والنقد الجيد مرتبط ارتباطاً مباشراً بوجود المسرح الجيد .

• لم يلفت نظري أحد من كتاب الجيل بعد محمود دياب وعلي سالم ، وبالنسبة للممثلين المتازين فلدينا عدد كبير منهم .

• ظهور طبقة جديدة لها اهتمامات ومفاهيم خاصة لا يلغي إطلاقاً وجود الطبقة القديمة واهتماماتها .

• أغزر سنوات إنتاجي كانت في الستينات ، وآخر مسرحية طويلة كتبتها سنة ٧٤ بعد حرب أكتوبر ، وكتبت أيضاً بعدها مجموعة من المسرحيات ذات الفصل الواحد عام ٧٧ .

■ المسرح الناجح هو دائماً مسرح البهجة .

■ لا أتصور مسرحاً بدون جمهور ... وإذا انصرف الجمهور عن المسرح فالمسئول هو المسرح وليس الجمهور .

■ ثقتي في جمهوري لا حد لها ! فأنا أعرف كيف يفكر وكيف يعيش وأعرف مقدار دخله ومقدار ما يمكنه الاستغناء عنه وأعرف متى ينام ومتى يستيقظ .. وإذا عرف الفنان جمهوره استطاع الوصول إليه .

• البداية الحقيقية للمسرح الحديث المبهج في مصر كانت على يد يعقوب صنوع وهو « مسرحجي » مصري عبقري ، والمسرح المصري فيه صفات وبصمات أساسية تختلف عن بصمات المسرح الأوروبي وقوانينه ، وأبرز بصماته الخاصة أن يكون مهموماً ومهتماً ومبهجاً ، وأي مسرحية غير مبهجة فهي حتماً مسرحية غير مصرية ، يعقوب صنوع كان مسرحياً عظيماً بشهادة النقاد الغربيين الذين شاهدوه وكتبوا عنه ،بل هو أعظم المسرحيين طبقاً لما قرأته في شهادات المراسلين الأجانب الذين قالوا إنه كان قادراً على إضحاك الفلاح في نفس الوقت الذي كان قادراً على إضحاك الباشا ، وأنه كان ممثلاً حقيقياً للفلاح المصري بظرفه ووجهه النحيل ، يعقوب هو الذي أنشأ المسرح المصري العظيم بكل ما تحمله كلمة « إنشاء » من معنى .

• أما المسرح المصري بطبيعته فهو ممثل أعظم تمثيل في « المحبظاتيه » الذين كانوا يقدمون عروضهم في الأسواق ، وفي الشوارع والموالد والقصور ، وأستطيع أن أقول ككاتب كوميديا محترف ـــ وأنا مسئول عن كلامي هذا ـــ ان مسرحيتهم التي لخصها « إدوارد ليني » في كتابه « المصريون المحدثون عاداتهم وتقاليدهم » والتي تحكي عن خضرة وزوجها الفلاح المدان لضرائب الوالي بعشرة آلاف قرش ، أستطيع أن أقول إن

أزمـــة المسرح العربي

جميع كتاب الكوميديا عبر التاريخ كله لم ولن يستطيعوا أن يتخطوا هذه المسرحية التي وصفها «لين» في كتابه، وأزعم أنني لم أقرأ في حياتي مسرحية بهذا النبل وهذا القدر من الفكاهة، وإن التركيبة الدرامية لهذه المسرحية تثبت أن وراءها آلاف السنين من الخبرة، هؤلاء هم «المحبظاتية» الذين يرفض الجميع الاعتراف بهم، والذين تمنيت لو كنت واحداً من أحفادهم لأنهم قدموا أعظم كوميديا في التاريخ، واستطاعوا خلق ما يسمى بالكوميديا النبيلة التي تضحك الآخرين وتشرح لهم — في نفس الوقت — المأساة التي يعيشها الناس، لقد استطاعوا أن يحولوا المنشور السياسي النبيل إلى فكاهة جميلة جداً ومضحكة جداً، وأزعم بأنه لا أحد من الكتاب المعاصرين قادر على أن يكتب مثل تلك المسرحية، وأزعم أيضاً أنني أحاول مجرد محاولة لكتابة مثلها. ولقد اكتشفت مؤخراً أن أقدم إشارة «للمحبظاتية» وردت في كتاب د. الراعي الأخير عن «ابن دانيال» والذي جاء في حوار فيه «أنا محبظ الشيطان» ووجودهم يمتد إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ولذلك أعتقد أن تاريخ المسرح المصري يجب أن تعاد كتابته من جديد.

• أعتقد أيضاً أن تحديد مرحلة الستينات كبداية حقيقية متكاملة للمسرح المصري مجرد «نكته»، مرحلة الستينات كانت مرحلة ازدهار للمسرح لسبب بسيط وهو ظهور إكتشاف تكنولوجي جديد، ودائماً في حياة البشر يترتب على ظهور إختراع جديد تغييرات كثيرة نوعية وكمية، كان لابد من إعداد مواد تغذي ساعات إرسال التلفزيون، فأقيمت «بلاتوهات» في المسارح، وتم إحضار الممثلين المتسكعين في المقاهي، وتم تقديم رواية كل ثلاثة أيام. واكتشف الناس أنهم بحاجة لهذا النوع من الفنون وهو المسرح لأنه غذى احتياجات حقيقية عندهم، ولذلك ازدهر المسرح، ولم يكن المسئولون من أهدافهم بالتأكيد هذا الازدهار، لأن هذا الازدهار صنعه الناس بدافع ظهور مكتشف جديد، تماماً كما ترتب على ظهور «الفيديو كاسيت» في أيامنا هذه أن المثل الذي كان يستهلكه الناس في عشر سنوات، يتم استهلاكه اليوم في عشرة أسابيع.

• هذه الضجة المثارة حول ما يسمى بأزمة المسرح المصري ضجة لا أهمية لها، فالأزمة تنحصر في المبدعين الكتاب أنفسهم، وعادة يتحدث المثقفون عن أزمة المسرح عندما يكونون عاجزين عن كتابة مسرحية أو إخراجها أو حتى مشاهدتها، المسألة باختصار تتلخص في أن المثقف المصري غير عملي يكتفي بتذكير الدولة بواجباتها وإسداء النصائح والبكاء على انهيار مستوى الثقافة، وأنا في رأيي أن المثقف الذي يمتلك حلاً عليه أن يقدمه لنا بصورة عملية، القضية ببساطة تنحصر في المثقف العملي والمثقف-النظري.

• ما معنى أن ينجح عمل ما؟ أن ينجح عمل وخاصة في المسرح معناه أن يغذي هذا العمل احتياجات حقيقية عند شريحة أو شرائح من البشر، يمتعهم في الأساس، هذا هو مقياس النجاح الحقيقي. أما كيف أستطيع أن أحدد أنني نجحت فإنني أدرك ذلك عندما يأتي الناس ويدفعون ويغطون تكلفة العمل المسرحي كي يستمر، هذا هو المقياس. طبعاً من المكن أن تقولي قد ينجح عرض مسرحي هابط في تغطية تكلفته، فهل من المكن أن نعتبره عملاً مسرحياً ناجحاً؟ أجيبك نعم، وتظل بعد ذلك القضية نقدية.

• قد يتحمل الجمهور عملاً هابطاً لفترة ما، ومن المكن أيضاً أن يخدع الجمهور الفنان، يضحك على كلمات أو حركات سخيفة ثم يقاطعه فجأة ويتركه متألماً محسوراً، وهذا يفسر لك ما حدث في فترة الصيف، وهو وقت حي جداً للمسرح بالنسبة للمصري والعربي القادم في إجازة، ومع ذلك تم إغلاق مسرحيتين خلال يومين.

ملحوظة إعتراضية: تتبعت خبر توقف هاتين المسرحيتين، وقد علمت أن إحداهما توقفت لسفر أحد نجومها لحضور مهرجان والأخرى لمرض بطلها، وقد عاودت المسرحيتان نشاطهما خلال عشرة أيام بعد ذلك، كما أنه حتى كتابة هذا الموضوع ٢ سبتمبر لم تغلق أية مسرحية أبوابها، بل على العكس ستشهد الأيام القليلة القادمة افتتاح ثلاث مسرحيات: مونودراما «التربيع والتدوير» بطولة أحمد ماهر، ومسرحية «الهمجي» بطولة محمد صبحي و «روميو وجولييت» بطولة عبدالمنعم ابراهيم.

• أنا لا أتصور عرضاً بدون جمهور، وإذا حدث ذلك فهذا ليس ذنب الجمهور أنا ضد اتهام المتفرج بانحدار ذوقه، إذا قاطع الجمهور مسرحية فهذا يعني أنها لا تلبي احتياجاته الحقيقية، تماماً كالذي يفكر في إقامة مصنع للثلج في الإسكيمو، ستكون حساباته جيدة جداً في عمل مصنع الثلج وفي تركيبه للآلات وسينتج ثلجاً بالفعل لكن حيث لا يريده الناس، في رأيي أن اتهام المتفرج بانحدار ذوقه ووعيه يخفي عجزاً أو كسلاً عقلياً عند المبدعين، فمستوى وعي المتفرج في مصر وفي المنطقة العربية هو أعلى مستوى وعي فوق الكرة الأرضية، والحديث عن أمية الناس حديث «سخيف» وغير علمي لأن الجمهور لم يرفض عملاً جيداً حتى الآن، ولا يجرؤ كاتب أن يقول لقد قدمت عرضاً عظيماً ورفضه الناس.

• ودليلي على ذلك مسرحيتي الجديدة «الكلاب وصلت المطار» — تم تسجيل هذا الحوار

■ كتبت مسرحية «مدرسة المشاغبين» وكنت أعرف أنها سوف تهاجم ... فكل عمل ناجح لابد أن يتعرض للهجوم.

■ كانت مدرسة المشاغبين في البداية عرضاً جميلاً ثم أفسده الممثلون.

قبل عرض المسرحية ـ فأنا سأقدمها ضد قواعد وحسابات السوق ، وثقتي في متفرجي لا حد لها ، فأنا أعرفه جيداً ، أعرف كيف يفكر ، كيف يعيش ، أعرف مقدار دخله ومقدار ما يمكنه الاستغناء عنه ، أعرف متى ينام ومتى يستيقظ ، وإذا عرف المبدع متفرجه استطاع الوصول إليه ، وأنا عندما أدعو متفرجي فإنما أدعوه لأدثره بعباءة من العذوبة والفن الجميل ، والعقل لا يرفض ذلك . لا أحد يرفض العطف والحب ، لا أحد يرفض العناية الإنسانية والفن عناية إنسانية بالآخرين ، وأنا أكتب لنفسي ولأصدقائي ولمن هم على شاكلتي وهم كثيرون ، والقضية قضية الأعمال المجهدة المعروضة في السوق المصري والتي تزعم لنفسها درجة من الحقوق لا تستحقها ، ومحاولة إلقاء فشلنا على عاتق المتفرج وسيلة للهرب من العمل وهي تهمة مهينة لأنه يترتب عليها أن يذهب المبدع خارج الحدود بحثاً عن جماهير أخرى . لم يحدث في التاريخ أن قدم أحد سلعة ما يحتاجها الناس وبارت .

• لقد انصرف المتفرج لأول مرة عن المسرح في القطاعين الخاص والعام ، وهذا أمر بالغ الخطورة . هذا يعني أنه لم يعد هناك مصدر للبهجة ، لذلك نحن بحاجة لثورة حقيقية في المسرح المصري ، ثورة حقيقية يقوم بها ثوار حقيقيون ، وشروط هذه الثورة متوفرة عندي أنا ، وهذا ما أفعله في الوقت الحالي ، وأنا على وعي بأن ما أقوم به هو إنقلاب في المسرح المصري ، ثورة بكل المقاييس ، « الكلاب وصلت المطار » مسرحية بلا نجوم ولا حتى أنصاف نجوم ، مسرحية بها فن صارم جداً ومبهج جداً ، مسرحية أسعارها تتساوى مع أسعار هيئة المسرح ومع ذلك ستغطي نفقاتها ، كل ذلك يعني ثورة على كل المقاييس والمعايير الموجودة .

• هل احببت يوماً ؟ إذن لعلك تدركين ماذا تعني لحظة اللقاء بين عاشقين ، هذا هو إحساسي ونحن نعمل ليلاً ونهاراً ، ويبدأ العد التنازلي ترقباً ليوم الافتتاح ، فرحة الإنتظار تزداد لأن المتفرج الذي نحبه سوف يأتي لأننا على موعد معه ، فلا بد أن يأتي ، هذه حسابات خاصة ، حسابات خاصة بالعشاق الذين يحبون مهنتهم وأهلهم ، والمسرح المصري مبهج بطبعه وطبيعته ، وأي كاتب يقص قصته أو حكايته في غير إطار البهجة يعني أن هذا الكاتب لا يحب أهله بالدرجة الكافية .

• في عام ٧٥ ـ ٧٦ كتبت سلسلة من المسرحيات ذات الفصل الواحد للهواة ، مهم جداً أن نكتب لهم ، لأن الهاوي يبحث عن مسرحية يستطيع أن يمثل فيها بمتعة ، فإذا نجحنا في كتابة مسرحية تمنحه هذا الإحساس بالمتعة ، فإن هذا الإمتاع سينتقل للمتفرج ، ويبقى المسرح بدون خوف عليه .

• إن الشباب المنتشرين في آلاف القرى المصرية وفي مئات المدن والمراكز ، والذين يعشقون المسرح هم في أشد الحاجة لمن يثقون في فنيته وفي حرفيته ، يثقون في قدرته على كتابة مسرحيات تمتعهم عندما يقدمونها للناس ، وتمتع الناس عندما يقدمونها لهم ، وهؤلاء هم أحد الأسباب التي تدفع الكاتب للاستمرار في الكتابة ، وإذا اقتضى الأمر أن يقوم الكاتب بإخراج وإنتاج مسرحيته عليه أن لا يتردد حتى لو اضطر للاستدانة ما دام ذلك قد يحمي عمله من الفشل ، هذه ليست إرادة ـ يا سيدتي ـ ولكنه شرف المهنة ، من من حقه أن يتوقف عن اعتناق شرف مهنته ؟ هذا ضد الحياة ، فأنا أعمل منذ أربعين عاماً منذ أن كنت في العاشرة . لقد ولدت في مدينة دمياط ، وفيها يعمل الأطفال حتى قبل سن العاشرة ، لقد عملت في كل المهن « اللي ربنا خلقها » وهأنذا أخيراً أعمل « مسرحجي » أفهم كل ماله علاقة بالمسرح حتى طريقة كنس خشبة المسرح .

• منذ الأسبوع الأول كنت أعلم أن « مدرسة المشاغبين » سوف تهاجم ، وكلما قدمت عملاً ناجحاً سوف أهاجم ، هذه المسرحية كانت في يوم ما عرضاً جميلاً أفسده المثلون ، لقد عرضت لمدة شهور بمستوى جيد جداً ، ثم بدأ المثلون كل يوم بإضافة ما هو كفيل بإفسادها وتسخيفها ، وأنا غير مسئول عما لحقها من سخف ، وعدم مسئوليتي أعلنته منذ اليوم الذي بدأت فيه المسرحية بالانحدار ، وأعلنت أن هذه المسرحية لا تمثلني . وإذا كان الأمر حسب إدعاء البعض أن هذه المسرحية قد أفسدت جيلاً ، فإنه بإمكاننا إذن أن نصلح هذا الجيل بمسرحية أخرى !

• لقد أصابت فنانينا « لطشة فلوس » ، فأعمالهم الفنية تطغى عليها رائحة الفلوس أكثر من رائحة العرق والابداع ، الفنان المصري مهتم بأن يأخذ أكثر مما يعطي سواء كانت هذه حقيقة أم لا ، ولكن الحقيقة المؤكدة أن الجمهور معبأ نفسيا ضده ، فهو يسمع بالمبالغ الخيالية التي يتقاضاها الفنان وعندما يتفرج على أعماله لا يجد شيئاً له قيمة . نحن لم نكن نحقد على أنور وجدي لأنه كان يقدم لنا مقابل ما يأخذه ، ولم نكن نحقد على نجيب الريحاني لأنه كان يقدم لنا أكثر مما يأخذ .

• لدينا عدد كبير من المثلين المميزين فعلاً لأن التمثيل لا يعتمد على التحصيل بقدر ما يعتمد على الموهبة ، وأنا أحلم بإنشاء مركز البهجة المصري لاستيعاب طاقاتهم . ومن أبرز المخرجين الشبان والذي لمع اسمه بقوة في الفترة الأخيرة منير مراد مخرج « منين أجيب ناس » ، أما بالنسبة للكتاب الجدد فأبرزهم يسري الجندي وأبو العلا السلاموني ، وكاتب جديد وموهوب اسمه يحيى جاد ، أما أفضل المسرحيات التي قدمت فهي : سهرة مع الضحك من تأليفي ، ومنين أجيب ناس ، ومسرحية ريا وسكينة .

• لو تسلمت مسئولية المسرح لأصدرت قراراً يمنع الدولة من صرف قرش واحد على أية مسرحية الكل يعلم أنها رديئة سواء كان كاتب هذه المسرحية وزيراً أو ابن خالتي !

• ستظل المسرحيات الرديئة تقدم طالما ظل بيننا من لا يتمتعون بالنزاهة العقلية .

• النقد شبيه بالمسرح ، ينشط أحياناً ، وييأس أحياناً .

■ **إذا كانت مدرسة المشاغبين كما يقول البعض قد أفسدت جيلاً فمعنى ذلك أن بامكاننا أن نصلح هذا الجيل بمسرحية أخرى .**

■ **الفنانون عندنا أصابتهم لطشة « فلوس » وأعمالهم الفنية تطغى عليها رائحة الفلوس أكثر من رائحة العرق والإبداع .**

أزمـــة المسرح العربي

يســري الجنــدي

«١٤ مســرحيــة»



■ الفرافير تجربة متميزة ... أما القول بأنها كانت بداية المسرح الشعبي المتكامل فهو قول فيه كثير من التعسف .

■ الأزمة ليست أزمة مسرح بقدر ما هي أزمة واقع تعرض لردة شديدة بعد النكسة التي أعقبها انهيار القيم وانحسار الآمال الكبيرة .

■ لم تعد هناك مشاكل من الرقابة لأن المسرح لم يعد مؤثراً بصورة تدعو للقلق .

■ أطالب بإقامة تجمعات مسرحية أهلية .

■ وفاة محمود دياب خسارة كبرى للمسرح العربي .

إن بداية المسرح المصري المتكامل بمعنى بداية الحوار مع الواقع بمتغيراته الحقيقية بدأت بواقعية مسرح نعمان عاشور مع احترامي لريادة توفيق الحكيم . أما ما سبق ذلك فكان لبنات أضيفت للوصول إلى المسرح المصري المتكامل ، والذي نجح نعمان عاشور في الوصول إليه واستطاع أن يفلت بالمسرح المصري من صفة التبعية إما بالاقتباس أو التمصير أو التقليد ، وقد يعترض البعض ويقول إن لتوفيق الحكيم محاولات في هذا الصدد ، ولكني أقول ــ وهذا رأي خاص ــ إن علاقة الحكيم بالواقع كانت علاقة غريبة جداً وهامشية ، وأبلغ دلالة على ذلك كتابته « الأيدي الناعمة » إبان ثورة ٢٣ يوليو ، وقد حصر نفسه في فكرة فلسفية جامدة هي فكرة التعاون ، وأخذ يعزف عليها دون أن ينتبه إلى أن المسرح أساساً علاقة مع الجمهور ومع الواقع ، أما بقية كتاب الستينات مثل يوسف إدريس والفريد فرج فقد أقحموا المسرح في متاهات الدلالة والاسقاط والرمز ، مما عرقل إمكانية خلق مسرح شعبي ، ومع احترامي الكبير لهم وتأثري الكبير أيضا لعدد منهم ، لكن أحداً منهم لم يسع لخلق مسرح شعبي ، على العكس من ذلك فقد حقق الريحاني شعبية لمسرحه رغم أنه لم يكن مسرحاً شعبياً بالمعنى الحقيقي ، وهذا ما حققته أيضاً مسرحيات يوسف وهبي الميلودرامية ، ومن ناحية أخرى فقد كان حوار هؤلاء الكتاب مع السلطة حواراً اتخذ شكلاً تصادمياً ، ولكن هذا الحوار في جوهره كان نوعاً من التهادن ، كان توجههم لمخاطبة السلطة وطبقة المثقفين أهم من توجههم لمخاطبة الجماهير ، كما أن إحساسهم الذاتي كان يغلب على إحساسهم بالواقع العام ، وأعني الإحساس بتحقيق الذات فنياً ، ولكن نعمان عاشور استطاع النجاة من هذا المنزلق وظل وفياً لحواره مع الواقع ، حوار واضح يرصد التحولات ، ويضيء الاحتمالات بشكل سافر وصريح ، يشترك معه في ذلك محمود دياب الذي يتميز مسرحه بحساسية عالية جداً وأعتبره خسارة كبيرة للمسرح المصري والعربي .

• الفرافير كانت تجربة متميزة بشخصية الفرفور وهي شخصية أصيلة في الواقع المصري . وهي تجربة على الطريق ترد للمسرح المرتجل قيمته أما الزعم بأنها كانت بداية المسرح المصري الشعبي المتكامل ، فهذا زعم فيه كثير من التعسف بسبب بسيط جداً إذ أن هذه التجربة لم تجد امتداداً في أعمال الكاتب نفسه أو حتى في أعمال كتاب آخرين ، ولم نجد لها أثراً في واقعنا المسرحي المصري والعربي ، كما أن مفردات المسرح الغربي ما زالت مسيطرة ولم نستطع حتى اليوم الإفلات منها بشكل كامل ، بحيث أستطيع أن أرد كثيراً من تجاربنا المسرحية التي اعتبرناها متميزة إلى مفردات المسرح الغربي أو جانب كبير منها .

• الأزمة ليست أزمة مسرح ، بقدر ما هي أزمة واقع تعرض لردة شديدة بعد النكسة التى أعقبها انهيار لكثير من القيم وانحسار لموجة الآمال الكبيرة التى عاشها الناس مع قيام الثورة فى مصر ، وفى أعقابها مباشرة أيضا تضخمت الهجمة الشرسة في محاولة لتمزيق هويتنا الوطنية والقومية ، وقد اشتدت هذه الأزمة في السبعينات ، فكان لابد لكل تلك التحولات أن تنعكس على الواقع وعلى قيمه

وعلى وعي المجموع مما أدى إلى أن محاولة الوصول للناس بالعمل الجيد محاولة تتطلب مشقة بالغة ، وتكاد تكون مستحيلة أحياناً كثيرة ، وأن الاختلال الشديد لكثير من القيم والمعايير أدى الى ما يشبه الحصار لوعي الجمهور ، وأدى بالتالي إلى ضعف إحساسه بالانتماء لأن دوافعه ضعفت ولم تعد ثمة قضية . إن الجمهور جزء من هذا الواقع المتأزم ، واقع أصبح المعيار الأساسي فيه هو معيار الكسب ، أصبح هذا المعيار هوالقيمة العليا والتي تتحكم في الغالبية فماذا تبقى لنا إذن ؟!

• إن أبسط مظاهر الأزمة هو حصاد ما يقدم الآن : الأعمال الجادة قليلة ، والإقبال عليها أقل ، والساحة ــ تقريباً ــ للمسرح الهابط يعربد فيها بشراسة ، وترتب على ذلك تفصيلات كثيرة ، أدت إلى تفسخ مسرح الدولة وانصراف الممثلين إلى اهتمامات أخرى ، وتوقف عدد من الكتاب عن الكتابة ، كل هذا في ظل مناخ ثقافي ميت ، وقد ساعد التلفزيون بتجاهله للمسرحيات الجادة ــ إلا نادراً ــ واهتمامه بتقديم مسرحيات القطاع الخاص في تفاقم هذه الأزمة ، لأن جمهور اليوم أصبح يتلقى معظم ثقافته من خلال هذا الجهاز ، وقد كانت بداية مسرح التلفزيون بداية جيدة ، لكنه ساعد دون وعي أو تخطيط في تفريخ نجوم المسرح الهابط الذين يسيطرون على حياتنا المسرحية اليوم ، ولم يكن هذا تخطيطاً لتشويه الوعي العام ، ولكن هذا الجهاز يحكمه تملق الحس العام وإرضاء الجماهير بالمعنى الذي يتفق مع القيم التي سادت ، ودليلي على ذلك أنه ما أن يوجه نقد حتى لوكان سطحياً للتلفزيون حتى نجد ردود فعل فورية تدل على عدم وجود خطة محددة لأهدافه وبرامجه .

• ولكن هناك جيل جديد من الكتاب المتميزين المؤمنين بقضية المسرح ، وهذا الجيل غائب عن اهتمام النقاد المصريين وخاصة من يكتبون في الخارج ، وهؤلاء يكتبون على أساس أن الحركة المسرحية قد انتهت مع نهاية مسرح الستينات ، وهذه النغمة المؤسفة استمرأها البعض دون أي محاولة منهم لتلمس ملامح هذا الجيل المسرحي الجديد وهذا ظلم لجيلنا الذي يعمل دون غطاء نقدي يحميه أو يرصده أو يقنن له ، وهذه نقطة ليست في صالحنا ولكنها بالتأكيد لن تمنعنا من الاستمرار في الكتابة .

• وأهم ما يميز كتاب مرحلة السبعينات والثمانينات معاً هو اتجاههم للتراث لمواجهة قضية الهوية ، وهي قضية حضارية أساسية في مواجهة الكيان الصهيوني ، وهو تحد ظهرت ملامحه بعد النكسة واتضحت أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والحضارية بالدرجة الأولى . ومن أهم المحاولات التي تجري حالياً طمس هذه الهوية وتمزيقها لمن لهم صالح في هذا ، وتأكيد هويتنا أمام هذا الكيان مطلب شعبي مطروح وبشدة ، وجميع المحاولات التي تجري حالياً هي محاولات مسرحية في الاتجاه الصحيح ، محاولة خلق مسرح شعبي له علاقة حميمة بالواقع ، يعتمد على التراث لتقديم المسرحية الاحتفالية والطقسية ، وهي الطريقة المثلى لاسترداد وعي الجمهور ، ولكن كما قلت فإن جميع هذه الأعمال التي قدمت في مسارح الطليعة والتجول والثقافة الجماهيرية قدمت بعيداً عن أية محاولة نقدية جادة ومتصلة لرصدها وتقييمها ، على الرغم من نتائجها المثمرة التي اتضحت في استجابة جماهيرية وإن كانت محدودة إلا أنها تعتبر مؤشراً جيداً على أن هذه المحاولات تمضي في الاتجاه الصحيح لخلق مسرح شعبي وسط ظروف بالغة الصعوبة : ظروف تشكل تياراً ضد كل ما هو جاد وهادف . ومن أبرز كتاب هذا الجيل أبو العلا السلاموني : ناجي جورج : نبيل بدران : مصطفى بهجت ــ مات مؤخراً في الكويت ــ ومحمد الفيل . ولعل أبرز الأعمال أيضاً التي قدمت في هذا الاتجاه : مآذن المحروسة ــ دريب عسكر ــ سكة سفر ــ الحجر الداير ــ جحا باع حماره . وهذه الأعمال في رأيي من أهم المسرحيات التي قدمت في السنوات الأخيرة .

• الممثل المسرحي جزء من هذا المناخ المتأزم ، فمن حق الممثل طبعاً أن يتساءل أين هو الجمهور الذي سيقدم له المسرح الجاد ، كما أنه من غير المعقول أن أضفي عليهم بطولة غير مفترضة في مقاومة كل عوامل الانحدار والتدهور وكل تلك الإغراءات التي تجرفهم بعيداً عن المسرح ، فهم بظروفهم الاقتصادية جزء من هذا الواقع المشوه ، صحيح هناك استثناءات لا يمكن إنكارها لفنانين يقاومون بجدارة من أجل مسرح متماسك ، منهم سميحة أيوب ومحسنة توفيق ، عبدالله غيث وأحمد ماهر ، لكن هؤلاء استثناء ، والاستثناء لا يكسر القاعدة .

• لم تعد هناك مشاكل حادة مع الرقابة بالنسبة للكاتب المسرحي ، وهذا راجع إلى أن المسرح لم يعد مؤثراً بالصورة التي تدعو للقلق لأنه لم يعد هناك جمهور تخشاه الرقابة .

• النقد حالياً لم يعد يشكل حركة نقدية ذات فعالية ، وإن كان فؤاد دواره من أبرز المتابعين وبنشاط للحركة المسرحية وكذلك فريدة النقاش ، أما لويس عوض والراعي فقد توقفا تماماً عن أية متابعة ، ومن الجيل الجديد عبلة الرويني وحسن عطية ، ونبيل بدران ، وسناء فتح الله ، ولكنهم جميعاً محاصرون في حيز صحفي لا يسمح بحوار مثمر .

• لقد أثر المناخ العام والزمن على قدرة المخرجين الكبار ، لأن توهج الفنان ــ في اعتقادي ــ مرهون بالزمن ، كما أن بعدهم عن الواقع المصري لسنوات طويلة كان له أثر سلبي ولكن هذا لا ينفي وجود جيل جديد من المخرجين يتميزون بتبضهم الحي وبأنهم أقرب إحساساً بأزمة الواقع . منهم منير مراد ، فهمي الخولي ، عبدالرحمن الشافعي وعباس أحمد ، وبالنسبة للتميز في جيل الممثلين الشبان ما إن نلمحه حتى يختفي لأن الممثل اليوم لم يعد يؤمن بجدية فكرة طهر المسرح ، ولكن بلا شك هناك استثناءات ومنهم أحمد ماهر الذي ما زال يعطي الأولوية للمسرح . وكذلك ابراهيم يسري ومحمود مسعود وعدد آخر في الثقافة الجماهيرية .

• إن أفضل الحلول لمواجهة الأزمة تتمثل في الدعوة التي وجهتها مع زملائي لإقامة تجمعات مسرحية أهلية . صحيح أن هذه الدعوة فيها قدر كبير من المغامرة لأنها ستضعنا في موضع المنتج ، ولكنها مغامرة تستحق الاقدام وتحمل المجازفة لمن يزعم أنه مهتم بقضية المسرح على أساس التفكير بشجاعة في إعادة النظر في مفردات العمل المسرحي سواء بمفهوم تحقيق مسرح شعبي أو بمفهوم عام للوصول إلى مسرح أكثر جماهيرية .

• كذلك إنشاء بيوت مسرحية مستقلة تتحمل مسئولية العمل المسرحي بكامله سينقذ المسرح من سيطرة الجهاز الإداري الذي يعوق حركته وسيقضي على هذا الجهاز العقيم .

• بالإضافة لذلك فإن الدعم الاعلامي والنقدي والإنتاجي لتجارب هذا الجيل سيؤدي إلى تشكيل تيار جاد ومميز يستطيع مواجهة تيار المسرح الهابط ، كما أن تشجيع الاتجاه لخلق مسرح شعبي سيقضي تماماً على مشكلة دور العرض التي يتطلبها المسرح التقليدي ، لأن طبيعة هذه الأعمال تحتمل التقديم في ساحات أو قاعات مفتوحة أو في الخلاء .

سارة

العدد القـــــادم نجـــــوم المســـرح يتحـــدثـون .

ثـورة جديـدة في حيـاة الإنسـان

مكاتب بلا أوراق ومصانع بلا عُمَّال!

بقلم: الدكتور عامر شيخوني

توجهت نحو بناء الحكومة الفيدرالية مسرعاً وأنا مشغول البال عما سأواجهه من ازدحام ومعاملات وأوراق. كل ما أحتاج إليه الآن هو وثيقة أو تصريح واضح بسيط يفيد إقامتي في هذه المدينة في أمريكا ؛ ولكن هل سيكون الحصول على هذه الوثيقة سهل المنال ؟ ففي أمريكا أكثر من مئتي مليون مثلي ؛ وفي مكاتب الحكومة مئات بل ربما آلاف من البشر ؛ ويعلم الله وحده مدى صعوبة التعرف على الموظف المختص. وهل سأستطيع أن أوضح له ما أريد في غمرة الزحام ؟ وهل سأتمكن من التعبير عما أرغب وأنا أرطن بلغة انكليزية متواضعة وسط ضجيج الآخرين ؟ واحتجاجاتهم الصامتة ؟ ويعلم الله وحده ما سيطلبه الموظف المتربع وراء مكتبه من دلائل وإثباتات.. المهم.. لابد من مواجهة الموقف عاجلاً أو آجلاً. توكلت على الله ودخلت البناء الأزرق الذي يبدو هادئاً رصيناً وأنا أتلو الآيات والتسبيح راجياً المولى تعالى أن يبث في نفسي الشجاعة والثقة والسكينة.

حمدت الله تعالى أنني وصلت في وقت مناسب إذ لم يكن المكان مزدحماً كما توقعت. وكان سروري عظيماً عندما وجدت إشارات ولوائح عديدة توجه المراجعين إلى المكاتب المختصة في كافة فروع الحكومة ؛ وبعد بحث قصير عرفت أن مكتب الاقامة هو في الطابق الرابع في الغرفة رقم ٤١٢. دخلت المصعد الذي كان فارغاً إلا من رجل مسن وامرأة كانا في طريقهما نحو الخروج ؛ وغمرتني شعور بالارتياح إذ أن الأمور تسير بسهولة ويسر حتى الآن.. إلا أني كنت متأكداً بأن الكفاح سيبدأ في الطابق الرابع في تلك الغرفة اللعينة.

كان الباب مغلقاً على غير العادة في مكاتب الحكومة. فتحت الباب على مهل. لم يكن في الغرفة الواسعة المبردة سوى سلسلة متتابعة من المكاتب الفارغة إلا مما عليها من أجهزة تشبه التليفزيون. لم يكن هناك أي إنسان سواي ! بل إنني لم ألاحظ وجود أي كرسي مقابل تلك المكاتب الفارغة..! خرجت من الغرفة لأتأكد من رقمها وقرأت مدهوشاً الرقم ذاته ٤١٢..! عدت ومددت رأسي بحذر لأعيد النظر في هذه الغرفة الهادئة الغريبة. وفي هذه المرة فاجأني صوت نسائي لطيف قائلاً: تفضل.. ماذا تريد ؟ وفي الزاوية البعيدة من الغرفة لمحت امرأة في منتصف العمر أو أكثر قليلاً ، في شعرها شيء من الشيب وفي ثيابها البسيطة كثير من الجدية والهدوء. سألتها متردداً: هل هذا هو المكان الصحيح للحصول على وثيقة إقامة ؟ أجابت بهدوء: أجل. وبعدها بأقل من دقائق كانت الوثيقة المطلوبة في يدي..! كل ما طلبته مني من معلومات هو اسمي ورقم الضمان الاجتماعي وتاريخ دخولي إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. وضربت هذه المعلومات على جهاز الكومبيوتر أمامها ؛ وبعد ثوان امتلأت شاشة التليفزيون بسلسلة من الكلمات والأرقام احتوت كل المعلومات التي تتعلق بوجودي في أمريكا كما فهمت.. ثم انتقلت هذه المعلومات آلياً إلى آلة كاتبة اليكترونية قامت بطبع هذه المعلومات بسرعة هائلة على الوثيقة الرسمية المطلوبة وانتهى الأمر..!

تذكرت مكاتب الحكومة في بلدي: الازدحام والصراخ والضجيج والرشوة.. والموظف الذي لا يكاد يبين وراء الكتلة البشرية المتراكمة أمامه وحوله وفوقه ، ورائحة الغبار والعرق ، والأوراق المتناثرة ، والأوراق المكدسة ، والمعاملات التي تستمر أياماً وأسابيع... وجوازات السفر التي تلقى في الهواء ، والهويات الشخصية التي تضيع ؛ والسجل العدلي الذي وقفت من أجله وراء قضبان النافذة الحديدية ساعات وساعات تحت ضغط الآخرين في يوم صيف حار لكي أستطيع الحصول عليه وكأنه كنز ثمين..!

تذكرني مكاتب الحكومة في بلدي بكتلة متماسكة من الأوراق والبشر يلصقها مزيج من العرق والغبار. أين ذهبت الأوراق هنا ؟ وكيف تستطيع موظفة واحدة أن تقوم بخدمة المراجعين هنا رغم أنهم دون شك أكثر منا عدداً بمرات عديدة ؟ لاشك أن السر يكمن في تلك الآلة الجديدة التي حلت محل الأوراق والبشر في المكاتب الحديثة.. الكومبيوتر أو ما نسميه أحياناً العقل الالكتروني.

الآلة الذكية

لقد أدخل الكومبيوتر ثورة جديدة في حياة الانسان ، ثورة تكنولوجية غيرت كثيراً من جوانب حياتنا اليومية. وأنا لا أتحدث الآن عن المستقبل وإنما أتحدث عن الواقع الحالي.. إن نظرة سريعة إلى العالم من حولنا توضح دون غموض مدى عمق التغييرات التي أدخلها الكومبيوتر في حياة الإنسان المعاصر بدءاً من أجهزة المطبخ ومروراً بأجهزة التليفزيون والهاتف والسيارة والطائرة ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية ومعاملات البنوك والمكاتبات ، وإدارة الأعمال في الشركات الدولية ، وفي المصانع وفي الأسلحة التقليدية والنووية ، حتى نصل إلى الأبحاث العلمية ودراسات الفضاء..! لقد دخل الكومبيوتر حياتنا وبدأ في تغييرها حتى يصح أن يقال بأننا نشهد الآن ثورة تكنولوجية جديدة ستفوق آثارها على حياتنا ما قدمته الثورة الصناعية من قبل.

الكومبيوتر جهاز كهربائي بسيط في مبادئه ، معقد في امكاناته التي تبدو الآن بغير حدود. وإذا تجـول الإنسان الآن في عالم هذه الأجهزة لوجد منها أنواعاً متعددة ، فمنها ما يختفي ضمن أجهزة نستعملها كل يوم في بيوتنا مثل الهاتف والسيارة والفرن الكهربائي الحديث وغسالة الصحون الآلية. وقد نشاهد هذه الأيام في بعض البيوت والمكاتب أجهزة الكومبيوتر الشخصي الصغيرة والتي تشبه جهاز تليفزيون موصول بآلة كاتبة. يغزو هذا الجهاز الصغير الآن بيوت العالم الغربي

ويتقدم بسرعة ليحتل مكانة أساسية فيما لما يقدمه من خدمات جلى .

وكما يمكننا استعمال أجهزة التليفزيون المعقدة دون حاجة إلى معرفة طريقة صنعها وكيفية عملها فإننا نستطيع الآن استعمال الكومبيوتر لأغراض شخصية خاصة دون أن نحتاج إلى دراسة مستفيضة في تخطيط وبرمجة هذه الأجهزة ، إذ يمكننا أخذ برامج الكومبيوتر الجاهزة والتي تحقق ما نريد عمله وتغذيها إلى الجهاز الذي يقوم بتطبيقها كما نشاء ونأمر ، وتوجد برامج الكومبيوتر الجاهزة الآن بشكل أقراص أو أشرطة صغيرة تعلم الجهاز ما يجب عليه القيام به ، وهناك آلاف من هذه البرامج الجاهزة التي يمكنها القيام بعمليات عديدة مثل تسجيل أرقام الهاتف وعناوين الأصدقاء ، وتفصيلات الدخل اليومي والمصروف ، بالإضافة إلى كتابة مواضيع وكتب كاملة وتخزينها وتصحيحها ، بل وتصحيح الاملاء إذا أخطأ الكاتب ، كما تقوم بعمليات الإحصاء ووضع الجداول المختلفة بشكل مخططات بيانية حسب الطلب ، هذا بالإضافة إلى تعليم الأولاد القراءة والكتابة والرياضيات ، وتسلية العائلة بالألعاب الالكترونية التي فاق عددها وتجاوزت امكاناتها كل ما اخترعه الإنسان من ألعاب وتسلية منذ فجر التاريخ حتى الآن .!

ثم نخطو من أجهزة الكومبيوتر الصغيرة هذه إلى الأجهزة الشابة التي تستخدم في إدارة أعمال الشركات والمصانع وفي المستشفيات .. إلى أجهزة الكومبيوتر الضخمة التي تتمكن من إدارة عمليات البنوك والاتصالات الدولية وإطلاق الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية وتخزين الكميات الهائلة من المعلومات في المكتبات الرئيسية وفي دوائر الحكومة لشؤون الإحصاء والتخطيط والدفاع .. وما يخبئه لنا الكومبيوتر من استعمالات وخدمات في المستقبل القريب سيكون أكثر خطراً وأهمية دون شك .

ثورة في مكاتب العمل

لننظر مثلاً إلى مدى التغيير الذي حصل في مكاتب العمل نتيجة لاستخدام الكومبيوتر . لقد كادت الأوراق تختفي من الاستعمال ونقص عدد الموظفين والمراجعين كنتيجة مباشرة لكفاءة عمل الكومبيوتر وسرعته في الأداء . ولا عجب في ذلك فقد كادت مكاتب العمل التقليدية تختفي وراء أكداس الورق ، وامتلأت الغرف الخلفية والعلوية والسفلية بأكداس مكدسة من المعاملات القديمة والسجلات التي يعلوها التراب .. يشغل الورق في مكاتب العمل حجماً كبيراً بالمقارنة مع سجلات الكومبيوتر الالكترونية ، فمثلاً يمكننا تخزين كل ما تحتويه الموسوعة البريطانية من كلمات في قرص واحد من أقراص التسجيل الالكترونية التي يستعملها الكومبيوتر ، ويمكن تسجيل كل البيانات العائلية لمدينة كاملة على شريط واحد يسهل تخزينه وحفظه ، وتسهل العودة إلى ما يحتويه من معلومات في دقائق قليلة .. ولعلنا نذكر جيداً تلك الساعات المضة الطويلة التي قضيناها ذات يوم في البحث عن سجلات قديمة أو مقالات أو أرقام مكتوبة على الورق ومحفوظة بالطرق التقليدية ، في حين أن سجلات الكومبيوتر صغيرة الحجم ، سهلة التخزين والحفظ ، وذاكرته القوية المنسقة سهلة الاسترجاع سريعة الأداء . ولا عجب في ذلك لأن هذا الجهاز يقوم بالبحث عن المعلومات المحفوظة في ذاكرته ويقدمها إلينا جاهزة في سرعة تماثل سرعة الضوء الهائلة قبل أن يرتد إلينا طرف البصر .

ثم لنفكر قليلاً بالوقت الذي نحتاجه لكي ننقل المعلومات المكتوبة على الورق ، هذا النقل الذي يتم عادة باليد أو بالبريد ، وما يحتاج إليه من جهد بشري وموظفين وأموال ، في حين أنه يمكننا نقل المعلومات بشكل ومضات كهربائية تسير بسرعة الضوء في أسلاك الهاتف أو حتى بشكل أمواج كهرطيسية تخترق الفضاء وتنعكس على الأقمار الصناعية وتقطع المسافات الشاسعة في أجزاء قليلة من الثانية وتستقبل في المكان الذي نريد ويحولها الكومبيوتر إلى كلمات تظهر على شاشته كلمح البصر .. وهكذا يعلم المدير في اليابان ما يقوم به ممثل شركته في أمريكا وأوربا فوراً ودون انتظار لأوراق البريد . وإذا أضفنا إلى هذه السرعة في الأداء والكفاءة في عمل الكومبيوتر ما تحتاجه الأوراق والأقلام من مال وما تضيعه من جهد ووقت وما تحتاج إليه من موظفين لما استغربنا اتجاه الشركات والحكومات إلى التوسع في استخدام الكومبيوتر ، ليس في مهام التخطيط الرئيسية فقط وإنما نزولاً على طول الخط الاداري حتى المكاتب الصغيرة التي تتعامل مباشرة مع الناس .. لأن استخدام الكومبيوتر أرخص كلفة وأكثر كفاءة وسرعة في القيام بأعمال المكتب من الأقلام والأوراق .

دقة وكفاءة عالية

الدقة في الأداء والكفاءة في العمل مقرونة بالسرعة والانتظام أدخلت الكومبيوتر إلى عالم الصناعة أيضاً ، ففي معامل السيارات الحديثة مثلاً في اليابان وفي أمريكا تجد الكومبيوتر يأخذ شكلاً آخر هو الذراع الآلية التي يقوم بتوجيهها وتنظيم حركتها جهاز الكومبيوتر ، وتستطيع مجموعة متناسقة من هذه الأذرع الآلية القيام بدور العمال في المصنع على شريط الانتاج المستمر ، إذ تقوم كل ذراع بتركيب أو تحريك جزء معين من مراحل صنع السيارة وهي تتحرك على شريط الانتاج ويقوم الكومبيوتر بتنظيم حركة هذه الأذرع بحيث تتكامل العملية إلى صنع السيارة المطلوبة .

تتمتع هذه الطريقة في الانتاج الآلي في المصانع بامتيازات كثيرة بسبب كفاءة هؤلاء العمال الآليين الذين يعملون باستمرار طيلة ساعات الليل والنهار وطيلة أيام الاسبوع والعطل والأعياد دون كلل أو ملل أو مرض . كما أن هؤلاء العمال الآليين يستطيعون العمل في درجات حرارة يصعب على الإنسان تحملها ، ويمكنهم العمل وسط الأبخرة الكيميائية والغبار والإشعاع دون خوف على صحتهم أو كفاءتهم في الانتاج مما يمكنهم القيام بالأعمال التي قد تشكل خطرا على صحة العمال من البشر .

وقد يخطر للمرء أن الذراع الآلية لا تستطيع القيام بغير عمل معين صنعت خصيصاً للقيام به مثل بقية الآلات الميكانيكية التقليدية الأخرى مما يجعل هذا الذراع الجديد محدود الإمكانات كثير التكاليف ، ولكن الكومبيوتر الذي يحرك هذه الأذرع يعطيها إمكانات كبيرة وإن تعليم وبرمجة الكومبيوتر الذي ينظم حركة الأذرع الآلية لا يحتاج إلى أكثر من يوم واحد يقوم بعدها هذا الطاقم من العمال الآليين بانتاج سيارات أخرى مختلفة حسب التصميم الجديد المطلوب . ولا عجب بعد معرفة هذه الامتيازات أن تقبل الشركات على استخدام الكومبيوتر وعماله الآليين في عمليات الانتاج بلهفة ونشاط .

ذراع لكل الأعمال

وأنا لا أتحدث الآن عن مصانع المستقبل وإنما أتحدث عن مصانع موجودة حالياً في كندا وأمريكا واليابان حيث يقوم العمال الآليون تحت إشراف وإدارة الكومبيوتر بكافة مراحل الانتاج في المصنع من استلام المواد الأولية حتى تسليم الجهاز المصنوع دون حاجة إلى العمل اليدوي الإنساني في أي مرحلة من مراحل الصنع اللهم إلا في برمجة الكومبيوتر والإشراف على سير العمل بشكل عام .. بل بلغ التقدم الآن في هذا المجال مرحلة حرجة إذ يقوم الكومبيوتر بتركيب وصنع هذه الأذرع الآلية ذاتها وإنتاجها أيضاً في مصانع آلية مشابهة ..! وهكذا تصنع الآلة الذكية آلة أخرى مشابهة تذكرنا بعملية الحمل والولادة في المخلوقات الحية ..!

هل تشكل هذه الثورة التكنولوجية الجديدة خطراً على مستقبل الإنسان ؟ لا شك أن هذه الثورة ستغير كثيراً من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ومن طرق العمل وأساليب الإنتاج والحياة اليومية .. ولكنني أعتقد بأنها ستمنح إنسان المستقبل مزيداً من الحرية ومتسعاً من الوقت .. إنها ستحرر إنسان المستقبل من العمل اليدوي ، وستمنحه مزيداً من الوقت لكي يفكر ويبدع ، ويزيد من استخدام امكاناته العقلية التي ميزته أساساً عن بقية المخلوقات الحية ، ويزيد من البحث والنظر في هذا الكون البديع حتى يتوصل إلى الحكمة وإلى إدراك آيات خالقه في الآفاق .

أمامنا جبل وقد نرى يافا

شعر: محمد القيسي

منْ مشهدٍ للبحرِ أجمعُ ما توفَّرَ للقصيدةِ من تَمامْ
كي يَستريحَ النائمونَ على ضُلوعي ،
هَلْ أمهدُ منْ يَديَّ وِسادتَين ،
وَأسألُ الأمواجَ منديلاً ،
يُجفّفُ ما يَسيلُ
أم أنَّ لا جدوى منَ الكلِماتِ
في هذا الغيابِ المُرِّ ، لا جدوى
وَسيفُ الريحِ يكسرُ أو يُبعثرُ
ما تَبقّى منْ قصبْ ؟
أنا لا أقولُ جَنى الطَّريقُ عليَّ
أو زادي قليلْ
منْ مَشهدٍ للبحرِ أو وَصفٍ ليومٍ
لا يُبارِحُني طويلْ
يومٍ يُوزّعُني فُتاتاً
فوقَ مائدةِ المياهِ فَلا أرى
بَلداً يقومُ ، وَلا أرى ، وَأرى العَجَبْ
في الكَوكبِ العَربيِّ يُمنعُ أنْ تَكونَ يَدي الشِراعَ
وَأنْ يكونَ دَمي الدَليلْ
منْ مَشهدٍ لا قَمحَ فيه
لا خبزَ ، لا خيطاً منْ الحلوى لنَا
جاءوا إلى قِرطاجَ . وانتظروا النبأْ :
أنْ يقرأونا في الرَّمادِ
وَأنْ نَؤولَ إلى سَبَأْ
مَرّوا إذنْ منْ فَوقِنا
وَسطَوْا على البحرِ المُحايدِ ،
هل أهيِّءُ مَشهداً لركامِ هذا اليومِ
ام لِدَمي على الأنقاضِ ، مَرّوا
كيفَ أفتتحُ المَدى لنشيدِيَ الضاري
أرمِّمُ ما تَفتّتَ منْ جراري
أقطفُ البَحرَ الذي يَستلُّ منيَ وَجهَ أحبابي
وَيتركُني قَتيلْ ؟
فالكوكبُ العَربيُّ يمنعُ أنْ تكونَ يدَيَ الشِراعَ
وَأنْ يكونَ دَمي الدَليلْ

سأُهيِّءُ الآنَ النَهارْ
وَأوظِّفُ الوقتَ الذي لم يَرتبكْ
وَسطَ الحَريقِ مَعي وَلمْ يَسقطْ جَريحْ
وَأوظِّفُ القلبَ الذي خفقَتْ له الطُرقاتُ
وَانسابتْ جداولُها تُغني ، أو
تلَوّحُ بِالمناديلِ الرَقيقةِ وَالأيادي المُتعَبَةْ
وَأُهيِّءُ البحرَ الغَريقَ فقد نَرى يَافَا
ونَرسمُ قُرطُبَة
ولقدْ نَرى الباسَ الذي ما بَعده بَاسٌ . وقد ..
لكنّنا لنْ نَشتريه
سأُهيِّءُ الآنَ النَهارْ
للبحثِ عن هذا الفتى الآتي
منَ اليَرموكِ مثلَ حمامةٍ
غضباً ،
أيفَا
هلْ حاصروكَ ، وَضيّقوا الشُبّاكْ
حتى لا ترى في القدسِ أمكَ أو
شَقيقتَكَ الوَحيدةْ ؟
هل كُنتَ تَبكي بيننا صَمتاً ،
فلمْ نلحظْ دُموعَكَ ياسمينا .
ثُمَّ لمِ يَأتِ الصَدى لِيديكَ وَردا ؟
كُنتَ تمزحُ دائماً ..
وَتقولُ سَوفَ أموتُ بعدَ دقيقتينِ .
فَصوِّروني كي أعودْ
في مُلصَقٍ ،
وَلكمْ بكيتَ وَأنتَ تَضحكُ .
كُنتَ تحلمُ أنْ تَعودَ لَكَ الخُطى
وَترى السَماءَ بلا قُيودْ
وَترى المَساءَ مُناسباً ، ويليقُ أنْ نَحياهُ مثلَ النَاسِ
أنْ نَهوى وَنَعشقَ ،
أنْ نُغني
أنْ تَكونَ لنا حبيباتٌ كَقَطفِ الوردِ ،
أنْ نَمشي بلا خَوفٍ

نُسافرَ دونما خَوفٍ
نُقيمَ إذا رَغبنا في المَكانِ ،
وإن رَغبنا عَنه نَنشدُ غيرَهُ أفقا ،
ومثلَ النَاسِ نَأوي راجعينَ إلى الوَطنْ
لكنَّنا في الريحِ وَالمنفى الأخيرِ هُنا
نتقاسمُ المَجهولَ والليلَ الطَويلَ هُنا
نَتقاسمُ الطَلقاتِ تأتي منْ هُنالكَ ومنْ هُنا
نَتقاسمُ الشَايَ اللذيذَ إذا أتانا والطَعامَ ونَبتسمْ
وَنعودُ نَنْهدُ للجديدِ ، وَلا جَديدْ
سأُهيِّءُ الآنَ النَهارَ
مَا وجدتُكَ في الرُكامِ
ومَا وجَدتُكَ في الوُجوهْ
سأُهيِّءُ الآنَ النَهارَ
وأستغيثُ الأرضَ أن تَهديَ يَديَّ ،
لإصبعٍ لكَ ، أو قميصٍ أعرفُه
عمَّا يَدلُّ دَمي عَليكْ
عَنْ خاتمٍ أحضرتَه بِالأمسِ وَعداً منْ بعيد
وَعليهِ إسمُ حَبيبتِكْ
فِيرا هُنالكَ وأنتَ مَجهولٌ ، ولا جُثمانَ لَكْ
فيرا تُهاتفُنا وَتسألُ منْ بَعيدْ
مَاذا نَقولُ إذنْ لِفيرا ؟
وَبحثتُ عنكَ ، بَحثتُ عنّي فَانسكبتُ عَلى الغُبارْ
وَبَحثتُ عَنكَ ، دَخلتُ مُستشفى ومُستشفى
وَقلتُ أراكَ ، أو
مَا قد تَبقّى منكَ ، أو
مَا طَرّزتكَ به القَذيفةُ وَالغُروبْ
وبحَثتُ لكنْ ما وجدتُكَ في المَرايا
وَبحَثتُ لكنَ ما وَجدتُكَ في الضَحايا
كَانوا وكُنتَ بلا جَسدْ
كَانوا نُثاراً في الحجَارةِ وَالرمالِ
وفي البَريدِ إلى البَلدْ
كانوا هَدايانا إلى حَيفا التي فينا
إلى شَجرٍ يُغنّينا هُنالكَ في صَفدْ



كَانوا وَكَانَ العَرَبُ مُزدحمينَ في الصَحراء ،
كَانوا لا أحدْ
لا لَمْ تَضِقْ شُرفاتُ صَدري ، إنَّما هَطَلَ الخريفْ
هَطَلَ الخريفُ وَنازعتْ قُطعانُه وَرقِي
ولمْ تَسلمْ يَدايْ
هَطَلَ الخريفُ مُبكِّراً
هَطَلَ الخريفُ فأينعَ العنَّابُ ، وَازدهرتْ دِمايْ
لا لَمْ تَضِقْ رُوحي
ولَمْ أهبطْ إلى سَفحِ النَشيدِ وَلا نَسيتْ
جُمَّيزةً أو قُبَّـرةْ

منْ أولِ الحقلِ المُدوَّنِ بالورود
إلى نهاياتِ الذُرَّةْ
لا لَمْ تُغادرْ جُملَةً مِمَّا لَعبْنا
منْ حَصَى النهرِ البعيدِ
وَما كَتبنَا في البِدايةِ منْ نُجوم
أو قَطفنا منْ عِنَبْ
هي خَطْوةٌ سَنظلُّ نتبعُها وَنمشيها
إلى أن نَنتهي فِيها
تُراباً أو وَتَـرْ
لا لا وراءَ لنا

وَلاَ نحتاجُ في الدُنيا سَفَرْ
لا لا وَراءَ لَنا . لِنلجأ إنْ أتانا المَوتُ ،
لا نَبكي مَواقعَ غادرتْنَا
هلْ كُنتَ تَسألني إلى أينَ المَسيرْ ؟
هلْ كنتَ تَسألني وكنتُ أجيبُ لَيسَ سِوى
اتجاهٍ وَاحدٍ للقافلَةْ ؟
أنْ لا اعوجاجَ إذا وضعنا نَصْبَ أعيننا
شَتاتَ العَائلةْ ؟
هلْ كنتَ تعرفُ ..
كيفَ تَعرفُ أنَّ يومَكَ في ثُلاثاء الرَمادِ يَجيءُ ،
أنَّ سحابَ هَذا اليومِ من أكتوبرَ القَاسي
سيفصلُ بَيْننا ؟
وبأنَنا لنْ نلتقيكَ كعَهدِنا
طَلْقَـاً
وفَيَّاضَـاً
وَعَذْبَـاً ؟
هلْ كانَ طَعمُ الريحِ في شَفتيكَ : غَامِضٌ ؟
هل كَانَ طَعمُ اليومِ حَامضٌ ؟
كيفَ انتظرتَ لِيقصفوكَ بِلا تَعبْ ؟
هل كُنتَ ترغبُ أنْ ترى وَجهَ العَدوِّ ، وَقاتلَكْ
وقَدِ اقتربْ ؟
أم كُنتَ تَحلمُ في بِداياتِ النَهارِ ، وَأشغَلَكْ
هذا الضَجيجُ ،
فكانَ أنْ أخذوكَ مِنَّا ..؟
هَكذَا لنْ نَسألَكْ
سَنقولُ لَكْ
وَنقولُ للسَّارينَ من دَمِنا إلى بَرقِ الجَليلْ
"دلَّنا إلينا واستعدناكمْ قرنفلَ للندى
وَمَراكباً للمُستحيلْ
عُدنا لِنحتضنَ الشرارةَ وَالصَدى
فَأمامَنا هَذا العَدوُّ ، أمامَنا جَبلُ الخَليلْ .

« تونس »



تخيل القدامى نجوم السماء على هيئة حيوانات وطيور

المجرة ومكان الشمس

النجوم والبروج..

عبر كثير من الحضارات ، اهتم الناس باستطلاع صفحة السماء فوقهم ، وتحولوا بأبصارهم فى أرجاء القبة الكونية المحيطة بهم وأطلقوا على معالمها مختلف الأسماء .، وتناقلوا هذه الأسماء جيلا بعد جيل فى أساطير الصينيين ، وقصص الهنود ، وآثار الكلدانيين ونقوش قدماء المصريين ، ومخلفات اليونان والرومان ، وأتت من بعد هؤلاء تسجيلات العرب الذين ارتبطت بهم كثير من الاكتشافات الفلكية ، واليهم يرجع الفضل فى رصد كثير من نجوم السماء وإطلاق الأسماء العربية عليها ، وما زالت الحضارة الأوروبية بشتى لغاتها تردد هذه الأسماء بمنطوقها العربى مع بعض التحريف فى النطق . ومن أشهر الأسماء العربية للنجوم التى لم ينلها هذا التحريف: آخر النهر ــ الغول ــ الغراب ــ الكأس ــ الطرف ــ الفرس ــ ابط الجوزاء ــ قيطس ــ الذنب ــ الدب ــ الراعى ــ مركب ــ قوس ــ صدر ــ عنق الحية ــ الزبان الحبوب ــ سهيل ــ سبيكه ــ ثعبان ــ منقار ــ سيف .

ولقد تخيل القدامى توزع النجوم على هيئة حيوانات أو حشرات أو طيور مما كانوا يألفونه فى حياتهم اليومية . وربطوا بين أشكال مجموعات النجوم وبين ما كانوا يرددونه عن الأساطير والقصص الخيالية . ومن ثم نجد أن كثيرا من مجموعات النجوم أو ما يطلق عليه اسم « المدن النجمية » تحمل أسماء مثل : الثور والحمل والدب والفرس والأسد والكلب والدجاجة والعقاب والسمكة والعقرب . أو أسماء أبطال الأساطير مثل : العذراء وذات الكرسى والمرأة المسلسلة والجبار وهرقل والراعى والساقى .

الكون الذى حولنا

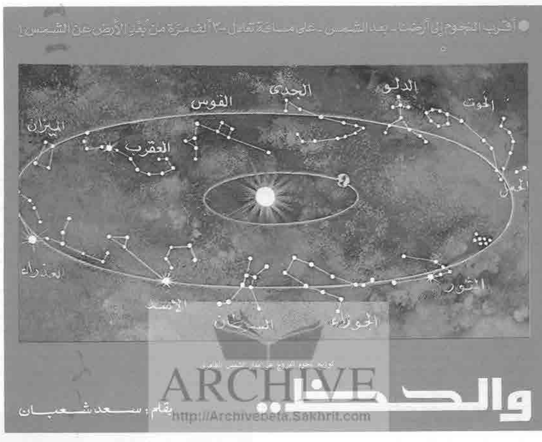
لابد لنا قبل تفصيل ما يعنى بالأبراج من التجول فى معالم الكون المحيط بنا لنتبين أهم مكوناته ، وموقعنا منه . ولو صحبت القارىء معى فى رحلة كونية تبدأ من سطح الأرض وتنتهى غوصا فى أعماق الكون ، فإنه يمكننا أن نبدأ رحلتنا من الأرض التى هى أحد كواكب أسرة الشمس ، التى تسمى « المجموعة الشمسية » . وتتكون الأسرة من تسع أخوات باردة التكوين تمثل الشمس بينها دور الأم ، وهى حسب تسلسل بعدها عن هذه الأم وحسب المسميات التى انحدرت إلينا عبر التاريخ الطويل لمختلف الحضارات :

عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى زحل وأورانوس ونبتون وبلوتو .

ولكى نتصور ما بين هذه الكواكب وبيننا وبين الشمس من مسافات وأبعاد ، فإن أقربها وهو عطارد يبلغ متوسط بعده عن الشمس ٥٨ مليون كيلو متر ، بينما يبلغ بعد الأرض عن الشمس ١٥٠ مليون كيلو متر . أما أبعدها وهو « بلوتو » الذى اكتشف عام ١٩٣٠ فمتوسط بعده عن الشمس ٥٩٠٠ مليون كيلو متر . وتختلف هذه الكواكب فى أقطارها وبالتالى فى أحجامها ، فمنها الكبير مثل المشترى الذى يعادل حجمه ١٣٠٠ مرة مثل حجم الأرض ، ومنها الصغير الذى لا يتجاوز حجمه عشر حجم الأرض مثل بلوتو . وكلها كروية الشكل ولكن كثافة مادتها تختلف من كوكب لآخر .

وكثير من هذه الكواكب لها توابع أو أقمار تدين بولاء الجاذبية لها فتدور حولها وإن كانت الأرض هى أفقر الكواكب فى عدد التوابع إذ أن لها قمراً

أقرب النجوم إلى أرضنا - بعد الشمس - على مسافة تعادل ٣٠٠ ألف مرة من بعد الأرض عن الشمس!



توزيع نجوم البروج على مدار الشمس الظاهري

بقلم : سعد شعبان

واحداً . فإن كوكبا آخر مثل المشترى غنى بهذه الأقمار إذ أن له ١٥ قمراً ، بينما كوكب زحل له تسعة أقمار . وكوكب أورانوس له خمسة .

وقمر الأرض هو أقرب الأجراء الكونية منا ، ومتوسط بعده ٣٩٠ ألف كيلو متر ، وهو بعد متواضع غاية التواضع بالنسبة للأبعاد الأخرى للكواكب ، لأنها تقاس بملايين الكيلو مترات .

وقبل أن نترك حلبة الكواكب ، لا يفوتنا أن ننوه أن الشمس هى مصدر الحرارة والضياء ، وهى فى تكوينها كرة نارية ضخمة يتوالى فيها انشطار نووى هائل يتم تحت سيطرة ضغوط هائلة تقع على سطحها فتنظم صدور الطاقة منها ، وهى فى حجمها تبلغ ١,٣ مليون مرة قدر حجم الأرض ، ولكن بعدها الكبير عنا يجعل الضوء والحرارة يصلان منها بقدر ، وأيضا إلى ما حولها من كواكب ونجوم أخرى .

ولا يمكن أن نحصى النجوم الأخرى عدا . لأنها فى عداد الملايين . وهى فى طبيعتها شموس متقدة كشمسنا ، ولكنها تفوقها قطراً وحجماً ، ولكن لفرط بعدها عنا تظهر لنا صغيرة ودقيقة الحجم . ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقول الله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » . ولو شئنا إكمال رحلتنا الكونية عبر هذه الشموس أو النجوم الأخرى فإننا سنحتاج لملايين السنين لأنها موغلة فى الفضاء . ولا تصلح وحدات المسافات التى نستخدمها على الأرض للتعبير عن أبعادها عنا . وإلا فإنه يلزم لنا استخدام مئات الأصفار أمام هذه الأرقام . ولذلك استعاض الفلكيون عنها بوحدة طولية أخرى هى « السنة الضوئية » التى تعبر عن المسافة التى يقطعها الضوء باعتباره أسرع تموج نعرفه على الأرض خلال عام كامل . ولذلك يبلغ طول السنة الضوئية ٩,٥ بليون (مليون ـ مليون) كيلو متر (٣٠٠,٠٠٠ ×٦٠×٦٠×٣٦٥) .

ولكى نتصور أبعاد هذه النجوم ، نتطلع إلى أقربها إلينا بعد الشمس ، وهو نجم أطلق عليه العرب إسم « الأقرب القنطورى » فنجد أن بعده عنا ٤,٢ سنة ضوئية ، أى يبلغ ٤٠ بليون كيلو متر تقريبا ، أى ما يعادل بعد الأرض عن الشمس ٣٠٠,٠٠٠ مرة .

ولو تقدمنا أكثر فى رحلتنا الكونية ويممنا وجهنا شطر نجم آخر مثل « الف الجبار » مثلا نجد أنه يبلغ فى حجمه قدر حجم الشمس ٢٥ مليون مرة ، ويزيد بعده آلاف المرات عما سبق .

ولا ريب أن ذلك يصور لنا مبلغ ضآلة الأرض ، وأخواتها فى الأسرة الشمسية قياسا على تطلعنا خلال هذه الرحلة إلى ملايين النجوم الأخرى لأننا نجدها واقعة كلها داخل « جزيرة كونية » واحدة هى ما يطلق عليه إسم « المجرة » .

ومجرتنا تشبه قرصا كبيرا منتفخا عند منتصفه . ويبلغ طول محوره الأكبر ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية . وطول محوره الأصغر ١٠,٠٠٠ . بينما تقع شمسنا وأسرتها على المحور الأكبر قرب حافته .

ولو تطلعنا فيما حول مجرتنا من أجرام أخرى . فسنجد أن هناك آلافا من مجرات أخرى .. وكل منها فيه عشرات الملايين من النجوم .

النجوم.. والبروج.. والحظ..

دائرة البروج

تسمى مجموعات النجوم فى علم الفلك باسم « المدن النجمية » أو « الكوكبات » ، ولكن بعضا من هذه الكوكبات تظهر خلف « مدار الشمس الظاهرى » ونراها فى السماء ليلا . وتختلف شهرا بعد آخر ، ويطلقون عليها إسما خاصا هو « البروج » . وحقيقة الأمر أن مدار الشمس الظاهرى يميل على خط الاستواء بمقدار ٢٣,٥ درجة ، والكوكبات التى تظهر خلف هذا المدار يسمى كل منها برجا لتمييزها عن سائر الكوكبات . وتقع البروج كلها داخل شريط وهمي فى القبة السماوية يحف بمدار الشمس من كلا جانبيه بعرض قدره ٩ درجة . فلو قسمنا هذا الشريط إلى إثنى عشر قسما حسب شهور السنة فإن كل قسم يحوى منظرا شائعا للنجوم تمثل فى شكلها البرج .

وشأن تجمعات النجوم الأخرى نجد أن « البروج » تحمل أسماء الحيوانات والطيور ، ولكنها تتغير من شهر إلى آخر وترتيبها حسب مواعيد مرور الشمس بها هو :

البرج	مرور الشمس	
الحمل	٢١ مارس	٢٠ أبريل
الثور	٢١ أبريل	٢١ مايو
الجوزاء (التوأمان)	٢٢ مايو	٢١ يونيه
السرطان	٢٢ يونيه	٢٢ يوليو
الأسد	٢٣ يوليو	٢٢ أغسطس
العذراء	٢٣ أغسطس	٢٢ سبتمبر
الميزان	٢٣ سبتمبر	٢٢ أكتوبر
العقرب	٢٣ أكتوبر	٢١ نوفمبر
القوس	٢٢ نوفمبر	٢١ ديسمبر
الجدى	٢٢ ديسمبر	٢٠ يناير
الدلو (الساقى)	٢١ يناير	١٨ فبراير
الحوت	١٩ فبراير	٢٠ مارس



البروج والحظوظ

رسخ فى أذهان كثير من الناس أن هناك علاقة بين حظوظ الناس وبروج السماء . وتولع بعض الصحف والمجلات فى عصرنا بشغل أذهان الناس بنشر التنبوءات عن الحظ فى المال والزواج وكثير من أوجه الحياة . بالربط بين تاريخ ميلاد الشخص ووقوعه فى الشهر الذى يحدد كل برج . ولقد تعود كثير من الناس بدء يومهم بالنظر فى الصحف إلى هذه الجداول التى تحوى عبارات مطاطة ومعادة ، ولا ينطوى منطوقها على شىء ذى قيمة ، بل يتعامل مع العموميات التى يمكن أن تصادف كل البشر أو التى تحمل أكثر من معنى والتى يمكن لكل شخص أن يفسرها حسب ظروفه الخاصة .

وحقيقة الأمر أن هذه القضية لا تجد لها أى سند من العلم ، اللهم إلا أن علم التنجيم (Astrology) ارتبط ظلما بفعل كهنة العصور الوسطى ، بعلم الفلك (Astronomy) ومن ثم اشتق اسمه منه . وتوالت بعد ذلك أحداث جسدت هذا المعنى فى العقول ، مستندة على احتكار الكهنة للدراسات والقياسات الفلكية . ومن ثم انسحب ذلك على التنجيم أيضا مرتبطا بأجرام السماء ، وظهر ذلك جليا فى تعصب ممقوت دعاهم إلى تكفير أى مجتهد فى هذا المجال ، أو أى عالم من خارج الكنيسة يجرؤ على تفسير أى ظاهرة فلكية أو القول بغير ما يقولون . وهذا ما انتهى إلى زجهم ببعض علماء الفلك فى السجون كما حدث لجاليليو لمجرد التجرؤ على القول بأن الأرض تدور ، وإلى حرق مؤلفات البعض الآخر كما حدث لكوبرنيكس الذى أعلن بأن الأرض ليست مركز الكون ، وأن الشمس لا تدور حولها كما كانوا يعتقدون ويقولون .

وللقضية طرف آخر فى ضوء ما أفاض به الاسلام على العقول من نور ، فقد نهى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن الربط بين الظواهر الكونية وأحداث الحياة ، وكان بعض أصحابه الذين استبد بهم الحزن لموت ابنه ابراهيم وتصادف كسوف الشمس فى هذا اليوم ، قد رددوا وقالوا بأن الكسوف حدث حزنا عليه . فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله ..

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو لحياته » .

والذى لاشك فيه أن استقراء صفحة السماء للتنبؤ بأحداث المستقبل والرجم بالغيب أمر نهى الإسلام عنه عامة وأرجعه إلى عنصر الفراسة لدى قليل من الأشخاص .. وقال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم « كذب المنجمون ولو صدقوا » .

وحسبنا أن القرآن الكريم .. وردت فيه سورة سميت باسم « البروج » وفى مطلعها قسم بها : « والسماء ذات البروج .. واليوم الموعود .. وشاهد ومشهود .. قتل أصحاب الأخدود » .

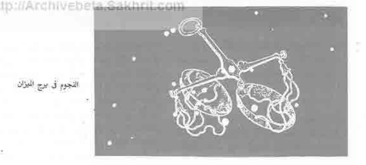
وكم أقسم القرآن بالظواهر الكونية وأجرام السماء فى مواقع أخرى مثل « والسماء والطارق .. وما أدراك ما الطارق .. النجم الثاقب » .

« إذا السماء انفطرت .. وإذا الكواكب انتثرت » .

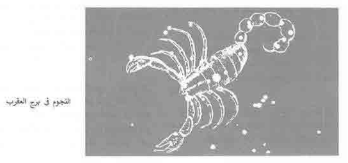
« والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها » .

« والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى » .

ولذلك يمكننا أن نخلص إلى أن الربط بين البروج وحظوظ الناس وسيلة تتلاعب بعقول



النجوم فى برج الميزان



النجوم فى برج العقرب



أشكال البروج وتواريخها

البسطاء من الناس وتستثير فيهم حاسة الفضول ، والشغف بحب معرفة المستقبل واستطلاع أحداث الغيب دون أى سند من العلم .

البروج والأساطير

اختلفت أسماء بعض البروج لاختلاف تصور نجومها من عصر لآخر . فبرج « الجوزاء » أو « التوأمين » تخيله العرب كطفلين توأمين يقفان بجوار بعضهما . وأطلقوا على أحدهما التوأم المقدم ، وعلى الآخر التوأم المؤخر . وشاركهما فى ذلك اليونان حيث نسب وجود طفلين إلى جوار أمهما الملكة ليدا زوجة ملك أسبرطه .

أما برج « السرطان » فقد تصوره الكلدانيون على هيئة سرطان بحرى يمسك بقدم هرقل فى كوكبة نجمية أخرى هى « الجاثى » أثناء صراعه مع ثعبان البحر . وتخيل الأقدمون توزع نجوم برج الأسد على هيئة ملك الغابة جالسا ويده ممتدة إلى الأمام . ويقال إن قدماء المصريين شبهوا هذا البرج بأبى الهول . بينما اعتقد اليونانيون أن هذا الأسد صرع هرقل فى الألعاب الأوليمبية .

ولكن نجد أن الحضارة العربية لها بصماتها على أسماء كثير من النجوم ومن أخصها النجوم التى فى ذنب الأسد . حيث اطلق عليها العرب اسم « الذنب » ومازال اسمه باللاتينية كذلك إلى الآن .

وبرج « العذراء » عرف فى حضارة قدماء المصريين باسم « ايزيس » التى تحمل سنبلة قمح ، ولذلك يسمى فى بعض الكتب القديمة باسم برج « السنبلة » .

أما برج « الميزان » فترجع تسميته إلى الرومان . وقد تصوروه كذلك فى حضارات الهنود



دائرة البروج

● رغم أن الصحف والمجلات تشغل أذهان الناس بالعلاقة بين حظوظهم وبروج السماء فإن هذه القضية لا يدعمها أي سند علمي !

والصينيين وقدماء المصريين وكأنه يمثل العدالة وهى تمسك فى يدها ميزانا ذا كفتين ، بينما لو أمعنا النظر فى نجومه نجد أشدها لمعانا أربعة نجوم تنتظم على هيئة معين . وفى كل الحضارات القديمة تخيلوا نجوم برج العقرب على هيئة عقرب يرفع زبانه إلى أعلى ، ولكن فى أساطير الصينيين أيام كونفوشيوس كانوا يطلقون على هذا البرج اسم « النار العظيمة » . وجدير بالذكر ان العرب أطلقوا اسم « شوله » على النجم الأخير الذى قرب ذيل العقرب .

وكذلك تصور القدامى نجوم برج « القوس » أو « الرامى » على هيئة رجل نصفه الأعلى انسان ونصفه الأسفل فرس ، وهو يمسك بيده قوسا مشدود الوتر يصوبه نحو قلب العقرب الذى يقع برجه بجواره . بينما تصور العرب نجوم هذا البرج على هيئة نعام يروح ويغدو لشرب الماء ، ويلمع بين نجوم هذا البرج نجم اسمه القوس الجنوبى .

ولقد ارتبط تشبيه نجوم برج « الدلو » أو « الساقى » بالماء منذ القدم . فقد تصوره الكلدانيون على هيئة رجل يحمل جرة ينسكب منها الماء . وتصوره العرب على هيئة ساق يحمل وعائين للماء على كتفيه يربط بينهما عصا . بينما تخيله قدماء المصريين كدلو كبير تتجمع فيه المياه ويحدث فيضان النيل عندما يمتلىء بالماء .

ولقد تصور السريانيون نجوم هذا البرج فى صورة سمكة ، ووردت فى خرافات اليونانيين أسطورة تحكى كيف هربت الملكة فينوس وابنها فى مياه نهر الفرات عندما هاجمهما وحش مفترس ، فغيرا شكليهما إلى هيئة سمكتين .

سعد شعبان

هامش :

المهندس سعد شعبان عضو لجنة الفضاء بأكاديمية البحث العلمى بالقاهرة ، وعضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس .



على طريق النهضة في قطر

المتحف والعطور والطِّيب

بقلم: درويش مصطفى الفار

أشرنا في صدر هذه السلسلة من المقالات إلى إحتمال أن اسم دولة قطر ، قد يكون جاء من القَطْرْ ، بفتح القاف وسكون الطاء ، ومعناه وضعك البخور فوق الجمر المتقد في (المقطرة) لاستبيان جودته ومدى عبقه ، وذلك لأن قطر تقع في منطقة من المشرق العربي كان ينتهي اليها أحد فروع (درب البخور) الذي كانت تتخذه القوافل منذ قرون ممعنة في القدم ، من جنوب شبه الجزيرة العربية من ممالك ، سبأ ومعين ، وقتبان ، والحميريين ، وحضرموت ، حاملة اللبان والمر ، ومعهما المسك والعنبر والزباد ، وغيرها من الأفاويه والتوابل ، إلى بلاد الشام وجنوب غربي آسيا وإلى أوروبا عبر الجزيرة والأناضول...

وعاء لحرق البخور ، يصنعه أهل مدينة الخور في قطر

والناس في قطر ، بدواً وحضراً ، شأنهم شأن بقية هذه الأمة التي إليها ينتمون ، لهم مع الطيوب والبخور شأن واهتمام ، حتى أن هنا في قطر ، ضرباً من (المداخن) أو (المباخر) الفريدة في نوعها وزخرفتها ، يصنعها أهل مدينة الخور التي تقع إلى الشمال من الدوحة العاصمة على سيف الساحل بقرابة خمسين كيلومتراً ويتخذونها من طبقات حجرية جيرية يعرفونها على شاطئهم ، ويستخرجون منها ما يشاءون عندما ينحسر ماء البحر في ساعات الجزر... ولكن هذه (المباخر) شأن كل صناعة تراثية أصيلة ، قد أصابها ما أصاب غيرها من انحسار ، من جراء هجمة المستوردات بأنواعها ، عبر القفار والبحار والأجواء ، فقل انتاجها ، وكاد الناس أن ينصرفوا عنها ، لولا بقية من صحوة يعتنقها من لا ينسون المثل القائل : « من فات قديمه ، تاه » .

ومن منطلق فلسفة أن متحف قطر الوطني بالدوحة ، لابد وأن يكون صورة للتعبير عن البيئة القطرية ، بانتماءاتها ، عربياً وإسلامياً وعالمياً عبر التاريخ ماضيه وحاضره ، في البحر والبادية ، فقد أصبح فيه قسم خاص للعطور والطيب...

ويتميز قسم الطيب والعطور عن بقية أقسام المتحف ، في أن الزائر يستطيع إلى جانب أن يرى المعروضات وأن يسمع شرحاً عنها أن يستخدم حاسة ثالثة ، حيث يتمكن من أن يشم بوسيلة خاصة ، لايوجد لها مثيل في أي متحف بالعالم كله ، روائح ما هو معروض هنالك من ضروب الطيب والعطر ، سواء أكانت ذات أصل نباتي أم حيواني...

فهنالك خامات المسك والعنبر والزباد والجندبيد استر أو مسك القندس ، وزيوت الورد والياسمين والاذخر والصندل والزعفران والعود وغيرها مما يضيق به الحصر ، كما أن هنالك أنواع اللبان والمر والمحلب والزنجبيل والقرنفل والآس ، وخامات الكحل الحجري التي كانت جداتنا وأمهاتنا يتجملن بها قبل عصر الألوان الكيماوية الحديثة التي يقال إنها من أسباب سرطانات الجلد ولكن الناس يهـرعون إلى استخدامها دون حساب...

كما يعرض هذا القسم تركيبات اشتهرت أيام الأمويين والعباسيين وطوائف الأندلس ومماليك مصر والشام ، أمكن التوصل إلى تركيبها من مصادر التراث كالغالية والخلوق والساهرية... ويتخلل هذا كله في (دواليب) العرض ، مختارات من الشعر العربي القديم مما جاء فيه ذكر الطيب والعطور ، كقول المتنبي :

وإن تفق الأنـــام وأنت منهـــم
فـإن المسـك بعـض دم الغـــزال

ولقد فاتت أبا الطيب ، غفر الله له ، الدقة العلمية ، فالغزال من الظباء ولكن حيوان المسك من (الأيائل) وكلاهما بالطبع من ذوات الظلف ولكن الظباء تحتفظ بقرونها مدى حياتها ، بينما تغير الأيائل قرونها كل عام... وليس لأيل المسك قرون ، بل أبدله الله بهما نابين طويلين في الفك الأعلى يتميز بهما ذكره عن أنثاه...

وقد ذكر العلامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد (ولد سنة ٦٠٠ هـ) الذي كتبه أيام كان قاضياً في بغداد حتى اجتاحها التتار أيام المستعصم سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) تحت كلمة تبت (بضم التاء وفتح الباء مع التشديد) ما نصه :

« وبها ظباء المسك ، وأنها في صورة ظباء بلادنا ، إلا أن لها نابين كنابات الخنازير ، وسرتها مسك ، ومسك بلاد تبت أحسن أنواع المسك لأنها ظباء ترعى السنبل (؟) وأهل تبت لا يتعرضون للمسك حتى ترميه الغزال ، وذلك أنه



قط الزباد ، أشهر مواطنه شرق أفريقيا ، ولكن العلماء يسمونه (فيفيرا) أو (سيفيتكتس سيفيتا) ، ويستخرج الزباد العطرى على هيئة سائل زيتي أصفر ثخين من غدة تقع تحت ذيل الحيوان ، الذى يبلغ من ٤٠ سم إلى ٨٥ سم من طرف ذيله إلى خشمه ، ويزن ما بين ١ $\frac{1}{2}$ إلى ١١ كج ، ويوجد من هذا الحيوان زهاء عشرين نوعا تنتشر من شرق أفريقيا إلى غربها ومدغشقر وجنوب أوروبا وآسيا...

أيل المسك ، له نابان فى الفك الأعلى بدل القرنين ، وتنمو له نافجة على شكل تورم أمام سرته ، يتوالد فيها المسك الذى تجذب رائحته الإناث فى موسم التزاوج من مسافات بعيدة .



حوت العنبر ، يقول العلماء ان مادة العنبر الشمعية القوام يفرزها هذا الحوت الضخم لتقي جدران أمعائه الآلام التي تسببها له أسنان (أم الحبر) والأخطبوط ، التي يتغذى على الآلاف منها ، والعنبر إلى جانب أنه من مكونات العطور الغالية فهو أيضا دواء للدورة الدموية ، وقد اكتشف العرب هذا منذ قرون فكانوا يتخذون منه تركيبة سموها (الإبليم) وذلك بخلطه على النار مع العسل .



« البيفر » من حيوانات الأصقاع الباردة ، وسماه العرب القندر أو القندس أو كلب الماء أو الجندبيداستر ، له غدتان تفرزان مادة تسمى (مسك القندس) وتدخل في صناعة العطور ، ويسميها الكيمائيون (الكستوريوم) .

يجتمع الدم في سرتها مثل الخراج فإذا تم ذلك الخراج تأخذ الغزال شبه الحكة ، فإذا رأت حجراً حاداً تحك به سرتها والدم يتفجر منها والغزال تجد بذلك لذة فتحك حتى تنصب المادة كلها من السرة ، وتقع على ذلك الحجر ، وأهل تبت يتبعون مراعيها ، فإذا وجدوا تلك المادة المنفجرة على الحجر أخذوها وأودعوها النواضج ، فإنها أحسن أنواع المسك لبلوغ نضجه وإن ذلك يكون عند ملوكهم يتهادون به وقل ما يقع منه بيد التجار » . وللقزويني عذره في أن يقع في بعض الخطأ منذ سبعة قرون ...

فالحقيقة أن ذكر حيوان المسك تنمو له (أمام السرة) نافجة كالجيب ينعقد فيها المسك فيحكه على الحجر فتجذب رائحته الإناث من بعيد ، لأن من عادة هذا الأيل أن يعيش وحيداً ، ولا يجتمع بأسرته إلا في موسم التـزاوج كل عام ...

ويسمي علماء الحيوان أيل المسك (موسكاس موسكيفيراس) ووجد علماء الكيمياء أن المادة الفعالة ذات الرائحة القوية الثابتة في المسك الذي قال فيه شاعرنا يصف غرام أبناء العرب بالمسك حتى في الجاهلية :

إذا التـاجر الهنـدي وافى بفـارة
من المسك أضحت في مفارقهم تجري

تلك المادة ضرب من مركبات تعرف باسم (الكيتونات) قوامه ست عشرة ذرة من الكربون وثلاثون ذرة من الهيدروجين وذرة واحدة من الأوكسجين ، وسموه (المسكون) ..

وقارنوه بالمادة الفعالة في الزباد الذي يفرزه الحيوان المسمى قط الزباد ، وهو أفريقي ، فوجدوا أن المادة الفعالة في الزباد هي كيتون آخر سموه (السيفيتون) وقوامه الجزيئي مثل ذاك الذي للمسكون إلا أنه يزيد عنه ذرة كربون واحدة فقط ..

وتوغل الكيماويون في أسرار الروائح والعطور فوجدوا أن طائفة الكيتونات التي منها المسكون والسيفيتون تتدرج في الرائحة بعدد ما فيها من ذرات الكربون ، فعلى سبيل المثال حينما يكون عدد ذرات الكربون خمساً يتسم العطر أو الطيب برائحة اللوز المر ، فاذا صرن ستاً جاءت رائحة النعناع ، ومن سبع إلى تسع تكون رائحة أنواع الكافور ، ومن عشر إلى ثلاث عشرة تأتي رائحة الأرز (بفتح الهمزة) ويقرب الكيتون من رائحة المسك والزباد عندما تكون ذرات الكربون فيه من أربع عشرة إلى ست عشرة حتى يبلغ مداه عندما تكون ذرات الكربون فيه من خمس عشرة إلى سبع عشرة ، ثم تأخذ رائحة الكيتون في الأفول عندما يصبح عددها ثماني عشرة فما فوق . وقد استطاع الكيمائيون استحداث عطور صناعية مختلفة يطلقون عليها اسم المسك ...

وفي هذا القسم الخاص بالطيب والعطور ، يؤدي المتحف جزءاً من رسالته في تثبيت المعلومات الصحيحة القديمة ، وإطلاع الزائر على المستحدث مما عرفه العلم المعاصر ، حتى لا يصبح أمرنا علينا غمة ...

فنحن في حاجة إلى تجلية الجوانب الوضاءة التي لا تشوبها الأخطاء العلمية في معارفنا الموروثة في كتب العلم ، وجمعها مع ما أفاء الله به على خلقه من نعمة اكتساب المعارف والخبرات وفتق أسرار كيان الأشياء التي ذرأها الله لنا في الأرض لنتدبر آياته ونكشف النواميس التي أجراها سبحانه في بديع صنعه الذي منه لاشك الطيب والعطر والرائحة العبقة .

هواية كاتب

بقلم: سليمان فياض

فى مجلة « ب » ، كان عملى بمطبخ التحرير . عمل متواضع بأجر قليل ، أتدرب فيه على الكتابة ، والصحافة ، أغرانى به الصديق « ر.ن » ، قال لى : تعال معى وسوف تكون كاتبا كبيرا . كنت قد تعاقدت على عمل بالتدريس فى الكويت . فتركت عقدى ، وذهبت معه .

فى نهار يوم ما من أيام الصيف ، جاءنا شاب ، وقدم لى نفسه ، وتحقيقا صحفيا عن حي بأسره من أحياء القاهرة . جلس الشاب « ع » . وشرعت فى قراءة الموضوع . الخط أنيق على ورق أصفر ، وسطور الكلمات مريحة للعين ، فانفتح قلبى . لا خطأ فى الإملاء ، ولا اللغة ، ولا التراكيب . الحي حى القلعة ، المجاور للحى الذى أسكنه . التحقيق يعرض ببراعة صحفية ، مدربة ، ومدهشة ، تاريخ الحى فى الزمان والمكان ، يتداخل فيه بيسر ، ودون تعقيد : الماضى والحاضر . الوجوه التى صارت ذكرى فى ذمة التاريخ . والوجوه التى ماتزال تعيش ، وروائح الزمن عبر العصور ، تفوح من السطور والكلمات . وانتهيت من قراءة التحقيق . قلت لـ « ع » بانبهار وحب :

ــ تسعدنا حقا معرفتك ، والتعامل معك .

لم يكن الصديق « ر » موجودا بالمكتب ، لأعرض التحقيق عليه ، وأقدم « ع » إليه . طلبت له شايا ، وذهبت بالتحقيق إلى الغرفة المجاورة كانت أبدا نصف مظلمة ، ينيرها ، فى عز النهار ، ضوء خافت من الخارج ، عبر الشيش والزجاج . طرقت الباب . وتقدمت إلى « س » سكرتير التحرير آنذاك . قدمت له التحقيق ، قائلا :

ــ أرجو أن تقرأه الآن . تحقيق مدهش .

أخذ « س » يقرأه بسرعة ، وجلست أرقب وجهه ، وأنتظر . كان وجهه كعادته محايدا تماما ، وهو يقلب الصفحات الصفراء . رفع وجهه ، ووضع الموضوع أمامه . وقال :

ــ موضوع جيد . ضعه فى هذا العدد . يحتاج لرسوم ، وعناوين مانشيتات .

قلت :

ــ كاتبه معى الآن . وأقترح تعيينه بالمجلة ، كمحرر .

قال « س ن » :

ــ لامانع . هاته لى .

وجه « ع »

عصر يوم آخر ، جاء « ع » ، ومعه تحقيق آخر ، عن قرية « سنباط » .. قرية أعرف أن سواد سكانها يشتغلون بالغناء والرقص ، فى الأفراح والموالد . كان التحقيق بخط غير الخط . لكنه كان مثل سابقه ، لا أخطاء به فى الإملاء ، ولا اللغة ، ولا التراكيب . بدا لي التحقيق ، وأنا أقرأه ، وبرغم اختلاف الخط ، يسير على نفس النسق ، وبنفس البراعة الصحفية المدربة . نظرت إلى ذيل التحقيق . وجدته موقعا باسم « م » . نظرت إلى « ع » ، فقال لى .

ــ إنه لصديق أديب ، وظروفه .... وهو ينتظر بالخارج ، فى الصالة .

نهضت ، وفتحت الباب . رأيت شابا نحيلا ، أسمر الوجه ، واسع العينين ، أليفا إلى القلب . دعوته للدخول . فوقف مبتسما . كان يرتدى بدلة شركسكين « موضة هذه الفترة » ، واسعة عليه ، الأكتاف والسواعد ، والساقان . جلس « م » وقال :

ــ مارأيك ؟

طلبت من « ع » أن يتركنا وحدنا ، فنهض وغادر المجلة . فى وجه « ع » كانت ملامح غير مريحة . الوجه سمنى ، أملس ، من هذه الوجوه الشهوانية ، غير المعبرة . إذ أغلق الباب وراءه . قلت لـ « م » :

ــ صارحنى . التحقيقات بقلم واحد ، ولكاتب واحد . دعنا من اختلاف الخط .

ضحك « م » بخجل ورقة . أشعل سيجارة وقال بشجاعة :

ــ هذا صحيح . وأنا الكاتب . أنا كما ترى خجول ، وأخاف من ظلى .

وجاء الصديق « ر » فعاونه للعمل بالمجلة كمحرر مكتب مثلى . فرحت به حقا ، فهو ظريف ، وأنيس ، وحلو الدعابة ، وماهر مهارة بالغة فى إعادة كتابة موضوعات المحررين ، المليئة بالأخطاء من كل نوع ولون .

واكتشفت ، من « م » ، خلال العمل ، صداقته بـ « ع » ، وأنه يكتب له ، أو يعيد كتابة كل مايقدمه « ع » للمجلة من موضوعات ، فى البيت ، أو فى المقهى . يحدد له « م » المطلوب من معلومات لموضوعه ، فيجمعها هذا ، ويجلس « م » ويعبها باقتدار فى نسق تحقيق ، أو حديث . سألته وأنا أضحك :

ــ لم ؟ أتقتسم معه ؟

ــ لا .

ــ أله عليك أفضال ؟!

ــ ولا هذا .

عدت أقول بحيرة :

ــ لم إذن ؟

فأجابنى بكلمة واحدة وهو يضحك :

ــ هواية !!

دهشت ، وصمت ، وفى عقلى حيرة . أية هواية هذه التى يقدم بها شخص إلى الناس على أنه كاتب ، ولا مقدرة لديه على ذلك ، أكثر من أنه ، كسواد العاملين فى الصحافة ، جامع معلومات .

حديث مع نجمة

مع « س » نفسه ، اشتغلنا لشهور فى صحيفة « ج » ، أنا و « م » ، بمكافأة ، ودون عقد ، لاتزيد عن عشرة جنيهات ، كنا أيضا فى مطبخ صفحة « س » الأسبوعية ، وجهدت و « م » لزيادة المكافأة بعمل تحقيقات حراقة ، وتقديم أخبار ساخنة لكن الأجر ظل كما هو شهرا بعد شهر . الجنيهات العشرة هى هى ..ولم يعجبنا الحال فخرجت أنا و « م » من المجلة ، أنا إلى وزارة الأوقاف ، و « م » غطس ، ولم ألتق به إلا مصادفة . وفى إحدى المصادفات لقيته . سألته موعدا للقاء . فحدد لى موعدا بكافيتريا ، فوق حلوانى ، بشارع القصر العينى .

ذهبت إلى « م » فى الموعد . وجدته يصب حديثا مع الممثلة النجمة الشهيرة « س » ، يضع الأسئلة ، ويضع الأجوبة أيضا ، ومن الذاكرة . وجلست أنتظر فراغه مما يكتبه بخط أفقى كنبش الفراخ ، لاماته وألفاته مثل نوناته . وحين انتهى أقرأنى الحديث ، وهو يبتسم بسخرية ، وعيناه تبرقان ، كأنه يقدر سلفا انطباعاتى عما سوف أقرأه . كان بين الأسئلة والأجوبة :

ــ هل تحبين الملوخية ؟

ــ موت ؟

ــ يطبخها لك الطباخ ؟

ــ بل أطبخها بنفسي . ياسلام لو ذقتها . تأكل صوابعك وراءها .

وفى نهاية الحديث ، كان التوقيع : «ع.ص» .

قلت لـ «م» :
ـ حديث طيب ، لكنه مضحك . توقعت أن يكون التوقيع لصاحبنا «ع.ص» . أين سينشر ؟
ـ فى مجلة «إ . ت» . فصديقنا يعمل بها الآن
ـ ما زلت تمارس نفس الهواية .
ـ له بيت ، وأعيش معه . وأنتظر عملا فى مجلة «م» . صديقنا «س» وعدنى بتوسطه عند رئيس التحرير .

كاتب عبقرى

كنت قد عملت شهورا بوزارة الأوقاف ، وبدأت أنسل منها لضآلة المكافأة ، جنيهات عشرة أيضا ، واستأنفت الكتابة للإذاعة ، فى برنامجين إذاعيين وقدمت صديقى «م» إلى النجمة الإذاعية «س . ص» . واعتقدت أن «م» سيستغنى بأجور مواده الإذاعية عن هوايته ، ولكنه ، لدهشتى ، ظل يمارس هوايته لصالح «ع . ص» وبدا لي أن فى الأمر سرا ، قد يكون الخجل من الرد والرفض ، وقد تكون العادة ، وقد يكون الإشفاق على صديق . إلى أن أصبح صديقى «م» كاتب تمثيليات للتليفزيون ، لم يلبث أن صار فيها نجما ، مع المخرجة الصديقة «ع» فى السنوات التى هربت فيها من القاهرة ، ومن الصحافة والإذاعة والتليفزيون ، للعمل مدرسا بالسعودية .

التقيت بعد أعوام من العمل بالتدريس فى السعودية ، ثم فى البدارى ثم فى الاسكندية ، بصديقى «م» ، وكنت قد انتقلت إلى القاهرة ، مدرسا أيضا . شكوت إليه ضآلة المرتب ، وعدم كفايته للمعيشة . فصحبنى إلى النجمة الإذاعية «س . ص» ، وقدمنى إليها ، فقد باعدتنى سنوات الانقطاع عن العمل من ذاكرتها ، أعطتنى «س.ص» نصا إذاعيا لـ «م» ، وقالت :

ـ اقرأه . واكتب مثله . إنه كاتب عبقرى .
نظرت إلى «م» وضحكنا بأسى ، وحب ، وقال : «م» لـ : «س.ص» إننى عمه وأستاذه ، فسجلتها عليه ، ولم أعرف ، إلى اليوم ، سبباً لهذا الوصف . سألته حين خرجنا من مكتب النجمة الإذاعية :

ـ أمازلت تمارس هوايتك ؟
فقال بتأكيد :
ـ نعم .
ـ لم ؟
ضحك وقال :
ـ هواية . ماذا أفعل ؟

عصر الزيف

شاهدت فى دور السينما أفلاماً جيدة ، عن روايات لكاتب شهير . أدهشنى أن يكون كاتب السيناريو لها هو : «ل.» وكان سبب الدهشة معرفتى بأنه كاتب رديء . كان يقدم لنا ونحن نعمل بمجلة «ب» موضوعات صحفية ، غير متماسكة ، مليئة بأخطاء الكاتبين الصغار والناشئين . وكان «طبخ» موضوعاته يجهدنا غاية الاجهاد . ولقيت الصديق «م» . سألته فى دهشة :
ـ كيف يمكن أن يكتب «ل» مثل هذه السيناريوهات ، من أين له هذه الخبرة ، وتلك القدرة المفاجئة ؟
فابتسم «م» ، وقال وهو ينفخ دخان سيجارته ، بهدوء شديد :
ـ أنا كاتب هذه السيناريوهات .
صحت :
ـ لماذا ؟
فانفجر ضاحكا ، وقال :
ـ هواية .
صحت :
ـ هوايتك كانت مع : «ع.ص» . وسكت . قلت بينكما ود قديم . أفهم ذلك . لكن ، مع «ل» أنت ترتكب جريمة . تصنع منه كاتباً ، وستقدم له يوما ، بسبب ذلك منصبا يتحكم به فى رقاب العباد .
فقال بهدوء :
ـ إن لم أكن أنا ، سيجد غيرى . ويحقق ماسوف يصل إليه . نلت منه ألف جنيه عن كل سيناريو ، بعيدا عن الضرائب . ولو استطعت تسليك هذه السيناريوهات لنفسى وهذا عسير جدا لفعلت ، ودفعت الضرائب .
ثم نظر إلى ، وقال :

ـ نحن فى عصر الزيف . تذكر آلاف الأشياء والأمور من حولنا . وسوف ترى صدق ماأقول ، وتتفرج .

بداية .. الهواية

صدرت للكاتب القصصى : «.....» ، مجموعة قصصية عن الطبقات الشعبية أحدثت بعض الضجة ، وكتب عنها نقاد الأعمال الأدبية عن هؤلاء «البسطاء الشرفاء» . ولقيت صديقى «م» . وتحدثت معه عن المجموعة ، وقلت له عنها ، إنها لابأس بها ، فقال لى :

ـ كتبت يوما أول مانزلت القاهرة ، عددا من قصصها . أستطيع أن أسميها لك بالاسم .

ـ ضحكت ، وقلت غير مصدق :
ـ للهواية أيضا ؟
قال :
ـ ربما . حين كتبت له هذه القصص . عرفت الجوع . وفقد المأوى .

كان يصحبنى معه إلى بيته ، أتعشى ، وأبيت . أكتب له قصة . ينشرها باسمه ، وأقترض منه جنيها .

ظننت مع ذلك أنه يبالغ فى الحديث عن هوايته . حتى لقيت الصديق الكاتب «غ.هـ» ، فاعترف لى بدوره ، أنه كتب له أيضا أكثر من قصة ، وأحيانا كان يكمل له قصة كتب منها نصف صفحة . ولقيت صديقا آخر ، شاعرا : «ج . ع» ، لاعهد لى بكونه كاتب قصة ، فأخبرنى ان خير قصص صاحب المجموعة ، التى تحمل المجموعة عنوانها ، كتبها هو . قال لى :

ـ أعطيتها له ، للنشر فى مجلة «ر» ، فهو يعمل بها . وإذا بى أفاجأ بأنها منشورة فى العدد التالى من المجلة باسمه . ثرت ، وذهبت إلى مجلة «ر» وفضحت الأمر . وحدث تحقيق . وبكى بحرقة أمام رئيس التحرير . أشفقت على مأساته ، وسحبت شكواي ، وأنهيت هذا الأمر .

نهاية هواية

فر الصديق «م» بقلمه إلى شركات التليفزيون العربية ، ثم هاجر مع قلمه بجسده . كان يسافر ويعود ، ويذهب ويأتى . صار كاتب مسرح ناجحا وكاتب مسلسلات تليفزيونية ناجحا . لكنه عرف الصمت ، والحزن ، والشعور برغم عمله باللاجدوى . فثمرات فنه مسرحا وقصة ، لاتعرف طريقها إلى العرض فى وطنه الصغير : مصر . وأكاد أجزم عن يقين أنه قد فارق هوايته ، مع الزمن .



أثارت مسرحية «ماهاباراتا» النقاد والجمهور في الغرب كما لم تثرهم مسرحية أخرى منذ سنوات.

المسرحية هي اقتباس فرنسي للملحمة الهندية التي كتبت باللغة السنسكريتية منذ ٣٥٠٠ سنة. وهي أول عمل من التراث الانساني الشرقي يتسنم ذروة المسرح الغربي بنجاح مثير.

بقلم: الفريد فرج

مدة عرض المسرحية الفرنسية أكثر من عشر ساعات. وهي لذلك مقسمة إلى ثلاث سهرات.. الأولى بعنوان: «مباراة النرد». والثانية عنوانها: «النفي إلى الغابة». والثالثة عنوانها: «الحرب».

والمسرحية مبادرة جريئة للمخرج الانجليزي الذي يعمل بباريس، الفنان بيتر بروك، ويعتبره الكثيرون أهم شخصية مسرحية في الغرب اليوم، وكتبها في نصها الفرنسي الكاتب جان كلود كاريير.

رحلة بيتر بروك

قبل عشرين عاماً كان بيتر بروك أحد أبرز المخرجين لفرقة شكسبير الملكية، ولمع اسمه في الغرب باخراجه مسرحية «الملك لير» التي اعتبرت في وقتها (١٩٦٨) أفضل اخراج للمسرحية في الجيل.

ومن الملك لير اقتحم بروك ميدان التجريب بالمسرحية السياسية الوثائقية التعبيرية، والتي تنتمي للمسرح الشامل: «يو إس»: وهي تعبر عن قلق الضمير الانساني إزاء حرب فيتنام (١٩٦٩).

وقد استعان بروك في هذه المسرحية بأستاذ فن المسرح الفنان البولندي البارز آنذاك جروتفسكي. ووضعت مسرحية «يواس» بروك في الذروة من فناني المسرح، وأصبح ظاهرة ساطعة.

وبعدها استطاعت فرنسا، التي تنافس انجلترا بكل قواها على المركز الأول للمسرح الغربي، أن تجتذب بيتر بروك إلى ساحتها عام ١٩٧٥، فمنحته وزارة الثقافة الفرنسية دعماً معتبراً ومسرحاً من مسارح الدرجة الأولى بباريس. وانتقل بروك إلى فرنسا وكون فرقة من الفنانين من جنسيات مختلفة بينهم إلى جانب الممثلين الأوروبيين ممثلة لبنانية الأصل وممثل مغربي الأصل وممثل من نيجيريا.

ولم يكن الضجيج الذي أحدثه انتقال بروك إلى فرنسا قد هدأ بعد، ولا ما أثاره من سخط الانجليز عليه وعلى مؤسسات دعم الفنون في بلادهم قد انتهى بعد.. في الوقت الذي تعاقب فيه الصحفيون والمصورون لينظروا ماذا يفعل هذا الفنان الساحر المشعوذ بالمعمار المسرحي الباريسي الأنيق الذي خصص له.

فعلى مرأى من الشهود وأمام العدسات نزعت الكراسي الوثيرة من صالة المسرح وأقيمت مكانها مقاعد خشبية مستطيلة غفل عن أي جمال، ونزع الستار والكواليس، وصار تحريق اطار فتحة المسرح وجوانب المنصة العارية وتشويه حوائطها!

على هذا المسرح سيجري التمثيل في «الأرض الخراب»، طبقاً للوصف الذي أطلقه الشاعر الإنجليزي الكبير ت. س. إليوت على أوروبا


بيتر بروك.. أشهر المخرجين في الغرب اليوم


بيتر بروك.. في التدريبات

القرن العشرين أو عالم القرن العشرين في قصيدته الشهيرة بهذا العنوان .

بدعة فنية ؟! جنون الفنون .. أو فنون الجنون ؟! ..

قل ما تشاء . فإن بيتر بروك قد اجتذب جماهير الشباب الأوروبي ممن يتظاهرون بأعداد هائلة ضد التسليح النووي ، وضد تلوث البيئة وضد الاستقطاب الدولي ، ويتمردون على مجتمعاتهم وتقاليدهم في تيار « الهيبز » أو « البونك » أو أولئك الذين يثرثرون في المقاهي والنوادي حول الفلسفات الجديدة ، والثقافة الجديدة ،وبناء عالم جديد .. وقد أصبح مسرح بيتر بروك « بوف دي نور » في باريس من يوم افتتاحه من أغنى المسارح بجماهير الشباب .

كان المظهر التقشف الجديدللمسرح أيضاً علامة على التيار الفني الجديد الذي كان بيتر بروك أحد علاماته .. التيار المتجه « نحو مسرح فقير » .

« نحو مسرح فقير » هي صيحة أولئك الذين رأوا أن المسرح يجب أن يتخلص من الزينة والزخرف والمحسنات ، وأن يبرز جوهر العمل المسرحي ونبضه الإنساني وقوة العرض من خلال الممثل والحركة والكلمة بلا تزيد .

المسرح الجديد نبذ الامكانات غير المحدودة للآلية أيضاً ، واستغنى عن ثقل الديكور والملابس وأبهة المجموعات البشرية فوق المنصة .. وعمد إلى البساطة واستند إلى قوة التمثيل التعبيري وقوة الموضوع والقوة التي تنطوي عليها حركة الممثلين .. في اطار مسرحي شفاف وبسيط ومباشر .

إن مسحة التقشف في المعمار المسرحي لبروك أثر من آثار هذا التوجه وطابع لرحلته الفنية .

وكانت رحلة مسرح بروك ، أو رحلته في مسرحه ، غريبة ومتميزة أيضاً . فقد بدأ بمسرحية مهملة لشكسبير من مؤلفاته المبكرة اسمها « تيمون الأثيني » ، فأعطاها حياة جديدة بأسلوبه التعبيري الجديد .. بحيث أصبحت المسرحية اليوم من المسرحيات الشكسبيرية المتداولة بين المسارح .

وبعدها قدم بروك « تقريراً للأمم المتحدة » مسرحاً (!) وهو تقرير اجتماعي عن قبيلة من كينيا اسمها قبيلة « الأيك » كانت تعيش على حرفة الصيد . وبعد استقلال كينيا وفي إطار الخطة الخمسية للتنمية قررت الحكومة الكينية نقل قبيلة الأيك إلى منطقة استصلاح زراعي وتعليمهم حرفة الزراعة .. ولكن أبناء القبيلة تسربوا فارين من قراهم النموذجية وتفرقوا عائدين إلى حرفة الصيد !

ومغزى التقرير والمسرحية هو العسف الذي ينطوي عليه تخطيط لا يراعي التقاليد المتوارثة والإرادة الحرة للإنسان .

ولكن مسرحية التقرير كانت نموذجاً للبراعة الفنية والحساسية الحرفية للفنان .. يذكرنا بمقالة الموسيقي العربي الخالد سيد درويش مرة أن بامكانه تلحين الصحيفة اليومية وامتاع الناس بغنائها !

وبعد الأيك قدم بروك قصة شرقية أبطالها جميعاً من الطيور ، بعنوان « الطيور » .. أقرب ما تكون لقصص كليلة ودمنة .

ثم قدم الفنان مسرحية « كارمن » عن الأوبرا الشهيرة بأسلوبه التعبيري الأخاذ . ثم جاء دور « ماهابارتا » الهندية .



« الحرب » .. الجزء الثالث من ماهابارتا

الملحمة الهندية

ماهاباراتا

جاذبية الشرق

يتميز بيتر بروك عن زملائه من كبار المخرجين الأوروبيين بذكاء خاص يجذبه لفنون الشرق.

وأول أثر أذكره من حب بيتر بروك للشرق هو أن الموسيقى التصويرية لمسرحية شكسبير «تيمون الأثيني» لم تكن إلا ايقاعات تونسية شعبية.

وقد التقيت بروك عدة مرات لقاءات عارضة فعلمت منه أنه زار أقطار الشمال الأفريقي ومصر وايران وأفغانستان عدة مرات، وأنه يتذوق الفن الشرقي ويحب الفنون الموسيقية الصوفية.

لذلك لم يفاجئني اتجاهه للهند، واختيار ملحمته القديمة الشهيرة.

وتروي الماهاباراتا مصائر فريقين من أولاد العم يتنازعان الحكم، وتقع في ١٥ مجلداً كبيرا، وقد كتبت باللغة السنسكريتية منذ ٣٥٠٠ عاما حسب أقوال الباحثين.

وتدور قصتها حول ملك يتزوج للمرة الثانية، فيشترط عليه أبو العروس أن يكون ابن ابنته هو الملك من بعده فيتردد الملك حيث أن له ابنا من الزوجة الأولى.. ولكن هذا الابن يضحي بحقه في العرش من أجل أبيه ويقطع على نفسه عهداً ألا يعرف النساء أو ينجب أطفالاً.

الزوجة الثانية تنجب ولدين أحدهما أعمى والثاني أمهق (شديد البياض). وينجب الأمهق خمسة أولاد بينما ينجب الأعمى مائة ولد.

وفي مباراة للنرد يفقد الأمهق كل حقوقه وحقوق أبنائه في العرش والإرث، وقد راهن بماله ومصيره وخسر الرهان فأمره أخوه بأن ينفي نفسه في الغابة عشر سنوات، وأن يتنكر هو وأهله بعدها بحيث لا يتعرف عليه أحد!

وبعد المنفى يعود الأولاد لاسترداد الحقوق واتخاذ الحلفاء، فتشتعل الحرب التي تمزق الأسرة وتقسم الولاءات وتنذر «بدمار العالم».

ومن هذه الزاوية ينفذ بروك إلى جمهوره، إلى الواقع الأوروبي، إلى الشباب المتوتر بالحياة تحت وطأة الخطر النووي الذي يهدد «بدمار العالم».

القصة الهندية في إطار المسرحية الفرنسية تتجاوز حدود الهند، وتتجاوز حدود التاريخ لتصور دراما العصر وقضية الحرب والسلام الكونية.

والملحمة الهندية في مجملها تشبه الملحمة العربية الشعبية «الزير سالم» التي تحكي بدورها قصة حرب البسوس، والقتال الرهيب بين أولاد العم: بكر وتغلب، وتمزق النفوس والولاءات في تلك الحرب الأهلية المدمرة.

إلا أن الملحمة الهندية تختلف عن الملحمة العربية الأحدث منها عهداً بشحناتها الرمزية والأسطورية، وتختلط صور الصراع الواقعية في ملحمة الهند بالاشارات الدينية والخوارق السحرية والطقوس التقليدية.

ولعل هذه العبوات الغامضة في الملحمة الهندية، والرموز المغرقة في المحلية أن تكون قد حيرت الفنانين الأوروبيين الذين اضطلعوا بهذا العمل المسرحي الحديث.

فقد كان أمامهم مشكلتان في الصياغة الفنية للعمل: تعامل المسرح الحديث مع التراث القديم.. وتعامل العقل الأوروبي الحديث مع الموروث الأسطوري الشرقي.

ولأدع بيتر بروك نفسه يروي هذه التجربة في التعامل ومشاكله.

كتب بروك عن ذلك يقول:

«إحدى الصعوبات التي نواجهها أمام نص تقليدي أسيوي هي أننا نعجب به دون أن نفهمه. وبسبب عدم امتلاكنا كل مفاتيح الرموز نظل خارجه، مسحورين بالتأكيد بظاهر العمل، ولكننا غير قادرين على أن نلمس الحقائق الإنسانية التي من غيرها ما كانت هذه الأشكال الفنية المعقدة قد أنشئت وألفها المؤلفون والفنانون على الإطلاق.»

اقتراب الفنان من الموضوع

والأفضل أيضاً أن نقتبس مما كتبه بيتر بروك نفسه قصة اقترابه من الملحمة الهندية، ثم حماسه لتقديمها إلى الجمهور الأوروبي.

فقد كتب في ذلك يقول:

«أول مرة عرفت اسم الماهاباراتا حين شاهدت راقصاً يقدم مقطعاً من الملحمة.

«كان ظهوره المفاجئ من بين الستائر هزة لا تنسى، وكان يرتدي رداء أحمر مذهباً، وقد لون وجهه باللونين الأحمر والأخضر.»

ملحمة ماهاباراتا تشبه في مجملها الملحمة العربية الشعبية "الزير سالم"!

«ومن خلال حركته العنيفة الرائعة قر في وهمي أن تلك لحظة تنبض بالتاريخ — ولكن أي تاريخ؟.. لم يكن بامكاني إلا أن أتصور أسطورة ما، بعيدة جدا عني، تتبدى لي من خلال ثقافة مختلفة، ولا علاقة لها بحياتي.. فرويداً رويدا تهافت اهتمامي، ونسيت هزة اللحظة الأولى، ونسيت بعدها ما تركته الرقصة عندي من أثر..

«الفضل في اطلاعي للمرة الثانية على تلك الملحمة الهندية يرجع إلى أستاذ اللغة السنسكريتية فيليب لا فاستين، الذي حكى لي ولزميلي الكاتب جان كلود كاريير مجمل الملحمة بحماس وبحرارة.. وبفضله بدأنا نفهم لماذا كانت هذه الملحمة إحدى أكبر المؤلفات الأدبية الإنسانية، ولماذا كانت — ككل الأعمال الأدبية الإنسانية الكبرى — بعيدة عنا، وقريبة منا جداً مع ذلك.

«جان كلود وأنا سحرنا بها، ووقفنا على الرصيف لشارع سانت أندريه في الساعة الثالثة صباحاً بعد سهرة تاريخية مع الأستاذ لافاستين، واتخذنا قراراً، وهو أن نجد وسيلة لنشرك معنا في هذا «التاريخ» جمهور المسرح الغربي».

ومن هنا بدأت رحلات الفريق إلى الهند.

المؤلف والمخرج..

ثم المؤلف والمخرج والموسيقي ومصمم الملابس والديكور..

ثم الجميع مع الممثلين جميعاً..

المرة بعد المرة.. يشاهدون الفن التقليدي بكل صوره، يعايشون الفنانين الهنود، يتحاورون مع أساتذة التاريخ والأدب وأساتذة الفن..

يكتشفون ما تعنيه حركة الأصبع في الرقص والتمثيل، ما تعنيه الكلمات، والتنهدات، وحركة الجسد، ونبرات الصوت..

يكتشفون ما تعنيه الألوان، وقطع الملابس. يقول بروك: «لم تعد الهند حلماً جميلاً بعيداً، أصبحت حقيقة، أصبحت واقعاً.. أغنى كثيراً جداً من الأوهام والأحلام».

«لقد حاولنا استيعاب ذلك الفن في أصالته، ونحن بكامل اليقظة.. نعرف أن تقليده حمق واستحالة. إننا لن نعمد إلى المحاكاة، وإنما إلى الايحاء. لن نتزلق إلى تبجيل ما نراه أو إجلاله، فالفن عدو التبجيل والاجلال. لقد فحصنا التقنيات الفنية الشعبية بعامة ولكننا لن نعتمد إلا على السليقة الأوروبية وطريقتنا في الارتجال..

«قلت للفريق: إننا لا ندعي إحياء فن هندي، عمره ثلاثون قرناً، أو أننا سنعرض ما فيه من رموز وفلسفة.. وفي المقابل لن ندعي أيضاً عكس ذلك. إننا نشاهد ونفكر فقط».

النص المسرحي

ترجمت «ماهاباراتا» لأول مرة في أوروبا إلى اللغة الإنجليزية عام ١٧٨٥ بقلم تشارلز ويلكنز، ثم ترجمها إلى الفرنسية عام ١٧٨٧ م. بارو عن الإنجليزية.



« مباراة النرد » .. الجزء الثاني من ثلاثية ماهابارانا



« الحرب » .. مشهد من ماهابارانا

وفي القرن التاسع عشر ترجمها إلى الفرنسية عن السنسكريتية مباشرة دكتور ل . بالين .

في عام ١٩٧٥ رواها البروفيسور فيليب لافاستين للمؤلف جان كلود كاريير والمخرج بيتر بروك ..

وفي الأعوام الخمسة التالية إلتقى المؤلف بالبروفيسير عدة مرات يدون الملاحظات . ولكنه خلال عام ١٩٧٦ كان قد نظم هيكلاً ممكنا للمسرحية ، وهو يقرأ الملحمة مع أستاذة للدراسات الهندية هي مادلين بياردو في جلسات منتظمة .

وكان المؤلف والمخرج يلتقيان أيضا خلال تلك الأعوام الخمسة في جلسات قراءة منتظمة .. بروك في الترجمة الإنجليزية وكاريير بيده الترجمة الفرنسية ، يقارنان بينهما ، ويحددان الخطوط الأساسية لعملهما .

ثم جاءت مرحلة الرحلات إلى الهند ، مع بروك ، ثم مع الفريق .. المشاهدات واللقاءات .

كتب كاريير عن تجربته يقول :

« كنت أجمع الانطباعات ، ولم أتأثر كثيرا بتحليلات الأساتذة . كنت أسلم نفسي لهذا النهر العارم للشعر يتدفق أمامي بجلال عميق وبثراء لا يقارن ، ويتحدى كل تحليل فني أو تاريخي أو سيكولوجي أو أدبي .

« إن أبوابا تنفتح لتفضي إلى أبواب تنفتح » .

« الملحمة تستطرد ، دون أن تفقد الخيط الرئيسي .. وكل إشارة فيها قوية » .

بدأ كاريير الكتابة التفصيلية في خريف ١٩٨٢ وطوال ١٩٨٣ .. إلى ١٩٨٤ ، وكان الممثلون يتدربون في هذه الأثناء ويجري العمل على الموسيقى .

في خريف ١٩٨٤ بدأت التدريبات المتكاملة ، وكان النص قد انتهت كتابته ، إلا أن تعديلات أحدثت في النص أثناء التدريبات التي استمرت ٩ شهور ، وتم حذف بعض المشاهد الجانبية .

يقول كاريير : كنت حريصاً جداً على تثبيت إنسانية الشخصيات ونزع هالاتهم السحرية لنصل بهم إلى صميم المسرح » .

« الذين كانوا يتصفون في الأصل الملحمي بقوة العزم واستقامة التصميم .. جعلتهم في مسرحيتي أحيانا يتساءلون . والذين كانوا في الأصل الهندي يؤمنون بالمصير في استسلام .. جعلتهم في مسرحيتي يتأملون أعماق أنفسهم .. دون أن أنزلق إلى إقحام تحليلاتنا أو أحكامنا أو أي طرف من مفاهيمنا المعاصرة » .

اللغـة

وكتب كاريير : « نبذت كتابة الحوار بلغة أثرية أو بفرنسية العصور الوسطى المثقلة بالصور . كما أن اللغة الباريزية العادية كانت تبدو لي مستحيلة ، وكان علي أن أتجنب أيضاً كل عبارات المجاملة الدارجة في لغتنا الفرنسية . وبذلك أصبح اختيار اللغة المناسبة للحوار في مسرحيتي قضية .. تماماً مثلما كانت قضية ومشكلة للموسيقي والمصمم أن يختارا الموسيقى الملائمة والملابس والاكسسوار الذي يتعين أن يضفي الطابع الهندي على العمل ..

« لقد قررت أن أكتب حواري بلغة بسيطة ومباشرة ومتقشفة . أكتب بالفرنسية مسرحية غير فرنسية ، وأفتح لغتي لايقاعات جديدة وصور آتية من الشرق .. دون أن أقع في منزلق الآخر وهو تكريس اللمحة الهندية وتكريس الانقطاع للعلاقة مع الجمهور الأوربي » .

الدعـم

تكلفت هذه الثلاثية المسرحية كما لا يخفى نفقات كبيرة جداً ، إذا أضفت إلى الانتاج نفقات الرحلات إلى الهند والبحوث الكثيرة التي تمت .

ولكن المسرح الغربي عموماً يتمتع برعاية اقتصادية محيطة ، ومشروع مسرحي مثل مشروع بروك يتمتع أيضاً برعاية خاصة أوسع .

لذلك تقرأ في كتيب المسرحية أن المسرح كي يتم هذا العمل الرائع قد تلقى المساعدات المادية الخاصة من جهات متعددة في مقدمتها وزارة الثقافة الفرنسية ، ومقاطعة ساحل الأزور ، ومن مهرجان الهند ، ومن مجلس مدينة باريس ومن مؤسسة روكفلر ومن القناة الرابعة للتلفزيون البريطاني ..

أضف إلى ذلك الدعم توجه المسرح بالشكر إلى العديد من الأساتذة وأصحاب المشورة الذين ساهموا بعلمهم في إتمام العرض .

المسرحية تطوف العالم

عرضت المسرحية بباريس وفي مهرجان أفنيون ومهرجان أثينا ، ثم عادت إلى باريس وتستعد الفرقة للطواف بانتاجها في أنحاء العالم .

ومن الصعب طبعاً أن أقدم للقارئ تقييما حقيقياً للعمل المدهش الطويل الذي شاهدته ، وقد تكون انطباعاتي عنه مجرد تحصيل حاصل إن لم أوفه حقه من التحليل والوصف . ولكني يجب أن أسجل فحسب أن احتفال الجمهور والنقاد به كان في الذروة ،وربما أتاحت لي الظروف أن أتحدث عن العمل في فرصة أخرى .

الفريد فرج

بقلم : جمال قطب



البنت وقطتها..

في لقاء الشهر الماضي ، عندما استعرضنا في عجالة مدارس الفن الشهيرة ، كمقدمة لحديثنا عن فناننا موضع الاهتمام في المقال السابق ، قلنا إن (التأثيرية) جديرة بأن نقف أمامها وقفة متأنية متأملة . وذلك لما تميزت به من العودة إلى الفطرة واستلهام الطبيعة والتفتح على مباهج الحياة .. فمن ناحية الشكل ، فالتأثيرية هي إطلاق سراح الألوان وتسجيل ما (تبصره) عين الفنان من حيث هو ضوء ، مغفلاً ما (يعرفه) بذهنه من صور الأشياء ، أي أنه قد حصر اهتماماته في تصوير الإحساسات البصرية التي تعكسها النظرة الخاطفة مباشرة على شبكة العين ، علم البصريات قد اكتشف حينذاك أن هذه الاحساسات إنما ترجع فقط إلى الضوء الذي تعكسه المنظورات على عصب الإبصار ، ولهذا انتهج (التأثيريون) أو (الانطباعيون) هذه القاعدة لرسم ما يرى ، لا ما يعرف . أما لماذا تحظى التأثيرية (الانطباعية) منا بكل هذا الاهتمام في منطقتنا العربية ، فيرجع إلى ملاءمة نهجها الضوئي مع أجوائنا الرحبة وطبيعتنا الصافية وشمسنا الساطعة المتلألئة ، كما أن نهضتنا الفنية الحديثة قد انبثقت على أرضنا في أعقاب سيطرة التأثيرية على الابداع العالمي ، ولا غرو أن تكون أول مدرسة للفنون الجميلة قد افتتحت أبوابها في القاهرة عام ١٩٠٨ ، متخذة من أسلوب التأثيريين منهجاً لها في فن التصوير .. وظهر العديد من فنانينا الرواد ، وهم قادة التأثيريين العرب الأوائل ، من أمثال يوسف كامل وراغب عياد (في مراحل فنه الأولى) وأحمد صبري ومحمود حسن .. وغيرهم .. وظلت التأثيرية تستقطب المواهب الفنية وتثير الاهتمام والإعجاب حتى يومنا هذا ، لما لها من إبهارات بصرية وجماليات شكلية رائعة !

وقصة ظهور هذه المدرسة الفنية المتألقة ، هي قصة للكفاح والثبات والتصميم على الجديد في عوالم الفكر العالمي النابض بالحركة والحياة .. وحتى بعد إقامة المعرض التأثيري الأول في شهر ابريل من عام ١٨٧٤ بباريس ، لم ينل هؤلاء الفنانون من معرضهم إلا الاستهزاء بهم والتهكم على أعمالهم التي وصفت وقتها بالتهريج والإسفاف ، كما أطلقوا عليها اسم (الفن المنحط) إمعاناً في النيل من هؤلاء المجيدين . ولا نتصور أن هذا الرأي كان تقييماً خالصاً لوجه الفن .. ولكنه كان يرجع في المقام الأول إلى التمزق والصراعات السياسية التي سادت فرنسا في الربع الأخير من القرن الماضي عندما تحالفت بعض القوى وكونت حزباً سمته (حزب النظام) . وقد وجد أنصار هذا الحزب في التأثيريين ثورة تحريرية تناقض التقاليد المتوارثة ، فوقفوا لهم بالمرصاد .. واصمين الفنانين بأبشع التهم والأوصاف ، وشوهوا سمعتهم لفترة طويلة من الزمن ، وبالرغم من ذلك لم يتوقفوا عن اقامة المعارض . وما إن انقشعت الغمامة رويدا رويداً عام ١٨٧٩ ، حتى أقامت الجماعة معرضها التأثيري الرابع ، وعندئذ أقبل عليه الجمهور إقبالاً عظيماً . وقد حل الاستحسان والتذوق والاستمتاع محل السخرية والاستهجان والاستنكار ! وتوالت المعارض .. حتى شهد عام ١٨٨٦ آخر معارض هؤلاء الرواد .. وكان المعرض الثامن في ترتيب معارضهم الجسورة !

أما زعيم الجماعة ، فإنه من الصعب علينا الفصل بين نصيب كل من فنانينا (رينوار) و (مونيه) في نشأة التأثيرية ، ومن الشائع أن ينسب الفضل في استخدام الألوان القزحية إلى رينوار ، مستفيداً باكتشاف علم البصريات في تحليل ضوء الشمس وألوان الطيف أو ما يعرف بالألوان القزحية .إلا أنه كان ولوعاً دائماً برسم الأشخاص متخذاً من المرأة والطفولة موضوعاته المفضلة .. في حين كان مونيه ومعظم فناني التأثيرية يميلون إلى تصوير المناظر الطبيعية . ولكن الصورة الشخصية عند رينوار لم تكن مجرد تكليف أو عمل فرض عليه إنجازه ، ولكنها كانت وسيلة للتعبير عن بهجة الحياة ، مستخدماً عبقريته في تجسيد الأشكال والمعاني بلمسات متحررة مشحونة بالعاطفة والانفعال ، وكانت الأضواء والظلال التي يضعها بأسلوب تأثيري واع على مسطح لوحاته ، تكسب إبداعاته طابعها المشرق الوضاء الذي تألقت به في عالم الفن الرفيع .

وقد عرف عن رينوار أنه لم يكن صاحب نظريات وقوانين يرفع شعارها أو يلقنها لغيره ، بل كان الفن في نظره وقناعته صناعة بارعة وصياغة وجدانية مفعمة بالانفعال جياشة بالعاطفة .. كما كانت صلته الوطيدة بالتأثيرية تنبع من اتفاقها مع هواه حيث تعطي المشاهد صورة حسية وضاءة النور نابضة الحياة ، ليس فيها إيماءات الرومانسية الأدبية ولا جفاف الذهنية الواقعية .

وأيا كان الموضوع الذي صوره فناننا رينوار ، فإنه كان يؤمن بأن (الصورة) يجب أن تخرج إلى حيز الوجود وهي تبعث الجمال والسرور والبهجة في نفس من يراها !

وبين تاريخ ميلاده سنة ١٨٤١ ، وتاريخ وفاته سنة ١٩١٩ ، جرت حياة رينوار رحبة خصبة بهيجة مشرقة بالأمل والبهجة والألوان المتلألئة البراقة .. وكان حصاد هذه الحيوية العبقرية نتاجاً رفيع المستوى تجاوز خمسة آلاف لوحة ، تمثل اليوم كنزاً من أثمن كنوز المواهب البشرية الفذة عبر قرون التاريخ !

وعلى الصفحة المقابلة نرى إحدى روائعه التي رسمها في عام ١٨٨٧ وأسماها : الآنسة جولي مانيه مع قطتها .

فلنتأمل هذه اللوحة ، ولنتمثل إلهاماتها في بصائرنا .. ولنبحث في جنباتها ، ومع كل لمسة من لمساتها عن اشراقة الأمل وبسمة التفاؤل وبهجة الحياة !







أصغر ناسخة في العالم

اشتهر اليابانيون بقدرتهم الفائقة على تصغير الأجهزة الالكترونية ابتداء بأجهزة التليفزيون إلى الميكروكمبيوتر مرورا بجميع أجهزة الهاي فاي . وآخر الابتكارات اليابانية فى هذا المجال جهاز لتصوير المستندات في حجم آلة الحلاقة الكهربية (١٧ ق ٧ في ٤،٧ سم) ويزن ٤٠٠ جرام ، أي أقل من نصف كيلو جرام .

ولكن بالرغم من مظهره البسيط فإن هذا الجهاز مزود بوحدة ميكرو الكترونية تضم دوائر مدمجة لا تقل تطورا وتعقيدا عن تلك الموجودة فى الأجهزة التقليدية لتصوير المستندات ، خاصة فيما يتعلق بتحليل ومعالجة الاشارات الالكترونية ، كما أنه يضم شاشة تظهر عليها صورة المستند المراد نسخه ، فيتم تحليلها كما في كاميرا الفيديو لتنتقل الاشارة الكهربية المعدلة الناتجة عن هذا التحليل إلى الطابعة لتقوم بطبع المستند .

ولاستخدام الجهاز يمسك به مثل آلة الحلاقة الكهربية ويمرر ببطء على المستند بسرعة ١ سم/ثانية تقريبا لتخرج النسخة تدريجيا على شكل شريط ورقى عرضه ٤،٦ سم .

ويعمل جهاز تصوير المستندات الصغير ببطاريات رقيقة تكفي لنسخ لفة كاملة من الورق طولها عشرة أمتار ، أى ما يوازى عشرين دقيقة من النسخ قبل اعادة شحنها .

ويعتبر هذا الجهاز عمليا جدا بالنسبة لتصوير أعمدة الصحف وإن كان يمكنه تصوير مستندات أعرض وذلك بتمريره على التوالى على المساحة المطلوب تصويرها ، فهو مزود بتدريج يضمن تحديدا دقيقا للمساحات التى يتم تمرير الجهاز عليها .

الهاتف الشمسي

قدمت احدى الشركات البريطانية أول هاتف يعمل بالطاقة الشمسية للاستخدام فى المناطق النائية التى يصعب مد خطوط الهاتف إليها ، فهو لا يحتاج إلى أسلاك أو كابلات تقليدية .

وتتكون كابينة الهاتف الشمسى من عمود ارتفاعه ١،٢ مترا ، يعلوه صندوق الهاتف وملحقاته . وأعلى هذا العمود صارى ارتفاعه ثلاثة أمتار يحمل فى نهايته لوحة طولها ٧٠ سم وعرضها ٩٠ سم ، مغطاة بصفوف من الخلايا الشمسية .

وتقوم الخلايا الشمسية بشحن بطارية تتولى تشغيل جهاز ارسال لاسلكى ينقل صوت المتكلم إلى أقرب بدالة بحيث توصله بدورها بشبكة الاتصالات وبالتالى يستطيع مستخدم هذا الهاتف اجراء مكالمات محلية ودولية .

ويتم التحكم فى تشغيل الهاتف الشمسى بواسطة ميكرو كمبيوتر يقبل عملات ٢٤ دولة كما أنه مبرمج كي يخبر البدالة عند امتلاء الصندوق بالعملات ، وإذا ما تعرض الهاتف لأى عملية سطو أو تخريب يقوم الميكروكمبيوتر باجراء مكالمة استغاثة اتوماتيكيا .



منظم ذكي لدقات القلب

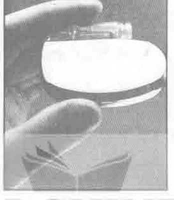
تشهد تقنيات أجهزة تنظيم دقات القلب تطورا سريعا ومدهشا . فأحدث هذه الأجهزة ـ وهو أمريكي الصنع ـ لا يزيد حجمه عن حجم علبة الثقاب ، ويزن ٤٩ جراما فقط .

ويزرع المنظم الجديد أسفل عظمة الترقوة ويتصل بالقلب بواسطة سلك موصل للنبضات الكهربية يمر خلال أحد الأوردة . وفي نهاية هذا السلك رأس معدني يقوم بارسال المعلومات عن النشاط الكهربي للقلب إلى المنظم كما ينقل النبضات المرسلة من المنظم إلى عضلة القلب .

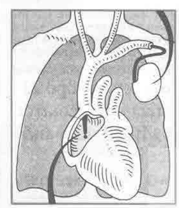
ويتميز هذا المنظم المتطور بأنه يضم ميكروكمبيوتر مبرمجا لرصد وتسجيل أى تغيير في انتظام وقوة دقات القلب مهما كان هذا التغير طفيفا ؛ فضلا عن تقديم العون اللازم عند حدوث أى اضطراب ، في شكل نبضات كهربية لا تزيد عن خمسين ميكروجول .

ويخزن الميكروكمبيوتر في ذاكرته بآخر أنجح تدخل قام به المنظم لاعادة ضربات القلب إلى انتظامها حتى يمكن تكرار نفس العلاج إذا ما تكررت الحالة . كما يمكنه اختزان عدد مرات حدوث الاضطراب وكيفية مواجهة المنظم لها في كل مرة . وتفيد هذه المعلومات المختزنة في ذاكرة الميكروكمبيوتر الطبيب المعالج ؛ إذ يستطيع عرضها على شاشة الكمبيوتر الموجود في عيادته بل ويمكن نقلها عبر خطوط الهاتف باستخدام جهاز ارسال خاص يوضع على صدر المريض .

ويستطيع هذا المنظم الذكى التمييز بين الاسراع المرضي لضربات القلب وبين تزايد سرعة دقات القلب التدريجية الناجمة عن التوتر العصبي أو المجهود العضلي .



المنظم الذكي



المنظم داخل الجسم

الكمبيوتر في خدمة الأمن

تقدم تقنيات الاعلاماتية خدمات حيوية لرجال الأمن لمساعدتهم على إلقاء القبض على الخالفين للقانون .

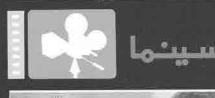
في اليابان ابتكر العلماء نظاما الكترونيا للتعرف على بصمات الجناة في زمن قياسي إذ يقوم جهاز فحص اتوماتيكي بقراءة البصمات وتحليلها وتسجيل جميع تفاصيلها في ثلاث ثوان فقط ، ثم يقوم المحقق بادخال هذه المعلومات في جهاز مراقبة (مونتير) مزود بشاشة تليفزيونية لتظهر عليها صورة ملونة وشديدة الوضوح للبصمات التى تم رفعها من مكان الحادث . ويستطيع المحقق بواسطة هذا الجهاز ومساعدة الكمبيوتر اعادة تكوين بصمة كاملة ابتداء من جزء فقط منها ويحتفظ بصور جميع البصمات في اسطوانة ضوئية .

ولمقارنة البصمات المرفوعة من مكان الحادث مع ملفات البصمات الموجودة لدى الشرطة ، يتم وضع الاسطوانة الضوئية في محلل الكتروني للصور متصل بميكروكمبيوتر بحيث يقوم المحلل الالكتروني بتصفح آلاف الصور في الدقيقة فهو يضاهي ٦٥٠ بصمة في الثانية .

وفي النهاية يخبر المحقق بالبصمات الشبيهة لتلك التى تم رفعها من مكان الحادث ولا يبقى أمام خبير البصمات سوى اعطاء حكمه النهائي .









الطفل الصغير الذى يروى ويعلق على أحداث فيلم (بابا فى رحلة عمل) وهو فى هذه اللقطة يخوض لأول مرة تجربة الاشتراك فى احتفالات..

أوراق سينمائية ٨٥ . ٨٦

بقلم : رؤوف توفيق

عندما أطفأوا الأضواء ، احتفالا بنهاية عام ٨٥ .. وبداية عام جديد.

وكان العالم كله مشغولا بعملية الجرد الختامى لعام انقضى .. وإعادة النظر فى خطط المستقبل.

عادة سنوية تفرضها دورة الأيام .. وتجسدها الصحف والإذاعة وشبكات التليفزيون ، فى هدير صاخب بين الاستفتاءات الهزلية والبحوث الجادة ، لتخلق هذا الإحساس « بالانتقال » من عام إلى عام !

ولا بأس بهذه الفرصة للتأمل .. ولنتوقف بالتحديد أمام السينما العالمية ، لنقلب فى أوراق عام مضى .. وانعكاسات هذا على العام الجديد.





الطفل الصغير في فيلم (بابا في رحلة عمل) مع ابنة الجيران التى كان يذهب للعب معها عندما كان يشعر بأن جو التعاسة يخيم على بيته



الورقـــة الأولى

سينما ناضجة .. غير أمريكية

أهم ما يميز سينما ٨٥ .. هو انكسار القبضة الأمريكية على جوائز السينما العالمية ..

فهناك سينما ناضجة ، ومتفجرة بالوعى والفن .. قادمة من دول صغيرة ليست لها إمكانات السينما الأمريكية .. وأيضا لا تقف وراءها مؤسسات الدعاية الضخمة .. وبالرغم من ذلك فإنها سينما قادرة على الاعلان عن نفسها من خلال ما تقدمه من مذاق جديد ، وفكر إنسانى شديد الواقعية ، وشديد الجاذبية .

سينما من أمريكا اللاتينية .. وسينما من أوربا الشرقية .. وسينما من آسيا وأفريقيا .

والمدهش أن هذه السينما .. تحصد أهم جوائز مهرجانات عام ٨٥ .. وتحصد أيضا اهتماما عالميا .

● فمثلا من يوغسلافيا .. يتقدم فيلم « بابا فى رحلة عمل » ليحصل على أهم جائزة فى أهم مهرجان عالمي .. وهو مهرجان كان لعام ٨٥ .. والجائزة هى النخلة الذهبية كأحسن فيلم !

وقد حصل الفيلم على تلك الجائزة بإجماع كل أصوات لجنة التحكيم .. وهذه مسألة لا تتكرر كثيرا ..

و « بابا فى رحلة عمل » هو الفيلم الثاني لمخرجه الشاب « أمير كوستاريتسا » ــ ٣٠ عاما ــ ويقدم من خلال رؤية سينمائية شاعرية .. طفلا صغيرا فى الثامنة من عمره يروى ويعلق على ما حدث لأسرته فى تلك الفترة من بداية الخمسينات ، عندما أعلن تيتو موقفه الشهير ضد ستالين رافضا سيطرة الاتحاد السوفيتى على يوغسلافيا .

فى تلك الفترة ، انتشر أعضاء الحزب فى يوغسلافيا ، بحجة حماية البلاد من عملاء ستالين .. وزادت موجة الاعتقالات والتشريد لكل من يتوهمون فيه الخطر !

وبحكم الثقة الممنوحة لأعضاء الحزب فى يوغسلافيا .. استغل بعضهم الفرصة لتحقيق مسائل شخصية ، وتصفية حسابات خاصة لا علاقة لها بالسياسة ..

وكان من بين هؤلاء الضحايا الأبرياء .. ذلك الأب الذى اختفى من البيت .. وكلما سأل عنه طفله الصغير .. تلقى نفس الرد « بابا فى رحلة عمل » .. ولم يكن هناك فى الحقيقة أى رحلة عمل .. بل كان

الأم وطفليها فى انتظار نتيجة التحقيق مع والدهم : لقطة مـــن الفيلم اليـــوغسلافى « بـــابـــا فى رحلة عمل » .





الممثل الجرى « كلاوس ماريا براندوير » الذى لعب دور « الكابتن ريدل » .. وهو فى لقطة النهاية وقد أجبروه أن يطلق الرصاص على نفسه لينتحر .. خلاصا من فضيحته بالمؤسسة العسكرية المجرية .

● سينما غير أمريكية .. تغزو العالم وتكسب الاحترام

الأب معتقلا . محكوما عليه بتقطيع الأحجار فى مكان ناء .. والمثير أن الأب لا يعرف ما هى تهمته .. ولا أحد فى الأسرة يتوصل لحل هذا اللغز المحير ..

والطفل الصغير يروى ويعلق على الأحداث .. بكل البراءة والعذوبة وخفة الظل .. ومن خلال سيناريو شديد الأحكام .. يناقش الفيلم تلك الفترة من تاريخ يوغسلافيا بجرأة وسخرية .. متنقلا مع الطفل الصغير الراوى ، بين أسرته ومجتمعه المحدود فى القرية ، عازفا على المشاعر الانسانية .. ومكتشفا لعلاقات الحب ، والغدر ، ولحظات الفرح والحزن .

ويصل بنا الفيلم إلى نهايته .. ليكشف عن لغز الاعتقال والتشريد الذى لحق بالأب .. ولم يكن سوى كذبة رخيصة اخترعتها زوجة عضو الحزب ووشت بها لزوجها حتى تعاقب الرجل الذى أحبته ولم تستطع الحصول عليه !!
وهكذا .. لسبب غير أخلاقى .. كانت التهمة السياسية !

وينتهى الفيلم .. بعضو الحزب وقد انتحر ـ ندما ـ بدق رأسه على زجاجة مهشمة .. تحيط به كل الأسـرة .. ينظرون إليه ، وكأن ما حدث هو النتيجة الطبيعية !
أما البطل الصغير ذلك الطفل الذى يرى كل شيء ، ويحاول أن يفهم ما هى الحقيقة .. فالفيلم ينتهى به ، وهو يمارس لعبته بالسير كالنائم ، فاردا ذراعيه ، مغمضا عينيه .. ثم يلتفت إلينا نحن الشاهدين .. ويبتسم .. كأنه يقول لنا .. إنه يعرف طريقه جيدا .. وإنه فهم الحياة !

● ومن المجر .. يتقدم فيلم «كابتن ريدل» ليحصل على جائزة لجنة التحكيم فى مهرجان كان ٨٥ .. وليتأكد من جديد اسم مخرجه «استيفان زابو» ـ ٤٧ عاما ـ كواحد من ألمع وأنضج مخرجى السينما فى الكتلة الشرقية .. وهو الذي حصل على أوسكار أحسن فيلم أجنبى عام ٨٢ .. وكان عن فيلم «مفيستو» .. وحصل أيضا ذلك الفيلم على جائزة أحسن فيلم أجنبى من مهرجانات روما ولندن ونيويورك ووارسو .. ومن اتحادات النقاد فى كثير من الدول الأوروبية .

ويواصل المخرج «استيفان زابو» فى فيلمه الجديد .. نفس القضية التى قدمها فى فيلم «مفيستو» .. وهى قضية الانسان الوصولى ، الذى يتخلى عن كل انتماءاته وعلاقاته ، وصداقاته فى مقابل الارتباط بالسلطة ..
فى فيلم «كابتن ريدل» نرى على مدى ساعتين وتكشف تفاصيل التسلق لطبقة أعلى باستخدام كل الطرق اللا أخلاقية .. ومن أجل تحقيق الذات ..

ويبدأ الفيلم بقصة ذلك الشاب .. منذ أن كان صبيا ، وكيف تسلل إلى الطبقة الأرستقراطية فى المجر .. من خلال صداقته لطفلة فى نفس عمره .. ووسط هذا الثراء الفاحش ، تولد بذرة التعلق بالطبقة التى تملك كل شيء !!

وتنمو البذرة .. ويكبر الصبى .. لينضم الى الكلية العسكرية .. ويبدأ فى الوشاية بزملائه .. ويتسلق على أصدقائه .. حتى يتخرج ضابطا .. ويكرر نفس خططه الدنيئة حتى يصل ليكون قريبا من قائده ، ومن أهم معاونيه ..
وفى لحظة من لحظات الشهوة .. يبوح لأحد الجواسيس بأسرار بلاده العسكرية ويصدر الحكم بإعدامه .. وأن يتولى بنفسه اطلاق الرصاص على رأسه .. حتى تبدو المسألة وكأنها انتحار !
ويتمهل المخرج طويلا وهو يصور لنا مشهد الانتحار .. وقد أغلقت الأبواب على الضابط .. وهو يبكى ويثور ويرتعش والمسدس فى يده .. يلقيه بعيدا .. ثم يعود إليه .. فليس هنا من منقذ .. ويطلق الرصاص على رأسه ..
ويسدل الستار على قصة «الكابتن ريدل» الذى تخلى عن أمه .. وأصدقائه .. والذين أحبوه .. واقتنص كل الفرص ليعلو فوق جثث وأشلاء الآخرين ..
وقصة «الكابتن ريدل» مأخوذة عن وقائع حقيقية لضابط يحمل نفس الاسم .. انتحر فى مايو ١٩١٣ .. وكشف أحد الصحفيين فى براغ عن تفاصيل الانتحار فى كتاب نشر عام ١٩٢٤ ..
وقد روى المخرج «استيفان زابو» أنه لم يلتزم بكل التفاصيل فى القصة الحقيقية .. وإنما أراد أن يقدم نموذجا لانسان قد تراه فى أى مجتمع وفى أى زمان .. إنسان يسعى لتحقيق الآفاق لنفسه . بأن يمزق كل ارتباطاته القديمة .. ويتخلى عن جذوره الحقيقية لأنه يخجل منها ويكرهها .. ويحاول أن يكون شخصا يضع القناع على عينيه ، متوهما أن أحدا لن يعرفه .. فى تلك اللحظات يبدو على حقيقته .. إنسانا ضائعا .. مذعورا خائفا ..
لقد خان عائلته .. وخان أصدقاءه .. واستحق أن تكون نهايته مأساوية !
● ومن أسبانيا .. يتقدم فيلم «أبونا» ليحصل على الجائزة الكبرى لمهرجان مونتريال (كندا) كأحسن فيلم .
وهذا الفيلم الأسبانى واحد من مجموعة أفلام متميزة وجريئة فنيا ، قدمتها السينما الأسبانية هذا العام .. وهناك ـ كما يقول المراقبون ـ موجة من النشاط الفنى والتدفق من مخرجي السينما فى أسبانيا .. وهناك ما لا يقل عن ستة أفلام جديدة انتهى العمل بها لتغزو المهرجانات العالمية فى العام القادم ..

الممثل الاسبانى الشهير «فرانشسكو رابال» فى لقطة من فيلم «أبونا» .

«فيرناندو راي» الذي لعب بطولة الفيلم الاسباني «أبونا» ـ واللقطة له فى إحدى مشاهد الفيلم وهو يواجه ماترتب عن أخطائه الماضية فى قريته الاسبانية .

وفيلم «أبونا» للمخرج الأسبانى «فرانشيسكو رجيرو» يتعرض لقضية حساسة جدا، وبجرأة شديدة .. فالموضوع عن أحد كبار رجال الفاتيكان ظل ضميره غائبا لثلاثين عاما .. ولم يحاول أن يصحح أخطاءه الشخصية التى ارتكبها فى شبابه .. وفى حق أقرب الناس إليه .. حتى شعر أن الموت يقترب منه .. فيقرر أن يعود إلى قريته الأسبانية ليصفى ماضيه وأخطاءه .. ولكنه كان أضعف من أن يواجه الحقائق بشجاعة!

ويصور لنا الفيلم هذه القرية الأسبانية .. قرية يخيم عليها الفقر والتعاسة .. وأضافت لها هذه الزيارة مزيدا من الأوجاع!

● ومن البرازيل .. تتقدم سينما جديدة مليئة بالحيوية والنبض .. وهى فى نفس الوقت سينما ذكية تعرف كيف تقتحم الأسواق الأمريكية .. عن طريق الاعتماد على نجوم السينما الأمريكية فى أفلام تنتجها استوديوهات البرازيل، ومن خلال فنيين ومخرجين من البرازيل.

وهو نفس الأسلوب الذى تقوم عليه السينما الكندية .. ولكن بأفلام تشبه كثيرا الأفلام الأمريكية..

أما ما يميز السينما البرازيلية الجديدة .. أنها تستند إلى موضوعات ساخنة من واقع الصراع الدائر فى أمريكا اللاتينية.

ومن هذا المنطلق .. يجىء فيلم «قبلة المرأة العنكبوت» للمخرج الارجنتينى الأصل والذى نقل نشاطه إلى البرازيل «هكتور بابنكو» — ٤٠ عاما — وقد اختار رواية للأديب البرازيلى «مانويل بويج» تدور أحداثها داخل زنزانة سجن .. ورغم المكان الضيق الكئيب إلا أن المخرج استطاع أن يخلق منه عالما سينمائيا مثيرا، متفجرا بالقضايا والمشاعر الانسانية..

فى تلك الزنزانة الكئيبة .. يتجاور مسجونان يقضيان مدة العقوبة .. أحدهما مسجون سياسى، والآخر مسجون بتهمة أخلاقية .. وعليهما أن يواجها بعضهما ليل نهار .. ولا مفر!!

ويبدو أنه من المستحيل أن يلتقى الرجلان فى أى شىء .. الشكل والسلوك، وأسلوب الحياة، والمشاعر والأفكار، ولكن مع الأحلام المحبطة وظروف القهر والتعذيب الذى تمارسه السلطات، يبدأ خيط إنسانى يصل بينهما..

فكلاهما — رغم التناقض الواضح ضحية للظروف السياسية .. وتتحول تدريجيا العلاقة بينهما إلى صداقة حميمة .. ويخرج المسجون بتهمة اخلاقية إلى الحياة مرة أخرى بعد الافراج عنه .. لتكون أول مهمة له، هى توصيل رسالة من المسجون السياسى إلى الجماعة التى ينتمى إليها.. ورغم علمه أن البوليس يراقبه، إلا أنه يواصل مهمته، وينجح فى توصيل الرسالة، ويتلقى


«اورسون ويلز» أسطورة السينما .. فى لقطة حديثة قبل وفاته وكأنه يودع تلاميذه وعشاقه


النجمة الفرنسية «سيمون سينوريه» التى أبكت فرنسا بخبر رحيلها


ستيفن سبيلبرج المخرج والمنتج الأمريكى الذى يحقق أعلى الايرادات منذ عام ٧٥ .. وحتى الأسابيع الأخيرة من عام ٨٥

بشجاعة طلقات الرصاص التى انهالت عليه من رجال البوليس .. فقد استطاع أخيرا أن يجعل لحياته معنى!

وقد استحق الممثل الامريكى «ويليام هيرت» — الذى لعب دور المسجون بتهمة اخلاقية — جائزة أحسن ممثل فى مهرجان «كان» هذا العام.. وللحقيقة استطاع المخرج «بابنكو» أن يفجر كل طاقات ممثليه، سواء ذلك الممثل الأمريكى، أو ممثليه من البرازيل، «سونيا براجا» و«راؤول جوليا».

● والطاقات الفنية المتوهجة فى سينما أمريكا اللاتينية .. هى التى دفعت لجنة تحكيم مهرجان «كان» لأن تمنح جائزتها لأحسن ممثلة لعام ٨٥ .. للممثلة الأرجنتينية «نورما ألبندرو» عن دورها فى الفيلم الأرجنتينى الرائع «قصة رسمية» والذى عرضت له بالتفصيل فى عدد «الدوحة» لشهر سبتمبر الماضى.

● وإذا انتقلنا للسينما العربية فى شمال أفريقيا.. تجد تلك المفاجأة الفنية للمخرج الجزائرى الشاب «مهدى شريف» وفيلمه «الشاى فى حريم أرشميدس» فى انتاج فرنسى بتشجيع من المخرج الشهير «كوستا جافراس»..

وقد استقبل هذا الفيلم بترحيب شديد فى المواسم الأوروبية .. رغم أنه العمل الأول للمخرج!

● وفى مهرجان «فالنسيا» السينمائى (بأسبانيا) .. أعطى المهرجان جائزته الأولى للمخرج التونسى الشاب «ناصر خمير» عن فيلمه الشاعرى الجميل «الهائمون».

وهذه هى المرة الثانية التى يعطى فيها هذا المهرجان الأسبانى جائزته الأولى لفيلم عربى.. فقد حصل عليها فى العام الماضى المخرج السورى محمد ملص عن فيلمه «أحلام مدينة».

وهذا ما يؤكد أن السينما العربية الجيدة تستطيع أن تخترق كل الحواجز، وتعلن عن نفسها، حتى ولو كانت بعض الأسواق العالمية لم تفتح لها، إلا أنه مع الوقت سيصبح هذا أمرا محتما.

فالعشاق الحقيقيون للسينما، والذين لا تحركهم الأموال الأمريكية .. يستطيعون التفرقة بين الجيد والردىء، وبين الفن والتجارة .. وهم قادرون على التبشير والدعوة لاحتضان هذه المحاولات الفنية الجريئة.

● الورقة الثانية

● أسوأ فيلم يحقق أعلى الايرادات

فمن الظواهر المؤسفة للسينما فى عام ٨٥ .. أن

أوراق سينمائية ٨٥ـ٨٦

● أسوأ فيلم يحقق أعلى الإيرادات.. والسبب الدعاية!

يحظى الفيلم الأمريكى « رامبو » بهذا القدر من الاقبال الجماهيرى.. محققا أرقاما قياسية فى الايرادات بلغت حتى بداية شهر ديسمبر الماضى ما يقرب من ١٥٢ مليون دولار فى الولايات المتحدة فقط.. وانتقلت حمى « رامبو » الى العواصم الأوربية ــ وسط ضجيج إعلامى قوى ــ حتى بلغ رواد الفيلم فى أول يوم عرضه بباريس خمسة وثمانين ألف متفرج.. وهو رقم لم يسبق أن حققه أى فيلم فرنسى أو أمريكى فى يوم واحد!

وكما قلت من قبل فى مقال سابق ــ عدد الدوحة لشهر نوفمبر الماضى ــ إن هذا الفيلم الرديء، المليء بالعنف والسذاجة.. لم يصنع مجده سوى الدعاية الأمريكية المكثفة ابتداء من الرئيس « ريجان » وحتى أصغر تاجر للدمى ولعب الأطفال..

وهذا ما يؤكد من جديد أن القوة الحقيقية للسينما الأمريكية تقوم على الدعاية والانتشار والإلحاح المستمر من خلال كل وسائل الاعلام.. ورغم أن السينما الأمريكية مليئة بالمواهب الفنية ومتجددة دائما.. إلا أن مؤسسات الدعاية الأمريكية ــ الصهيونية التمويل ــ تستطيع أن تروج لفيلم وترفعه إلى القمة.. وتستطيع فى نفس الوقت أن تذبح فيلما وتفرض عليه جوا من التعتيم والإهمال.

والفرق بين هذا الفيلم وذاك.. محسوب تماما.. وهو أى الفيلمين يحقق مصالح المؤسسة الأمريكية فى ذلك الوقت!

الورقة الثالثة

الأساتذة لا يتركون مواقعهم

وإذا كانت السينما العالمية فى عام ٨٥.. روعت بفقد عدد من ألمع نجومها: الممثلة الفرنسية « سيمون سينوريه ».. والممثلين الأمريكيين « روك هدسون » و« يول براينر ».. فإن الحزن كان أكبر لرحيل عملاق السينما وأسطورتها الخالدة « أورسون ويلز » ذلك الفنان الممثل والمخرج.. الذى قدم فى عام ١٩٤١ فيلم « المواطن كين » ليصبح منذ ذلك الحين واحدا من أهم أفلام السينما على مدى كل تاريخها وحتى الآن!

وهذا الفنان العبقرى ــ الذى أعاد الباحثون التنقيب فى تاريخه بعد خبر وفاته ــ نموذج صارخ الوضوح لمدى جبروت حلف شركات السينما الأمريكية.. فقد أعلنت هذه الشركات عن عدم ترحيبها بهذا المخرج الذى لم يحقق النجاح التجارى المنشود.. وبدأت تضايقه وتختلق له المشاكل حتى قرر أن يترك أمريكا ليستقر فى أوربا.. ليعيش من التمثيل فى بعض الأفلام.. أو

التصميم الرائع للكادر السينمائى، قد تميز به المخرج «كيراساوا» فهو يرسم كل كادر على الورق قبل أن يبدأ فى التصوير



الأب العجوز وهو يرى أبناءه الثلاثة يتصارعون على السلطة ويتهمونه بالجنون ــ لقطة من الفيلم اليابانى (ران)



المخرج « كيراساوا » ــ ٧٥ عاما أثناء تصوير فيلمه « ران »





الممثلة البرازيلية « سونيا براجا » كما ظهرت في فيلم « قبلة المرأة العنكبوت » .

إخراج أفلام لحساب شركة إنجليزية إمكاناتها محدودة .

ورغم هذه الظروف المعقدة .. فقد كان له هذا الحضور القوى الباهر سواء في الأفلام التي أخرجها أو التي اشترك في تمثيلها .. وكان عليه أن يتحمل « العقاب » الذى فرضته صناعة السينما الأمريكية .. وكان راضيا تماما بموقفه .. فهو من النوع الذى لا يستطيع أن يتنازل أو يرضى أن يصبح ترساً ، في تلك الآلة الأمريكية !

وجاء خبر رحيل الفنان الأسطورة « أورسون ويلز » ليقلب الهموم في صناعة السينما العالمية ..

ولكن تشاء الظروف .. أنه في نفس التوقيت تقريبا .. يبدأ العرض العالمى لفيلم « ران » للمخرج اليابانى الكبير « اكيرا كيراساوا » .. الذى يبلغ من العمر ٧٥ عاما .. ولكنه كنز متدفق بالفن والجمال والوعى الاجتماعى ..

وكأن الصحافة الأمريكية تحاول أن تبرىء ذمتها أمام جمهورها الذى تأثر العديد من أفراده بالأفلام التجارية الصاخبة .. فكان رد الفعل أن أفردت الصحافة الأمريكية العديد من صفحاتها للترحيب بهذا العملاق اليابانى الأصيل الذى يكافح شيخوخته ويناضل كل الظروف الصعبة في تمويل أفلامه وعدم التنازل عن أفكاره السينمائية . ويعود ليبهر عشاق السينما بفيلمه الجديد « ران » .

ويتقدم المخرجون الأمريكيون احتفالا بهذه المناسبة .. بالاعلان عن أفضال المخرج اليابانى « اكيرا كيرا ساوا » وكأنها أيضا عقدة الذنب تجاه هذا الرجل العظيم الذى لم ينحن في حياته لتطلبات السينما التجارية المعاصرة .

فمثلا نجد المخرج والمنتج الأمريكى الشاب « ستيفن سبيلبرج » الذى أخرج وأنتج أعلى الأفلام ايرادات في تاريخ السينما الأمريكية .. منذ فيلم « الفك المفترس » ــ عام ٧٥ ــ وحقق إيرادات بلغت ١٣٠ مليون دولار .. وفيلم « غزاة القوس المفقود » ــ عام ٨١ ــ الذى حطم به كل الأرقام القياسية وبلغت ايراداته ٢١٠ مليون دولار . ثم فيلم إنديانا جونز والمعبد الملعون ــ عام ٨٤ ــ وحقق ١٠٩ مليون دولار .. وأخيرا الفيلم الذى أنتجه لحسابه هذا العام وعرض تحت عنوان « العودة إلى المستقبل » ليحقق خلال ١٣ أسبوعا من عرضه في الولايات المتحدة فقط ، مجمل ايرادات بلغت ١٥٦ مليون دولار (!!) .

هذا الفنان الأمريكى صانع الذهب .. قال في معرض حديثه عن المخرج اليابانى « اكيرا كيراساوا » : « إنه المخرج الرسام الذى لا أنكر تأثيره الضخم على أفلامى .. فيكفى أن تتأمل كيف يحرك ممثليه ويدفع بالمجاميع الهائلة على الشاشة » .

وقال مخرج أمريكى آخر « جورج ميللر » : « بشكل مباشر أو غير مباشر فإن المخرج كيراساوا له تأثير على كل المخرجين » .

وأكد ذلك العديد من النقاد .. « إن أسلوب كيراساوا في العمل هو الأساس لعشرات الأفلام الأمريكية » .

وهكذا وقفت السينما الأمريكية ترحب بالفنان اليابانى الأصيل .. والمخرج « اكيرا كيراساوا » رجل اختبر الحياة .. وتعرض لهزة نفسية نتيجة توقفه عن العمل لعدة سنوات ، فكر بعدها في الانتحار .. ثم استرد صلابته وإيمانه بفنه ورسالته ..

لهذا كله جاء فيلمه الجديد وكأنه ينعى زمن الأبناء الذين يأكلون آباءهم .

وقصة فيلم « ران » فيها بعض الملامح من مسرحية الملك لير لشكسبير .. ولكن المخرج « كيراساوا » أضاف إليها قصة حقيقية حدثت في القرن السادس عشر باليابان .. بين أحد كبار أصحاب الأرض وأبنائه الثلاثة .. عندما قرر الأب الاعتزال لإصابته بالشيخوخة .. وتنازل عن كل ما يملك لأبنائه الثلاثة .. وبدأ الصراع بينهم ليصل إلى اتهام الأب بالجنون وطرده خارج البيت .. ولكن الأب الذى يشهد تفاقم الصراع بين أبنائه ، يصاب فعلا بالجنون .

وفيلم « ران » تكلف « مليون دولار » وهى أضخم ميزانية لفيلم يابانى .. واستغرق البحث عن تمويل الفيلم عدة سنوات .. وعندما اكتمل المبلغ وبدا « كيراساوا » التصوير .. يومها قال : « اننى رسمت كل تفصيلة صغيرة عن الفيلم .. واستعددت لها تماما .. كل شيء يموج الآن في رأسى ويشتاق للخروج » .

وبهذا الحب والفهم .. والاشتياق .. أخرج « كيراساوا » فيلمه .. ليطلق عليه بعد ذلك أنه « أهم عمل في حياتى » ..

وطيرت وكالات الأنباء هذا التصريح على أنه آخر أفلام كيراساوا .. ولأنه رجل دقيق ومحدد .. انتهز الفرصة ليعلن من جديد .. « لقد فهم البعض أن فيلم ران هو آخر أعمالى .. ولكنى أؤكد هنا أننى لست مستعدا للانسحاب .. طالما زلت قادرا على التنفس والحركة » !

وهكذا يعلن آخر العظماء في السينما .. أنه لن يتخلى عن موقعه .. ومعنى هذا أنه سيواصل النضال من أجل تمويل فيلمه التالى ..

وهذا الإيمان بالرسالة ، وهذا الصمود والتحدى .. إذا كانت بعض سمات جيل الأساتذة .. فإنها رسالة موجهة ــ لكل قادر على التلقى والفهم ــ بأن العشاق الحقيقيين للسينما .. لن يهزموا ..

وربما كانت هذه أبلغ رسالة .. وأهم ورقة من أوراق السينما لعام مضى !

رؤوف توفيق

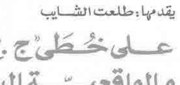


أضواء ثقافية



ايزابيلا الليندى

يقدمها: طلعت الشايب



على خطى «ج. ج ماركيز» والواقعية السحرية

«منزل الأشباح» رواية جديدة قادمة من أمريكا اللاتينية للصحفية الشيلية ايزابيلا التي تعيش في كاراكاس ـ فنزويلا منذ أن أطاح الانقلاب العسكري بعمها سلفادور الليندي في ١٩٧٣.

هذه الرواية ـ وهي الأولى لها ـ كانت قد نشرت بالأسبانية لأول مرة عام ١٩٨٢، وسرعان ما حققت انتشاراً واسعاً وأرقام توزيع قياسية في أسبانيا وأمريكا اللاتينية. (حيث اللغة الأسبانية هي اللغة الرسمية لعشرين دولة).

وفي فرنسا بيع منها ٤٠٠,٠٠٠ نسخة في عام ١٩٨٤؛ ومنذ بداية ١٩٨٥ وهي تتصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعاً.. والآن بدأت الرواية تتصدر نفس القائمة في بريطانيا في سابقة هي الأولى بالنسبة لرواية أجنبية.

أمام هذا الانتشار الواسع لم تستطع السلطة العسكرية في شيلي أن تحول دون تسلل الرواية إلى داخل البلاد فسمحت الرقابة ـ على مضض ـ بتمريرها، بل وسمحت بنشرها رغم ما بها من غمز ولمز وتعاطف مع الرئيس السابق سلفادور الليندي.

ورغم أن المؤلفة لم تحدد اسم البلد الذي تدور فيه أحداث الرواية، إلا أن القارئ لا يحتاج إلى ذكاء كبير ليعرف أن الشخصية التي أطلقت عليها المؤلفة اسم «المرشح» ثم بعد ذلك «الرئيس» ليست سوى سلفادور الليندي نفسه، وأن الشاعر الذي تردد جميع الشخصيات أشعاره ليس سوى رفيق نضاله «بابلو نيرودا» شاعر شيلي الكبير والحاصل على جائزة نوبل في ١٩٧١.

والرواية تحكي بطريقة مؤثرة وساخرة في نفس الوقت عن أسرة غريبة تمتد إلى أجيال أربعة تعيش في أمريكا اللاتينية في منزل مليء بالأشباح وبالأحداث المجنونة التي تصنعها شخصيات هي مزيج معقد وغريب من الواقع والخيال، وفيها ترسم ايزابيلا صورة كونية للطبيعة الانسانية، فتصبح الشخصيات تجربة استحضار لذواتنا جميعاً وهذا ما يعكسه نجاح الرواية واستحسانها من قبل ثقافات مختلفة لأن القارئ كما تقول المؤلفة «يجد صدى لعواطفه في شخصياتي.. فجميع البشر يحبون نفس الأشياء ويكرهون نفس الأشياء وبنفس الطريقة والأسباب متشابهة». وكل شخصياتها مستوحاة من تجربتها في الحياة وخاصة أثناء عملها كصحفية. «أنا لا أخترع كثيراً.. ولكني أحاول أن أتغلغل في أعماق الناس» كما تقول عن نفسها إنها حينما تكتب فإنما «تكتب عن الرعب المعاش في أمريكا اللاتينية، والعنف الذي يجني على كل الناس ولا يجد من يردعه أو يعاقبه في أي مكان أو في أي وقت من تاريخ الإنسانية».

«الطاقة البشرية على الشر ليس لها حدود إذا ما واتتها الظروف ودفعت بها إلى مكان السيطرة».

ولكي تشجع اندماج القارئ مع روايتها تترك العنان لخياله فلا تحدد مكاناً معيناً للأحداث فنجد أنفسنا في «بلد نصف منسي عند نهاية العالم».

وايزابيلا الليندي التي كان نجاح روايتها الأولى مفاجأة لها ولأسرتها تقول: «ظللت أعاني من شلل المنفى عدة سنوات.. لقد كانت جذوري هناك في شيلي وكانت الحياة شبه متوقفة وأنا أنتظر العودة إلى بلادي.. ويوماً ما علمت أن جدي كان قد سئم الحياة ورفض الطعام والشراب... وقرر أن يموت.. بذهاب جدي ذهبت البقية الباقية من شيلي فقد كان شخصية رئيسية في حياتي حيث نشأت في منزله بعد انفصال والدي في صغري... كنت أحبه وكان يحبني ورغم اختلافاتنا كان كلانا يغفر أخطاء الآخر».

وجدها هو شخصية «استيبان تروبا» كبير الأسرة في «منزل الأشباح».

ولا شيء يضايق المؤلفة أكثر من اتهامها من قبل النقاد بأنها قد «فصلت رواية على نموذج تحفة ج. ج ماركيز «مائة عام من العزلة» والتي كانت هي نفسها تحمل الكثير من ملامح الرواية الجديدة في أمريكا اللاتينية التي تجلت بواكيرها في الخمسينات في أعمال «فوينتيس» المكسيكي و«كورتاسار» الأرجنتيني.

ويبدو أن لدى النقاد ما يبرر هذا الاتهام.. فروزا الجميلة عند ايزابيلا هي «ريميديوس الجميلة» عند ماركيز، كما أن «نيكولاس تروبا» الذي ينتقل من عمل لآخر في روايتها ليس سوى طبعة جديدة من المخترع المجنون «جوس أركاديو بيوديا» الذي حاول عند ماركيز أن يصنع حجر الفلاسفة.

وإذا كان ج. ج.. ماركيز قد «أبدع مزيجاً شعرياً رائعاً من الفانتازيا والواقع حيث يختلط الخيالي بالواقعي وتمتاح الأساطير والخرافات في نسيج الحياة اليومية وتحدث الغرائب والمعجزات فلا تثير دهشة أحد.. ربما لأن واقع الحياة في هذا الجزء من العالم قد تجاوز أكثر الغرائب إمعاناً في الغرابة وربما لأن عبثية الحياة قد أفقدت إنسان هذا العالم حسه بالدهشة وبراءته... وربما لأن الكاتب يريد أن يتحدى بعالمه الخلاق الصورة الزائفة التي تطرحها السلطات الرسمية للواقع وللتاريخ على السواء» كما يقول الناقد د. صبري حافظ ـ في العدد الأول من «ابداع» القاهرية يناير ١٩٨٣ ـ.. فإننا نجد أن ايزابيلا فعلت نفس الشيء وسارت على نفس طريق كتاب أمريكا اللاتينية الذين أفرزهم الإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي الفريد الذي يعيشون فيه يمزجون الواقع بالأسطورة والسحر والخرافة ويخلقون عالماً فيناً يمجدون فيه الطبيعة ويتعاملون مع الانسان على أنه جزء منها. ففي «منزل الأشباح» كثيراً ما نواجه صوراً كهذه «كان شوبان يعزف على البيانو بأيد



ج. ج. ماركيز

لا يراها أحد .. وإلى جواره يقف كلب ضخم في حجم الحصان له مخالب تمساح ... يأكل المربى ... كانت الكراسي ترقص والملاحات تقفز فوق مائدة الطعام ».

كذلك تقابلنا شخصيات غريبة مثل روزا الجميلة « ذات الشعر الأخضر » المعلق على رأسها مثل عباءة نباتية ... كما نقابل نيكولاس تروبا الذي يتنقل من عمل إلى آخر « ليقوم بتعليم رقص الفلامنكو ويبني منطاداً ويدير محلاً للسندوتشات ويسافر في أرجاء الهند مرتدياً حفاض طفل ويكتب رسالة عن اسماء الله التسعة والتسعين » .

كما يأتي عزفها على شخصية استيبان كبير التروبا وزوجته كلارا تصويراً مرحاً وساخراً للتنافر بين الشخصيتين . إذ بينما استيبان شخص بسيط ومعقول ومحكوم بالطبيعة أن يسبب لزوجته مضايقات كثيرة نجدها رغم بصيرتها التي تستطيع النفاذ إلى ما وراء الأشياء تسبب هي له إزعاجاً شديداً بحكم اتصالها الهامس والمستمر بالأشباح ... وحين يحاول استرضاءها ... « فلا يسبب سوى المزيد من الكوارث » . بعد زفافهما لا يجد هدية لزواجهما يقدمها لها سوى جلد « باراباس » كلبها الميت ، الذي كان عزيزاً عليها ، فيحوله إلى سجادة أمام سريرها « وحدقت عيناه الزجاجيتان بنظرة يائسة .. نظرة حيوان محنط » .

ويمتد عدم احساس استيبان بزوجته وتبلد شعوره نحوها إلى ما بعد موتها .. فيبدأ هذا الأرمل في ارتداء تميمة من جلد تحت قميصه « بداخلها الأسنان الصناعية لزوجته وكان يعتبرها تعويذة لجلب الحظ الحسن وتكفير الذنوب » وفي واقع الأمر كان هو الذي حطم أسنانها في شجار سابق بينهما منذ سنوات » .

وسلوك الجيل الثاني من أسرة التروبا لا يختلف كثيراً .. « جيم » توأم يخلع قميصه ليعطيه لشخص معوز وفي مناسبة أخرى يخلع بنطلونه في ساحة عامة (!) أما أخته « بلانكا » فهي الشخصية الوحيدة العادية في الأسرة لأنها لا تبدي أي ميل نحو روحانيات أمها ولا أي اهتمام بنوبات الهياج العنيف التي تجتاح والدها ، وهي الوحيدة من نسل الأسرة التي تخرج عن طبقتها .

وتستمر رواية الأحداث الغريبة بفضل روح السخرية التي تتمتع بها المؤلفة يساعدها على ذلك موهبة فذة في تقديم صور موحية تغلفها بلمسات سيريالية حتى نصل معها إلى السبعينات .. وعند هذه النقطة تبدأ المواجهة الساخنة ، وبالطبع تنجرف أسرة تروبا إلى الصراعات التي ابتليت بها شيلي كلها ... وتستعرض المؤلفة مهاراتها الصحفية عندما تقوم باسترجاع الأحداث المضطربة التي شهدتها خلال سنوات الصعود والانهيار وببراعة شديدة تطور شخصياتها إلى نماذج أصيلة تمثل اليمين واليسار في أمريكا اللاتينية خاصة عندما تصف الانقلاب الدموي الذي أطاح بعمها والرعب الذي عقب استيلاء العسكريين على السلطة وأثر ذلك على شخصيات أسرتها الخيالية .

وإيزابيلا الليندي لاتنكر تأثرها بماركيز وبغيره : « لا شك أن جارسيا كان له أثر كبير علي ... ولكن أيضاً كان لنيرودا وفيرن وسالجاري وبلزاك تأثيرهم ، وتعتقد أن هذا النوع من الكتابة ينتمي إلى مذهب « الواقعية السحرية » ، « نحن في أمريكا اللاتينية نغوص في عالم من العواطف الجامحة .. من الكوابيس والأحداث الغريبة والشخصيات الأكثر غرابة » ... وعن هذا المذهب يقول كاتب أمريكا اللاتينية الكبير « اليجو كاربنتيير » ، عندما يقارن بينه وبين السيريالية الأوربية :

« السيريالية اهتمام جمالي يضع ماكينة الخياطة والشمسية على طاولة التشريح ..! بينما الكاتب في أمريكا اللاتينية ليس في حاجة إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب ... فقط عليه أن يراقب الواقع ويتأمله ويصف ذلك العامل الذاتي الذي يخلقه تمازج الأجناس مع ما يزيد عن ثلاثة قرون من الاستعمار والاضطهاد والعنف والاستغلال » .

قريـة « د . هـ لورانس » تُكرِّمه بعد مائة عام !

قبل موته بفترة قصيرة .. وعلى وجه التحديد في ٢ مارس عام ١٩٣٠ كتب د.هـ. لورانس إلى صديق له يحكي عن قريته فقال : « ولدت منذ ٤٤ سنة تقريبا في إيستوود .. » وهي قرية تقع في منطقة مناجم فحم ، ويبلغ عدد سكانها تقريبا ٣٠٠٠ نسمة .. وتبعد بمقدار ثمانية أميال عن نهر « ايرواش » الصغير الذى يفصل بين نوتنجهام وديربي شير ... ومنطقة إيستوود مليئة بالتلال وقد كانت بالنسبة لي في طفولتي وشبابي هي انجلترا القديمة ذات التاريخ الزراعي والغابات ... لم تكن هناك سيارات .. وكانت المناجم تعتبر حدثا شاذا وسط جمال الطبيعة في هذه المنطقة .

و د.هـ. لورانس الذى يعتبر أشهر أبناء عمال المناجم الذين أنجبتهم ايستوود .. هو واحد من أشهر كتاب القرن العشرين وأكثرهم إثارة للجدل فقد كان المؤرخ الإخباري عن الطبقة العاملة البريطانية خلال السنوات الأولى من هذا القرن ويرى نقاد كثيرون أنه عندما كتب عن أحوال عمال الفحم حول منزل أسرته « أحال الحياة في تلك المناطق المجاورة بما فيها من فقر وقذارة إلى أدب عالمي يظل محتفظا بقيمه العالية حتى يومنا هذا » .

وقد بقيت حقول « تيفرشال » التي جاءت في روايته « عشيق ليدى تشاترلي » ومناجم « ايستوود » التي ذكرها في روايته « أبناء وعشاق » في مكانها لفترة طويلة منذ أن كتب عنهما في العشرينات .. وفي الصيف الماضي فقط أعلن المجلس الأعلى للفحم في بريطانيا أن مناجم « مورجرين » أصبحت غير ذات جدوى اقتصادية وجاء القرار بإغلاقها متزامنا مع احتفالات المدينة بالذكرى المئوية لميلاد د.هـ. لورانس .

وفي مهرجان كبير بدأ في ١٤ سبتمبر ١٩٨٥ واستمر لمدة ثلاثة أسابيع ... وعلى استحياء ومضض شديدين جرت احتفالات إيستوود بأشهر أبنائها والذى كانت أعماله ممنوعة فيها أيضا حتى عشر سنوات مضت . والسبب هو أن د.هـ. لورانس يعتبر حتى الآن في نظر الكثيرين من أبناء بلدته كاتبا « ملوث السمعة » ، لأنه كما يقولون : « تنصل من مجتمعه وتعالى عليه ، وقام بنشر غسيله القذر أمام العالم بكتاباته التى امتلأت بمشاهد الجنس الفاضحة .. فلم يجلب لمسقط رأسه سوى العار » .

والمعروف أن معظم أعمال لورانس كانت عرضة للحظر في بلدان كثيرة من العالم فروايته الأخيرة مثلا وهي « عشيق ليدى تشاترلي » لم ينشر النص الكامل لها في أمريكا إلا سنة ١٩٥٩ وفي لندن إلا سنة ١٩٦٠ .

وفي شهر يوليو الماضى منعت السلطات المحلية في « أدنبرة » نفسها تقديم دراما مأخوذة عن نفس الرواية .

ومواطنوه الذين ينكرونه اليوم بعد مائة عام من مولده يقولون إن الشخصيات والأماكن والأحداث التى جاءت في معظم أعماله يمكن التعرف عليها حتى اليوم في إيستوود لأنه كثيرا ماكان يستخدم أسماء حقيقية ، « تشاترلى » على سبيل المثال ينتسب إلى عائلة « باربر » التى كانت تمتلك منجم « برنسلى » والذى كان والد لورانس عاملا به .. ولايزال الاسم معروفا للسكان حتى الآن .. كما أن الجيل الحالى من أبناء أسرتي باربر وتشاترلى الذين يعيشون الآن في إيستوود لايحملون للكاتب سوى كل حقد وكراهية . لذلك .. ورغم أن الاحتفالات جاءت لتضع ايستوود على الخريطة مرة أخرى ... ورغم التدفق الشديد على المكان من لندن واكسفورد للمشاركة .. إلا أن أبناء المدينة اعتبروا الاحتفالات بعثا جديدا لصفحات « غير جميلة » من تاريخهم كان يجب أن تظل مطوية .

أما المدينة « إيستوود » فقد تغيرت كثيرا ، ماديا واجتماعيا ، عما كانت عليه في سنة ١٩١٣ عندما صدرت « أبناء وعشاق » وان كان جمال الطبيعة لايزال كما هو كما سجله الروائى بأسلوبه الشاعرى . ولايزال هناك أيضا المنزل الذى ولد فيه د.هـ. لورانس وعاشت فيه أسرته في شارع فيكتوريا في منطقة « بريتش » التى خلدها في روايته « أبناء وعشاق » تحت اسم « الحضيض » . هذا المنزل قررت السلطات المحلية أن تشتريه وتحوله إلى متحف .. ولم يأت هذا القرار إلا بعد ٤١ عاما من وفاته .

استراحة الدوحة

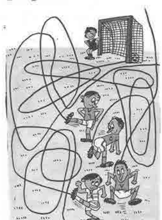
أصل وصورة





• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى لساحر الكرة بيليه هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها، لتحصل على الجائزة ؟

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

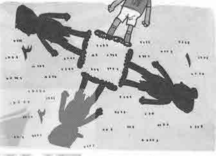
لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة ..

لعبة الظلال





• هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقى ؟.. إذا عرفت الحل .. أرسله إلينا لتحصل على جائزة ؟

هات أجمل تعليق

• هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟
.. حاول وأرسله إلينا لتفوز بجائزة .

المثل يقول



• ان هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. إذا عرفت هذا المثل أرسله إلينا في انتظارك جائزة .

يخلق من الشبه أربعين







• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الفنان السعودى محمد عبده ، من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها لتحصل على جائزة ؟



بقلم
الدكتور السيد أحمد تاج الدين





ابتسم للحياة

غاب عني مدة طويلة ، بعد أن انقطعت أخباره ، وشغلتنا الحياة بمشاكلها فلم أعد أراه ، وكان يتردد عليَّ بين الحين والآخر ، يستشيرني في بعض أموره الصحية والشخصية ، وكانت تعجبني فيه روحه المرحة ، يتقبل النكتة بصدر رحب ، ولو أنه كان مفرط الحساسية ، لا يجيد اللف والدوران ، ولا فنون الرياء والنفاق ، صريحا غاية الصراحة ، لا يعرف الخبث إلى قلبه سبيلا ..

والتقي معه مصادفة بعد طول غياب ، فإذا به قد تغيرت أحواله ، وضاعت الابتسامة من وجهه ، الذى كسته تجاعيد الزمن ، واشتعل رأسه شيباً قبل الأوان ، فتعجبت لهذا التغيير الذى طرأ عليه ، وما فعلت به الأيام ، وما ابتلى به من أمراض واسقام ، وفقدانه الثقة بأقرب الناس إليه ، وابتدرني بقول أبي فراس الحمداني :

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه
ومن أين للحُرّ الكريم صحابُ
وقد صار هذا الناسُ إلا أقلَّهم
ذئاباً على أجسادهن ثيابُ

فقلت له هَوِّن عليك نفسك ، ولا تجعل الدنيا أكبر هَمّك ، وغاية أملك ، فالأيام يومٌ لك ويومٌ عليك ، إن أقبَلْتَ عليها أدبَرتْ عنك ، وإن أعرَضْتَ عنها جاءتك طائعةً مختارة ، وازهد في الدنيا يحبُّك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ..

ولن تجد من بين من تقابل من الناس الصديق الصادق الصدوق ، الذى ترسم له صورة ملائكية في مخيلتك ، والذى تجده في كل وقت طوع أمرك ، ورهن إشارتك .

ألم تسمع بقول بشار :

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتباً
صديقَك لم تلْقَ الذى لا تعاتبه
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنه
مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمِئتَ وأيّ الناس تصفو مشاربُه

قال لماذا يأكل الحسدُ قلوبَ الناس ، ويعمي الحقدُ بصيرتهم ، والله هو موزعُ الأرزاق ؟

قلت له على قدر ما أصابك من نجاح ، سوف تجد من يحقد عليك ، وقد يكون الحسد من شخص ابعد ما يصل إليه الشك منك ، واقرب ما يكون إليك توددا ، وأكثر الناس استفادة منك .

« فمن الناس من يعجبك قولُه في الحياة الدنيا ، ويشهدُ اللهَ على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ، وإذا تولىَّ سَعَى في الأرض ليُفسد فيها ، ويُهلك الحرثَ والنسلَ والله لا يحبُّ الفساد » .

والشاعر يقول :

اصبر على كيد الحسود فإن صبرَك قاتله
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

قال والعجيب في الأمر أنه كلما زاد طغيان الإنسان ، كلما زاد منصباً وجاهاً ومالاً ، فيزداد في طغيانه ..

قلت له ألم تقرأ قول الله تعالى :

« كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عَطاء رّبك ، وما كانَ عطاءُ رّبك محظوراً » .

والله تبارك وتعالى يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ..

« ولا تحسبَنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخصُ فيه الأبصار مُهطعين مُقْنعى رءوسِهمْ لا يرتدُ إليهم طرفُهم وأفئدتُهم هَواء » .

فبقدر إيمانك بالقدر خيره وشره ، وصفاء سريرتك ، وعفوك عمّن ظلمك ، والاستعاذة بالله من شر حاسد إذا حسد ، بقدر ما يكفيك الله شر كثير من أمراض العصر ، لا أول لها ولا آخر ..

وإذا استمرت بك الأحوال على هذا المنوال ، تحمل همومَ الدنيا فوق قرنيك ، وترى العالم مظلماً أمام عينيك ، أصابك من الأمراض ما لا طاقة لك به ، ووقعت فريسة بين براثن الأطباء ، فإن ثلاثة أرباع أمراض هذا العصر ، هى حصاد ما يعانيه الناس من فكر وكرب وهموم وشجون ، وجرى وركض وراء المال حتى تنقطع بهم الأنفاس ، ولعلك تسمع عن أمراض القلب كالذبحة الصدرية ، والسكتات القلبية ، وانسداد الشرايين التاجية ، وارتفاع ضغط الدم ، وجلطات الدماغ وانفجارات شرايين المخ ، والشلل النصفي ، ومرض السكرى ، وقرحة المعدة ، والسرطان ، والقولون العصبي ، وغير ذلك من الأمراض العضوية الخطيرة ..

أما عن الأمراض النفسية فحدّث ولا حرج ، فعندك الاكتئاب بأنواعه ، وما يؤدى إليه من مآس تنعكس آثارها على جميع أعضاء الجسم كالصداع بأنواعه ، وعسر الهضم ، والإمساك ، وفقدان الشهية .

ولا أريد أن أزيد في همومك ، وإن شئت ملأت لك الصفحات من الأمراض والعلاّت ، التي تصيب الإنسان إذا ترك نفسه فريسة للهموم والأحزان ، ولم يبتسم للحياة ، ولم ينْس نصيبه من الدنيا ..

وحذار أن تسوّل لك نفسك بأن تصدق ما تعرضه الأفلام السينمائية ، أو المسلسلات التليفزيونية ، من حكايات وخرافات ، فتصور البطل أو الحبيب ، عندما تصيبه مصيبة في حبه ، وتغدر به محبوبته ، كأن الدنيا قد انقلبت على رأسه ، وأصبح حزيناً مهموماً ، يغني أغاني كلها نحيب وبكاء ، ثم يزين له رفاق السوء ، ارتياد الحانات والبارات ، فيغرق حتى أذنيه في منقوع « الصُّرم » بين الكأس والكأس ، بحجة الهروب من واقع الحياة ، ولكنه في واقع الأمر كالمستجير من الرمضاء بالنار ، ويكون قد خسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين ..

وقد أثبتت إحدى البحوث التي أجرتها بعض كليات الطب الأمريكية على قطاعات مختلفة من الناس ، أجريت لهم اختبارات نفسية وطبية ، أن المتشائمين الذين ينظرون إلى الدنيا بمنظار أسود ، أكثر إصابة بارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب ، من نظرائهم الذين لا يحملون للدنيا ومصائبها همًّا ولا فكراً ، ولذلك تكونت جمعيات وأندية مختلفة للترفيه عن أعضائها ، واشراكهم في برامج وتمثيليات وندوات فكاهية ينسون فيها الدنيا وبلاويها ..

لذلك أوصيك بأن تكون باشَّ الوجه ، دائم الابتسامة ، ودع التكشير والعبوس حتى لا تزداد تجاعيد وجهك ، ولا تصيبه الشيخوخة قبل الأوان ، فالابتسامة تفتح لك جميع الأبواب ، ولن يكون العبوس والتكشير مظهراً من مظاهر الوقار او الاحترام ، ورحم الله عبداً سمحاً في كل معاملاته وتصرفاته ، فإنك لن تسع الناس بأموالك ولا جاهك ، وإنما يسعُهم منك بسطُ الوجه وحسنُ الخلق .